

الحاصل

من شرح ثلاثية الأصول

المطبعة الشيخ السعدي

عبد الله بن محمد السعدي

أبو القاسم بن محمد السعدي



## بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله المتعالي عن الأنداد، المقدس عن النقائص والأضداد،  
 المعتز عن الصاحبة والأولاد، رافع السبع الشداد، عاليه بغير عمد،  
 وواضع الأرض للمهاد، مثبت بالراسيات الأطوار، المطلع على سر  
 القلوب ومكنون القواد، مفتر ما كان وما يكون من الخصال والرشاد، في  
 بحر لطفه تجري مراكب العباد، وفي ميدان حبه تجول خيل الزهاد،  
 وعنده منبعى الطالبين ومتهى القصاد، ويعنه ما يتحمل المتحملون من  
 آجله في الاجتهاد، يرى ديب التعل الأسود في السواد، ويعلم ما  
 توسوس به النفس في باطن الاعتقاد، جاد على السائلين فزادهم من الزاد،  
 وأعطى الكثير من العاملين المخلصين في العراد، أحسنه حمداً يفوق على  
 الأعداد، وأشكره على نعمه وكلما شكر زاد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده  
 لا شريك له، له الملك الرحيم بالعباد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله  
 المبعوث إلى جميع المخلوق في كل البلاد، صلى الله عليه وعلى جميع الأكابر  
 والأصحاب والتابعين لهم بإحسان إلى يوم التناد، وسلم تسليماً.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر  
 الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة.

فإن من أهم ما ياندر به اللبيب في شرح شهابه، ويندب نفسه في  
 تحصيله واكتسابه، حسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفصله

وافقت الأراء والألسنة على شكر أهلها، وإن أحق الناس بهذه الخصلة الجميلة وأولاهم بحيازة هذه المرتبة الجليلة، أهل العلم الذين جلوا به فزوة المجد والسماء وأحرزوا به نصيبات السبق إلى وراثة الأنبياء، لعلمهم بمكارم أخلاق النبي ﷺ وأدابه، وحسن سيرة الأئمة الأطهار من أهل بيته وأصحابه، وبما كان عليه أئمة السلف، واقتدى بهديهم فيه مشايخ الخلف.

واعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له، وتطلع له أجنحتها، وإنه لينال في دعاء الرجل الصالح أو من يقن صلاحه فكيف بدعاء الملائكة.

والذي ينبغي للطالب العلم أن لا يتخاطب إلا من يفيد أو يستفيد منه، فإن شرع أو تعرض لصحية من يطبع عمره معه ولا يفيد ولا يستفيد منه ولا يعينه على ما هو بصدد ما فيلنطق في قطع عمره من أول الأمر قبل تمكنه، فإن الأمور إذا تمكنت عسرت إزالتها.

فإن احتاج إلى من يصحبه فليكن صاحباً صالحاً ديناً تقياً ورعاً ذكياً كثير الخير قليل الشر حسن المداراة قليل المماراة، إن نسي ذكره وإن ذكر أمانته وإن احتاج إمام وإن حضر صوته كما قال بعضهم:

إن أمانك الصديق من كان معك      ومن يضمر نفسه ليظلمك  
ومن إذا ركب زمان صدحك      شئت شمل نفسه ليجمعك

ثم إنه ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم منه، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، وليكن إن أمكن ممن كملت أعلية وتحقق شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته، وكان أحسن

تعليماً وأجود تفهيماً، ولا يرغب الطالب في زيادة من العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل.

وبين أيدينا مؤلف عظيم صنفه داعية من دعاة الصراط المستقيم، العالم الأثري، والإمام الكبير، العلامة المجدد، أبو الحسين محمد بن عبد الوهاب، وهو كتاب (ثلاثة الأصول) وقام بشرحه فضيلة الشيخ العلامة، المحقق الورع، ناصر العقيدة السلفية، ذي الثقب الفاهم، والنظر المدقق شيخنا عبدالله بن محمد الغنيمان حفظه الله.

فقد من الله عليّ وشرفتني بأن أخذت العلم على الشيخ، وأذن لي بتفريغ هذا الشرح ومراجعت عليه وطباعته، ثم عُرِجت أحاديثه وآثاره قدر استطاعتي.

وإنني إذ أقوم بهذا العمل لأعلم بأن هناك من طلبة العلم من هو أولى مني بهذا العمل، فقد ركبت مركباً لست له بأهل واقتحمت ساحة لست من فرسانها.

وأشكر كل من أعانني على إخراج هذا الكتاب ممن هم حولي وأخص منهم أخي الفاضل: عيسى بن محمد الفرعاني، وأسأل الله جل في علاه أن يجعل أعمالنا كلها صالحة ولو جهه خالصة ولا يجعل لأحد فيها شيئاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهد بن أحمد القامدي الأزدي

١٤٢٨/٥/١٠ هـ



the first of the two is the most important, and the second is the most important of the two.

The first of the two is the most important, and the second is the most important of the two.

The second of the two is the most important, and the first is the most important of the two.

The first of the two is the most important, and the second is the most important of the two.

The second of the two is the most important, and the first is the most important of the two.

The first of the two is the most important, and the second is the most important of the two.

The second of the two is the most important, and the first is the most important of the two.

The first of the two is the most important, and the second is the most important of the two.

The second of the two is the most important, and the first is the most important of the two.

The first of the two is the most important, and the second is the most important of the two.

The second of the two is the most important, and the first is the most important of the two.

The first of the two is the most important, and the second is the most important of the two.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الشرح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله  
 نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.  
 أما بعد:

هذه الرسالة تُجِيتُ لعامة المسلمين لأنها متعينة التعلم، على كل فرد  
 أن يعرفها، لتكون الناس قسروا في هذا الجانب، اختصرها الشيخ رحمه  
 الله، واقتصر على الأمور المهمة التي لا يجوز للمسلم أن يجهلها،  
 واقتصر على بعض الأدلة الواضحة الجلية التي يمكن لكل واحد أن  
 يعرفها، وتعلمها متعين، والتعلم ليس مجرد قراءة، هذه يجب أن تحفظ  
 ويفهم الكلام المراد، وذلك أن هذا مبدأ عن الإنسان لأنه خلق لأجل  
 العبادة التي خلق الله جل وعلا لها خلقه - كل ما جاء به الرسول ﷺ من  
 الواجبات والمحرمات - هذه الخلاصة، وهي كتبت للعامة ولم تكتب  
 للعلماء لأن العلماء يجب عليهم غير ما يجب على العامة، يجب عليهم  
 أكثر من ذلك، ثم بدأ بالبسملة اقتداء بكتاب الله جل وعلا لأن أول ما في  
 المصحف ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة: ١) افتتح بها، واختلف  
 العلماء هل البسملة:

• آية مستقلة.

• أو أنها آية من كل سورة.

• أو أنها آية من سورة الفاتحة فقط وبقيت السور جعلت للفصل بين

السورة والأخرى وليست منها.

بمعنى ثلاثة أقوال للعلماء، والراجح أنها آية من سورة الفاتحة، ولهذا يتعين على المصلي أن يقرأها، هذا هو الراجح، لأنها آية متوا، وسورة الفاتحة سبع آيات كما نص الله جل وعلا عليها، والرسول ﷺ أوجب قراءتها في كل صلاة.

وقد اتفقوا على أنها جزء آية من سورة النمل: ﴿يَسِّرْ لَنَا أَرْحَمَ الرَّحِيمِ﴾ (النمل: ٣٠). هذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف هل هي آية من كل سورة؟

ثم كذلك الرسول ﷺ كان يبدأ بها في كتبه، إذا كتب كتاباً كتب قبله بسم الله الرحمن الرحيم، كما رويت عنه ﷺ بهذا الأسلوب، وفي الحديث الذي رواه عنه من رواة العلم أن الرسول ﷺ قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ به باسم الله»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «كل أمر ذي بال لا يبدأ به باسم الله»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «بالحمد لله»<sup>(٣)</sup>، فهو أبر، فيتعين على الكاتب الذي يكتب كتب العلم أو غيرها أن يبدأ بذكر الله أولاً.

﴿يَسِّرْ لَنَا أَرْحَمَ الرَّحِيمِ﴾ وآية الاستعانة، فيتعين بهذا الاسم الكريم، وكل أمر إن لم يكن الرب جل وعلا معيماً عليه، مهم أو غير مهم فلا ينجز ولن يتحصل على طائل، ولهذا قال: ﴿يَسِّرْ لَنَا﴾ بمعنى أبدأ بهذا

(١) أحمد (٨٦٩٧) بالي سند المتكررين) سند أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مزاء السيوطي في «الجامع الصغير» الرمزي (١/ ٦١٧)، وأخرجه الخطيب في «الجامع».

(٣) ٦٩/٢٢، وقد أخرج الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متعددة.

(٤) اتفقا الأحراري باب ما جاء في خطبة التكبير، والخطيب الكبير باب استعانة خطبة



الأمر مستعينا باسم الله، واسم الله وصفه هو الذي سمي به نفسه جل وعلا وهو اسم مبارك، إذا ذكر على شيء فإنه يبارك ويؤيد وهو الذي إذا استعان به مستعين أعانه الله جل وعلا.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ اسمان من أسماء الله جل وعلا يدلان على الرحمة، التي هي الصفة وأحدهما أبلغ من الآخر؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كما هو معلوم في لغة العرب، يعني زيادة الحروف دليل على كثرة المعاني، الرحمن أكثر من الرحيم حروفاً، ولهذا جاء عن ابن عباس وغيره أنهما اسمان وقيقان وأحدهما أرق من الآخر<sup>(١)</sup>. ومعنى وقيقان: يعني يدلان على الرقة والرحمة، وأحدهما أدل من الآخر الذي هو الرحمن، ولهذا جاء في حشِّن الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>. يعني أنه جل وعلا رحمة وسعت كل شيء فهي كثيرة جداً.

اكفى بذكر الله، بالبسمة وهذا يكفى، وكثير من العلماء يجمع بينها وبين الحمد لله؛ لأنه في رواية بالحمد لله، وهذا البخاري رحمه الله في صحيحه اكفى بذلك، ثم ذكر الحديث: «إنما الأعمال بالنيات»<sup>(٣)</sup>.



(١) تفسير الطبري، والقرطبي، وفي تفسير الثوري.

(٢) التفسير (١٨٩٤) كتاب الدعاء والتكبير والتهيل والسيح والتذكر، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٩٩٤) كتاب الدعاء باب ما ذكر عن قوم مختلفين مما دعوا به.

(٣) البخاري (١) كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم

(١٩٠٣) كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» من حديث حماد بن عمار رضي الله عنه.

ذكره الألباني في سلسلة الصحيح.

اعلم

الشرح

قوله: «اعلم»، أمر السامع، بأن هذا أمر مهم، وعند الأمور المهمة يثبته السامع بقوله: «اعلم» حتى تجتمع حُسنه ويستند لذلك، والعلم الذي يقصد به هو إدراك المعلومات وليقنها على الوجه المطلوب وعلى وجه المطابقة التي أريدت.



رحمك الله

الشرح

وقوله: «رحمك الله» هذا دعاء للسامع الذي يُطلب منه معرفة ذلك، والدعاء مطلوب من المسلم لأخيه المسلم، ومن رحمه الله جل وعلا وقاء شر الجهل وشر الذنوب، وإلا لا أحد يخلو من جهل ومن ذنوب إلا من علمهم الله جل وعلا من أنبيائه وأصفياه وأوليائه، وأصل الشر يأتي من الجهل ثم الذنوب لأن الجهل هو الشيء يبعث على الذنوب، ولهذا يقول الصحابة رضوان الله عليهم في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا الذُّنُوبُ عَلَى الْقَوْمِ لَظُلْمِهِمْ﴾ يسألون الله ﴿يَهْدِكُمْ﴾ (النساء: ١٦٧). أن كل من عمل السيئة فهو جاهل لأن العاقل لو عرف من معنى لا يمكن أن يقدم على المعصية، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَن يَكُونُ أَعْتَقًا﴾ (النور: ١٦٨). الذين يعلمون بالله جل وعلا، ولهذا قال: «رحمك الله» لئلا تقع في الجهل وفي آثاره من الذنوب، ومن رحمه الله جل وعلا أدركته السعادة بحيث يعمل بأسبابها في الدنيا ثم يكون على عمل يرضي ربه جل وعلا فيتوفاه

عليه، ليكون مر حوماً.

• • •

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ.

الشرح:

هنا يقول: «يجب عليه»، جاء بالعصير الذي يدل على الجمع، يعني المسلمين، عليه أيها المسلمون عموماً، يعني كل مسلم ومسلمة.

• • •

تَعْلَمُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ:

الشرح:

يجب عليه تعلم أربع هذه المسائل، وهذا ينقسم إلى قسمين - أي هذا الوجوب - قسم عيني على كل فرد من أفراد الأمة ذكر وأنثى، إذا بلغ التكليف وجب عليه، الثاني يجب على عموم الأمة وليس على أفرادها بأعيانهم، وهذا الذي يسمى فرض الكفاية، وهذه المسائل الأربع تنقسم إلى فرض عين وفرض كفاية، المسائل الأربع التي سيذكرها منها ما هو فرض عين على كل مسلم ومنها ما هو فرض كفاية إذا قام به جماعة كافية من الأمة سقط الإثم عن الجميع والأثمة الأمة كلها، لأنه لا يجوز أن يجهل شيء مما جاء به الرسول ﷺ لعموم الأمة، والرسول ﷺ بلغ، جاء بالبلاغ المبين وقد حفظ ذلك

• • •

المسألة الأولى: العِلْمُ: وَهُوَ غَيْرَةُ اللَّهِ، وَغَيْرَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَغَيْرَةُ دِينِ  
الإسلام بالأدلة.

## الشرح:

ثم قال في تفصيل الأربع مسائل: «الأولى العلم، العلم كما قلنا ينقسم إلى قسمين علم فرض عين، وعلم فرض كتابه. وفرض العين معناه على الأعيان، كل إنسان يعبه بحب العلم، أن يعلم وفي الحديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»<sup>(١)</sup>. والمسلم يدخل فيه النساء. ولهذا اللفظ الذي فيه فريضة ضعيف.

العلم فريضة على كل مسلم، فهذا الفرض الذي يجب علينا تعلمه ويكون على الأعيان مثل معرفة الله جل وعلا بأن يعرف ربه معرفة لا يكون شاكاً فيها، ويجب أن يكون بالدليل كما سيأتي، لأنه إذا لم يكن بالدليل لا يصل إلى اليقين، ومعرفة الدين ومعرفة الرسول ﷺ تكون فرض عين، فيجب أن يعرف التوحيد، عبادة الله والعبادة يجب أن تكون خالصة له مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والصدقة والركوع والسجود والدعاء والتضرع والطمع والخوف والخشية والإنابة وأنواع العبادة، كل العبادة يجب أن يعرف أنها حق لله جل وعلا وليس لأحد من المخلوق فيها شيء، هذا فرض، فرض على العبد أن يعرف ذلك.

وكذلك يجب عليه أن يعرف الصلاة، التي فرضها الله عليه ويعرف ما

(١) إرواه البحاري (١٠٠-١٠١) كتاب الصلوات، باب مروه خير، و(٦٦٠-٦٦١) كتاب الفقه، باب العمل بالشرائع، ومسلم (٦٦٦) كتاب الإيمان، باب من خلق نكاح الإنسان معه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(٦٦٨) باب تحريم الفلوك، ولا يدخل الحنة إلا المومنون، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٨٧١) كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية الطواف مرة واحدة، و(٢٤٧٦) كتاب التفسير، من سورة التوبة، من حديث علي رضي الله عنه، قال الشيخ الألباني صحيح بون قوله: ووضح العلم... إلخ، لأنه ضعيف جداً.

يشترط لها، يعرف مثلاً كيف يتوضأ وكيف يتيمم إذا فقد الماء وكيف يصلي إذا كان صحيحاً وكيف يصلي إذا كان مريضاً وكذلك إذا كان عنده مال يجب أن يعرف كيف يزكي المال، ما مقدار الزكاة ومن يعطيها، يجب أن يعرف هداً أما ﷺ ثم يكن عنده مال وليس واجباً عليه، إنما يجب على من عنده مال كذلك يجب أن يعرف أن الله لو جب عليه صوم رمضان ويعرف معنى الصوم الذي هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، المفطرات التي تنظر الصائم.

وكذلك يجب أن يعرف كيف يبيع ويشترى في الشيء الذي يلزمه، حتى لا يقع في الربا، ولا غيره من المحرمات، فإن لم يعرف ذلك فهو أثم، كذلك يجب عليه أن يعلم أن الزنا حرام وأن الربا حرام وأن الفواحش ما ظهر منها وما بطن قد حرمها الله جل وعلا، يعتقد ذلك، وهذه من الأمور القرضية العينية التي تحب على الإنسان، هذا الذي يسمى في هذه المسألة فرض عين يتعين وهو كما عرفنا يختلف باختلاف الناس.

كذلك يجب عليه أن يعرف أحكام النكاح إذا كان يريد أن يتزوج، وإطلاق والرجعة والشيء الذي يلزم لهذا لأن هذه أمور مكلف بها الإنسان، لا يجوز أن يجهلها.

أما الفرض الكفائي في هذه المسألة فهو واسع جداً فإنه يجب على الأمة بعمومها ألا يفتوها شيء، مما جاء به الرسول ﷺ من جميع العلوم التي تتعلق بالدين من فقه وحديث وعرائض ولغة وغير ذلك، ومثل المنسوجات والمحكمات والعمومات والخصومات وغيرها، هذه تلزم

العلماء الذين عندهم مقدرة على ذلك ولا نلزم هوام المسلمين، ولهذا صار طلب العلم أفضل من صلاة التطوع ومن صدقة التطوع ومن سائر الأعمال التطوعية لأن فيه تليخ وحفظ الدين فيه حفظ ما جاء به الرسول ﷺ، فالتعلم والتعليم من أفضل الأعمال إذا صلحت النية، وإلا العلم إذا فقد النية الصالحة يكون وسيلة عقاب - تسأل الله العافية - ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن أول من تسفر به جهنم - تسأل الله العافية - ثلاثة أحدهم المتعلم<sup>(١)</sup>، الذي تعلم ليقل هو عالم ومناظر، هو يستطيع أن يرد هو يستطيع أن يتكلم، ويطلب أن يتن على وجهه ويصدق ويشار إليه بالعالم الثلاثي، لأنه في الواقع بعيد هواه.

والمقصود أن العلم على هذا ينقسم إلى قسمين: العلم الواجب على كل فرد بعينه، وهو الذي يلزمه في أمره الذي لا بد منه، يجب أن يتعلمه ولا يجوز أن يكون يأخذ ذلك عما يشاهده من الناس فإن هذا يسمى التقليد، والتقليد في مثل هذه الأمور لا يفتح فلا بد أن يعرف أنه يجب عليه الخطوات الخمس وما يطلبها، ويعرف واجباتها وشروطها وأركانها. إلخ، ومباني ذكر ذلك لأنه رحمه الله لما ذكر هذه المسائل أراد أن يذكر الشيء الواجب المتعين الذي لابد منه ويذكر ذلك، هذه المسألة الأولى: العلم. والقسم الثاني العلم الكفائي كما سبق.



(١) ابن الترمذي (١١٢٨٦) كتاب الوعد - باب ما جاء في تركه والسمعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال الترمذي: حديث حسن صحيح وعنه الألباني.

المسألة الثانية: **الْفَتْحُ بِهـ.****الشرح:**

لأن العلم وسيلة للعمل، والعمل هو ثمرته، فالعلم مثل الشجرة والعمل مثل الثمرة، الثمرة هي المقصودة، الشجرة ليست إلا وسيلة وسبب إلى ذلك، فيجب أن يعمل بمساعدة الله جل وعلا، أن يمد الله وحده، يعلم ثم يعبد به جل وعلا، فيجعل التوحيد لله جل وعلا، في الصلاة والصدقة، والتمر والصوم والنفقة وغيرها، كل الأعمال يجب أن يجعلها لله جل وعلا، وكذلك سائر ما يعلمه من الشرع يعمل به، وهذا يختلف باختلاف الناس، فمن الناس من يجب عليه ما لا يجب على الآخر في هذه المسألة، مسألة العلم، ولهذا نقول أيضاً: أن هذه تأتي فرض عين وفرض كفاية، فهناك من الناس من لا يستطيع أن يجاهد ولا يستطيع أن يطلب العلم الذي يدخل في فرض الكفاية، فله لا يكلف نفساً إلا وسعها، يكون تكليفه على حسب وسعه وطاقته، الذي يستطيع العمل ليس كالذي لا يستطيع، فيجب على من استطاع أكثر مما يجب على الذي لا يستطيع، ولكن العمل يشمل الشرع كله، وهذا الذي يكون فرض كفاية يكون كثيراً منه فرض كفاية، أما الشيء الذي ينص على الإنسان بعبه فهو فرض عين.

المسألة الثالثة: **الدُّعْوَةُ إِلَيْهِ.****الشرح:**

الدعوة إلى العلم الذي تعلمه، والدعوة هي سبيل الرسل والله جل

وعلا يقول ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَوَاضَعُ الرُّسُلُ﴾ وسبيل

لهم وما الناس أشركوا به ﴿يوسف: ١٠٨﴾

فقوله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ﴾ ثم من الله جل وعلا بأمر به رسوله ﷺ أن

يقول لمن بلغهم ذلك ومن بعد إتيانهم هذا الكلام ﴿هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ﴾ يعني الدعوة التي حلت بها هي التي أحبها من أحبها وضوت عليها وليس لي عمل غير ذلك، فعليها حياتي وعليها مماتي فهي سبيلي الذي أسلكه في حياتي، ليس لي مسلك وصديق غير هذا ما جاء صلوات الله وسلامه عليه إلى القصور لعبادتها ولا لأجره والأنهار ولا لغرس الأشجار ولا لغير ذلك من أمور الدنيا وإنما يفعل من ذلك الشيء الذي لا بد منه، وإن كان ليس في هذا الأمر بترك الدنيا، ولكن لا يجوز أن تكون الدنيا على حساب الدعوة إلى الله، فالدنيا تكون تبعاً لهذا إذا كان الإنسان كامل الدعوة إلى الله تعالى تكون الدنيا عوناً على ذلك، ولا بأس أن يأخذ الدنيا ولكن يجب أن لا يسي حق الله فيها ويجب ألا تشغله عما هو فرض عليه، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ﴾ ﴿يوسف: ١٠٨﴾، أوهو هنا بيان للسبيل، بينها بعدما قال ﴿هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ﴾ وليس دعاء مطلق حتى تكون الدعوة بالإخلاص، يكون الدعاء إلى الله بحق وبصدق وليس دعوة لغير ذلك.

قال الشيخ رحمه الله في مسائل التوحيد على هذه الآية: أما قوله:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ﴾ نبيه على الإخلاص، لأن كثرة من الناس وإن دعا في الظاهر إلى الله فهو في الحقيقة يدعو إلى نفسه، أهد.



﴿أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ دُعِيَ عَلَى عِلْمٍ﴾ ١٩٠٨: والبصيرة هي العلم الذي هو فرض علينا، يعني يدعو على علم من الله جل وعلا أن هذه الدعوة تجب وأن الدعوة بكلها وإلى هذا

قوله: ﴿لَا تَوْحِي أُنْبِيَّ﴾ يعني أنا على بصيرة ومن أنبى، وكذلك وعلا، وكذلك غيرها من الآيات كثير يدل على وجوب الدعوة، ولكن الدعوة إلى الله جل وعلا تنقسم إلى قسمين: دعوة إلى الجهاد، والجهاد مراتب منه ما هو فرض عيني، ومنه ما هو فرض كفائي، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»<sup>(١)</sup>، ومعنى «يحدث نفسه» يعني يعزم ويتوكل أنه سيقزو في سبيل الله، فالجهاد مرتبتان بل الجهاد يكون جهاد للنفس وجهاد للشيطان وجهاد للكفار والمنافقين.

أما جهاد النفس فهو ثلاث مراتب: جهاد النفس في عمل الطاعات، وجهادها في التصبر عن المعاصي، وجهادها على التكلم من هذا وهذا، ثم جهاد الشيطان يكون جهاد له فيما يلقه من الشبهات والمشكوك، وهذا يكون بالمعلم، وجهاد له فيما يلقه من الشهوات في الغفوس التي تميل إليها والأمراض، أمراض القلوب؛ لأن الأمراض تنقسم إلى قسمين: مرض شهوة ومرض شبهة، ولهذا لما ذكر الله جل وعلا أمر النساء بالعجاب وأن

(١) مسلم (١٩١٠) كتاب الإمارة، باب دم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالمعروف، والنهي

(٩٧-٩٣) كتاب الجهاد، باب التشديد في ترك الجهاد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

ذكره الألباني في المشكاة

بمريض من أصحابه قال: ﴿لَيَطْمَعَنَّ الْقَوِيُّ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الألم: ٢٢) الذي في قلبه مرض الشهوة، إذا سمع المرأة بصوتها الرخيم الطريق نحو شهوته، لأن عنده مرض الشهوة، وأمريت بأن تواجه الرجل بصوت غير هذا، وهذا هو جهاده من ملين الرجيين.

أما جهاد الكفار فيكون بالنفس وبالمال وباللسان، ويكون الجهاد بالقلب وبكرهاتهم وبخسبهم ومعاداتهم والعزم على إظهار ذلك والعمل عليه، ويكون بالمال بأن يعاهد بماله، ويكون بيده بنفسه، ويكون بلسانه، وجهاد الكفار والمنافقين كله بهذا، والله جل وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَكْفُرُوا الْعَسْكَارُ الَّذِينَ فِيهِمْ مَوَالَتْكُمْ جَهَنَّمَ وَالْخَبِيرُ﴾ (أهراء: ٧٣). جاء هذا في آيتين من القرآن، ولكن جهاد الكفار باليد أخص وجهاد المنافقين باللسان أخص يحتاجون إلى بيان أحوالهم وأوصافهم وما هم فيه، فهذا كله من العمل الذي يجب على الناس عموماً وعسراً يعني ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، وجهاد الكفار بالنفس ذكر العلماء أنه يصح فرض عين في ثلاث مواطن:

الموطن الأول: إذا حضر القتال، كل مسلم يحضر القتال بين المسلمين والكفار يجب عليه أن يقاتل وإلا يصح من الذين تولوا يوم الزحف، وهو متوحد بالشرع نسأل الله العافية. ﴿وَمَنْ يُولَاهُمْ يُؤْتِيهِمْ جَزَاءً﴾ (محمّد: ١٦). هذا استثناء ﴿فَقَدْ بَكَتْ﴾ (نفس: ١٦) ﴿أَوْ مَتَّعِيَهُمْ إِلَيْكَ يَفْلُو﴾ (نفس: ١٦). وهذا يدل ينضم إلى ﴿لَوْ وَوَالَتْهُمْ جَهَنَّمَ وَالْخَبِيرُ﴾ (نفس: ١٦). وهذا يدل على أنه فرض عين وهو المقصود.

الموطن الثاني: إذا دام العدو البلد الذي فيه المسلم وجب عليه أن يجاهد ولا يجوز أن يتخلف فهو فرض عين على كل من كان فيها وهو نافر.

الموطن الثالث: إذا عتد إمام المسلمين، قال له أنت تجاهد نعيم عليه ووجب أن يجاهد.

لما ما عدا ذلك فهو فرض كفاية، إذا قام به من يكفي مطلق الإثم عن الباقيين.

والجهاد يجب ألا يعطل؛ لأن الله أمر به فيجب أن يقام، ولهذا جاء في الحديث: «ما دام العدو يقتل فالإسلام فيه عز أو عزير»، وجاء أنها تقبل التوبة ما لم تطلع الشمس من مغربها<sup>(١)</sup>، وعند طلوع الشمس من مغربها يتعطل الجهاد في سبيل الله لأنه لا ينفع نفس عمل يزيد به، والجهاد من أفضل الأعمال كما أخبر الله جل وعلا فإنه ثبت في الحديث فصيح أن الصحابة رضي الله عنهم تذكروا أي الأعمال أحب إلى الله، فنزل الله جل وعلا سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ عَلَى عِزٍّ قَائِمِينَ لَئِنْ لَمْ تَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ عَلَى عِزٍّ قَائِمِينَ﴾ (٢٣٠-٢٣١) عطف (١) (٢).

(١) استنزل في قوله (٢٣٠-٢٣١) كتاب الجهاد، باب في الهجرة، على المخطوطة، من حديث معاذة رضي الله عنه، مسنده الألباني.

(٢) في الترغيب (٢٣٠-٢٣١) كتاب تفسير القرآن، باب الألف، من سورة الصف، من حديث معاذة رضي الله عنه، قال الترغيب: مختلف متعدد بين كثير في إسناده وطبقات الحديث من الأوزاعي، وقال الألباني: هو صحيح الإسناد.

والإيمان بالله قبل الجهاد لا بد منه، ولكن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، إذا تبين لنا أن الجهاد مع ما هو فرض كفاية ومعه ما هو فرض عين، ففرض العين على الإنسان أن يجاهد نفسه ويجاهد الشيطان وهذا فرض عين على كل إنسان، لأن يجاهد نفسه في فعل الواجبات التي أوجبها الله عليه ويجاهد في كنفها ومنعها عن المحرمات التي حرمها الله جل وعلا، والجهاد لا بد منه لأن هذه الحياة كلها جهاد وكفاح، أما أن الإنسان يجلس مسالماً لا يمكن أن ينجح بل يخسر لأنه يستولي عليه نفسه ويستولي عليه الشيطان، فهلك إن لم يجاهد نفسه والشيطان، وجهاد الشيطان فرض عين يجب أن يجاهد، والشيطان برأنا من حيث لا نراه كما قتال الله جل وعلا، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم<sup>(١)</sup>، يدخل في جسده ويشعه ويلقي خرطومه على قلبه ويشعه ويرى ما لا يريد وما لا يحب فيزين له ذلك والله جل وعلا كرر الأمر بمجاهدته بأيات كثيرة وأمرنا أن نتخذة عدواً، والعدو يجاهد، هذا الذي هو فرض عين،

أما مجاهدة العدو باليد وبالسيف، وكذلك جهاد القلب على كل واحد يجب أن يجاهد قلبه ولا يجوز أن يخلو القلب من مجاهدة أعداء الله، هذه مسألة الدعوة إلى الله، أن يدعو إلى الله ليكون الجهاد من الدعوة.

والدعوة أمرها واسع، تكون بالقلب وتكون بالتعليم وتكون بالعمل بالافتداء بأن يكون الإنسان قدوة ويدعو بعمله، ويكون كذلك بالمال ويكون بكتابة بيان حكم الله جل وعلا وحكم رسوله ﷺ وبيان تمييز

(١) البخاري (١٠٠٢٩) كتاب الاعتقادات، باب من يقرأ المستكف عن نفسه، واسطيف (٢١٧٤)

كتاب السلام، باب دفع عن المسلم.

الحق من الباطل فيما يلتبس به وقد يلبس به الأعداء فهو من الجهاد ومن أعظم الجهاد.



### المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه

#### التشريح

الصبر أيضاً يكون صبر متعين على كل أحد بحسب الشيء الذي يلزمه فيه، صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أذى الله وأحكامه القدسية، فيكون الصبر ثلاثة أقسام وهو واجب، وإذا أمساه فيجب عليه أن يصبر فلا يجوز أن يتسلط من قضاء الله حل وعلا، ولكن هذا داخل فيه، الصبر على الأذى فيه يعني الدعاء.

والعلم إذا علمه الإنسان ثم عمل به ثم دعا إليه لا بد أن يؤذى، كل من دعا لا بد أن يؤذى فيجب أن يصبر على الأذى، أمر الله بذلك وموله في آياته كثيرة، أمره بالصبر، أن يصبر صبراً جميلاً، وأمره أن يدفع بالنبي هي أحسن وأن يصبر ويحسب صبره بالله ﴿وَلْتَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا يَأْتُوا﴾ (النمل: ١٦٧). وقول كثير من المفسرين أن الآيات التي جاء فيها الأمر بالصبر مشروطة بأية السيف غير سديدة وغير دقيق بل هو خطأ في الواقع، إلا إذا أريد بالنسخ التخصيص لأنه قد يطلق النسخ ويراد به التخصيص، أما إذا أريد به إزالة حكمه بإشائه بحكم آخر فهذا لا يجوز، ولهذا ذكروا أن أية السيف نسخت ما يقارب من خمسمائة أية وهذا غير صحيح، أية السيف نسخت الأمر بعدم جهاد الكفار لأن الجهاد بالأول كان مشروفاً لما كان المسلمون في ميأأمرهم ضعفاء وكانوا في مكة قلة بحيث لو

جامعوا يمكن أن يقضي عليهم، فكانوا مستوعين من المجاهدة بأمرين  
 بالصبر، ثم بعد ذلك أذن لهم في الدفاع ﴿أَنْ يَلْتَمِزُوا﴾ (الفتح: ٢٤٩)  
 أذن لهم في القتال دفاعاً عن أنفسهم وعن أموالهم وأولادهم فقط ثم بعد  
 ذلك جاء الأمر بالجهاد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا الزُّيُوتَ وَكُنُوزَكُمْ يَوْمَ  
 الْقِتَالِ وَاتَّجِدُوا بَيْنَكُمْ وُفُوقاً وَأَعْلَوْاً إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (البقرة: ١٧٧)،  
 وقال: ﴿وَأَعْلَوْا الصُّلْحَ صَاحِبِ كَلِمَةٍ﴾ (البقرة: ١٧٨) يعني عموماً، وقال:  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا جَاهِدُوا الصَّافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالظَّالِمِينَ وَأَعْلَوْا عَلَيْهِمْ وَأَعْلَوْهُمْ جَهَنَّمَ  
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (البقرة: ١٧٩).

وهناك آيات كثيرة تأمر بالجهاد والقتال، فهذه لا يجوز أن نقول أنها  
 منسوخة بآية السيف، بل هي بالية محكمة ولكن المسلمون إذا وقعوا في  
 مثل هذه الحالة التي تشبه حالة المسلمين في أول أمرهم في مكة فإنهم  
 يؤمرون بالصبر وعدم الدخول في الجهاد لأنهم إذا جامعوا في هذه  
 الحالة قضى عليهم وشحوا، وإذا تغلبوا شيئاً ما، يعني أن الأمور والأطوار  
 التي كان الرسول ﷺ سار فيها أنها باقية، إذا وقع المسلمون في الحالات  
 التي تشبهها يستعملونها، وهذا هو الصواب والحق الذي يجب أن يعمل  
 به، فنقول: «الصبر على الأذى فيه» يعني في العلم الذي علمه ودعا إليه،  
 أن يصبر على الأذى وذلك لأن دعوتك لله، والذي تكون دعوتك له لا بد أن  
 يصبر أما إذا كانت الغير لله فلن يصبر، والله أعلم.

وَالذِّيلُ قَوْلُ لَبِائِلٍ. فَمِنْ أَقْوَامٍ أَرْتَضَى الْبُحَيْرُ ﴿١٠٥﴾ وَالْعَصْرُ ﴿١٠٦﴾ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ  
لَيْسَ حُرّاً ﴿١٠٧﴾ إِلَّا الْقَلِيلُ. بَأْسُوا وَتَمِيلُوا الْفَتَنِتْ وَتَوَسَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَسَّوْا  
بِالْقَصْرِ ﴿١٠٨﴾ (سورة عصر ثمانية)

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: قَوْلُهُ أَرْتَضَى الْبُحَيْرُ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ  
السُّورَةُ لَكَلَّفَتْهُمْ.

### الشرح

ذكر قول الشافعي بالمعنى، والذي روي عن الشافعي: لو تأمل الناس  
في هذه السورة لوسعتهم، والمعنى قريب.

وقوله جل وعلا: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ (عصر) هنا أقسم، والله جل وعلا  
يحلف بما شاء، ويقسم بما يشاء من خلقه، أما نحن فلا يجوز أن نقسم  
إلا بما أذن لنا الله جل وعلا فيه، وهو ربنا جل وعلا، أن نقسم به أو بصفة  
من صفاته، وما عدا ذلك لا يجوز. وفي الحديث: «من حلف فليحلف  
بالله أو بصفته»<sup>(١١١)</sup>، وفيه: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»<sup>(١١٢)</sup>،  
وفيهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَهْلِكُ مَنْ يَهْلِكُ أَنْ تَحْلِفُوا بِأَيْدِيكُمْ»<sup>(١١٣)</sup>.

(١١١) البخاري، (٦٦٧٩) كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف؟ قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾

(الشهاد: ٦٦)، ومسلم، (١٦٨٦) كتاب الإيمان، باب النبي من الحلف بغير الله تعالى، من

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ذكره الألباني في «غاية الترافيق»

(١١٢) ابن الترمذي، (١٥٣٥) كتاب الإيمان والشورى، باب ما جاء في ترافيق الحلف بغير الله، من

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال الترمذي، حديث حسن، وقال الألباني: صحيح.

(١١٣) البخاري، (٦٦٤٦) كتاب الإيمان والشورى، باب لا تحلفوا بأيديكم، و«ابن الترمذي»

(١٥٣٥) كتاب الإيمان والشورى، باب ما جاء في ترافيق الحلف بغير الله، من حديث ابن عمر

رضي الله عنهما، قال الترمذي، حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

فالمختلف بغير الله لا يجوز لك والله جل وعلا يقسم بالآيات التي تكون دليلاً على وحدانيته وعلى ملكه وقهره ونعمته والعصر هو الزمن، الليل والنهار، لما فيه من الآيات وهو محل العمل وهو محل الربح أو الخسارة، ربح الإنسان أو خسارته، لأنه مزرعته ومزرعته عمره الذي هو عبارة عن ساعات، كل ساعة نمر على الإنسان بنفسي وقت من عمره حتى ينتهي أجله، فطوى صحيفته ويختم عليها فلا يستطيع أن يزيد فيها حسنة ولا ينقص من السيئات سبئة، ومن أجل ذلك لدلالة على أنه من آيات الله جل وعلا وأن الله جل وعلا خلقه وجعله دالاً عليه ولكونه أيضاً مزرعة مكسباً للعبادة ومكباً للشقاوة، انقسم به جل وعلا فقال:

﴿وَالْقَسْرُ﴾ (النصر: ١١) ثم انقسم عليه ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِرٌ﴾ (النصر: ١٢).

و﴿الْإِنْسَانُ﴾ جنس الإنسان ويشمل كل من صدق عليه أنه إنسان من ذكر وأنثى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِرٌ﴾ (النصر: ١٢) يعني كلهم خاسرون، كل إنسان خاسر، ثم امتنن من الخاسرين ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَانُوا وَقِيلُوا الْقَسْرُ﴾ (النصر: ١٢).

﴿كَانُوا وَقِيلُوا الْقَسْرُ﴾ يلزم أن يكون الإيمان عن علم، أي سبق الإيمان بعلم، ثم الإيمان عمل في القلب وعمل في الجوارح، ثم التواصي بالحق دعوة إلى العلم الذي ذكره، لأن الإنسان يجب أن يدعو، فالدعوة فيها التواصي، يوصي بعضهم بعضاً بالحق والعمل به والتسك به، ثم التواصي بالصبر، فإذا السورة فيها المسائل الأربع التي ذكرها فهي دليل على وجوب ذلك، ووجه الدلالة واضح وهو أن الإنسان خاسر إن لم



يكن مؤمناً وإن لم يكن من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُوا الْقُلُوبُوعَ﴾ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالْعَمَلِ ﴿١٢﴾ هَذَا يَدُلُّ عَلَى سِفَةِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ عَمَلٍ وَعَمَلٍ الْمَعْنَى الْحَقِّ تَأَكِيداً وَبِإِذْنِ رَبِّهِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ دَعْوَةُ إِلَيْهِ دَعْوَةُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالتَّوَاصَوْا بِالْعَمَلِ أَوْ يَصْغُرُ عَنْ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَهَذَا كَقَوْلِ السُّورَةِ جَامِعَةٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا وَهَذَا يَقُولُ الشَّافِعِيُّ تَوَاصَوْا بِالنَّاسِ تَوَاصَوْهُمْ لَوْ تَأَمَّلُوا مَعَانِيهَا الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا تَوَاصَوْهُمْ فِي دِينِهِمْ وَفِعْلًا بِأَرْبَعٍ هَذَا مَعْنَى وَسَعَهَا أَنَّهَا تَعْنِيهِمْ فِيمَا يَرْغَبُونَ فِي عَدَدَةِ اللَّهِ حُلٍّ وَحَلًّا وَدِينِهِ ثُمَّ ذَكَرَ دَلِيلًا آخَرَ وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ مُسْتَدَلًّا بِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى.

• • •

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: تَلَبَّ: الْعَمَلُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلُ وَالْقَوْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَتَدْعُونَنَا إِلَى اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَتَسْتَفْتِينَا بَيْنَكَ﴾ أَحْمَد ١١٩ هَذَا بِالْعَمَلِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

الشرح:

القول هو قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أَحْمَد ١١٩ وَالْعَمَلُ ﴿وَتَسْتَفْتِينَا بَيْنَكَ﴾ أَحْمَد ١١٩ هَذَا عَلَى أَنَّ الْعَمَلُ يَسْقُ وَأَنَّ الْعَمَلُ لَا يَدُ مِنْهُ وَالْعَمَلُ يَكُونُ مِنْ قَوْلٍ وَالْقَوْلُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ وَهُوَ أَوَّلُ مَرَّةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ وَلَكِنْ بِسِفَةِ الْعِلْمِ وَالْفَرْغِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يَشْهَدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ هَذَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَهُوَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالَةُ مِنْ أَوْلَاهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَأَوَّلُ رَسُولٍ يَقُولُ لِقَوْمِهِ ﴿أَلْبَسُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ دِينٍ غَيْرِهِ﴾ الْأَمْرُ ١٢٩ وَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وكذلك الذين جاءوا بعده، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَاسِلًا لِيُنذِرَ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنَّهُمْ أَقْبَدُوا إِلَهُهُ﴾ (اسمر ٢٣١)، يعني كل رسول يقول لقومه: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا تَكُونُونَ فِيهِ تُقُورُونَ﴾ (الأنعام ١٥١)، ﴿أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا تَكُونُونَ فِيهِ تُخْشَرُونَ﴾ (الأنعام ١٥٢)، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا تَكُونُونَ فِيهِ تُخْشَرُونَ﴾ (الأنعام ١٥٣)، فعبادة الله هي معنى لا إله إلا الله واجتناب الطاعنات الذي اشتملت عليه الكلمة، الكلمة المنعشة على نبي وإنيته، النبي هو نبي المعبودات غير الله جل وعلا وهي الطوائف، والإنيته إثبات العبادات لله وحده، فإذا قورن: «باب العلم قبل القول والعمل» أمر متفق عليه بين العلماء، أنه يجب على الإنسان أن يعلم أولاً وذلك أنه إذا عمل بلا علم فيكون شبه فعل الساعي والسكران والمجنون ليس ثابتاً، وإذا شكك بذلك شك وإذا شئني - خلاف الشئ - الذي يكون بالعلم فإنه يثبت ولا يتزحزح عنه فلا بد منه ثم لا بد من العمل بالعلم، بعمل بعلمه ثم بعد ذلك يدبر ويصبر على الأذى فيه فهذه المسائل الأربع بشين منها أنها تكون فرض عين وتكون فرض كفاية.

وقوله: «اعلم بحبك الله» خطاب لكل فرد من الأمة أن هذا يجب عليه، وعليه من يعرف الشئ الذي يلزمه والشئ الذي يلزم الأمة عموماً ليس لازماً له إذا لم يكن من أهل العلم، والله أعلم، وعلى الله وبارك على نبيينا محمد.



اعلم زحمتك الله أنه يجب على كل مسلم وتسلية.

الشرح:

في الأول يقول: «اعلم أنه يجب عليك» وهذا يقول: «اعلم أنه يجب

على كل مسلم ومسلمة، والفرق بين هذا والذي قلناه أن هذا فرض يتعين على كل فرد، يجب على كل مسلم ومسلمة.



تَعْلَمُ هَذِهِ الثَّلَاثُ سَائِلَ.

الشرح:

هنا يقول: «تعلم» أي يجب أن يعلم ذلك، وليس مجرد تعلم فقط، يتعلمها؛ لأنها واجب عليها، ويجب أن يعلم ذلك، وهذا لا يباي السابق وإنما هو تأكيد له.



وَالْعَمَلُ بِهِنَّ.

الشرح:

لا بد من التعلم والعمل، وسبق أن العلم قبل العمل، وأنه مقدم عليه، لأن من شرط العمل أن يكون الإنسان عاقلًا لا بد، وفي ضمن هذا مسائلان:

أحدهما: أن يعلم ما كلفه الله به، وهذا أصل من الأصول الثلاثة. والثاني: أن هذا العلم الذي بعينه يجب أن يكون عن طريق الرسول ﷺ ليس عن طريق العقل، ولا عن طريق التقليد، ولا عن غير ذلك. وهذا أصل آخر، أن يعلم أن الله أوجب عليه ذلك وأن يأخذ ذلك عن الرسول ﷺ ولهذا لا يمكن أن يفيل عقل من الأعمال إلا بهذا، كل الأعمال مبنية على ذلك، والعلم ليس مجرد الوصول إلى معرفة أن هذا واجب وهذا محرم، العلم المقصود به أن يصل إلى القلب ويتحلى به القلب، ويصبح

قاصداً إليه جل وعلا بذلك، خاصصاً له دالاً بالأمر، ومفاداً له، أما العمل فهو امتثال الأمر واحتساب النهي في الظاهر فقط، وهذا أمر يتقيد بالشئ المعين الذي عليه رسول الله ﷺ عليه، على كل مسلم، لأنه ما جازاً بأوامر مطلقة وأوامر كثيرة ونواهي كذلك، بل أمر، بحسب، حكمة أمور إذا حافظنا عليها، دلتنا الحق، والخمس مئة وثلاث مئة الأولى منها أن بعد الله جل وعلا بالأمر الذي جاء به الرسول ﷺ، ومعلوم أن هذه تشمل الخمس كلها، أي أن عبادة الله تشمل كل الخمس، ولكن جعلت الخمس لتأكيد وزيادة البيان، وهي عبارة عن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذه واحدة، لأن الرسول ﷺ الذي بين وهو الذي يأتي بالأمر والنهي من عند الله، بمعنى ذلك أنه لا بد لنا من واسطة بيننا وبين ربنا، واسطة توصل إليه أمر الله جل وعلا ونهيه، لأن الله لا يكلمنا ولا يوحى إلينا كل مرة، هذه الواسطة هي الرسول ﷺ، والواسطة تكون في شئ معين فقط وليس في كل شئ، في بعض الأوامر والنواهي، أن هذا أمر الله كلنا بالإنعام وهذا أمر الله كلنا بالإنذار، فهذا الأصل الثاني، يعني كون الواسطة هو الرسول الذي بين لنا الأول أن تعلم أننا مكلفون، وسبكر هذا ويفصله فيما بعد، بفصله بطريقة السؤال والجواب، ولكن هو أي به مجملاً هنا، ويمكن هذا الإجمال لأنه واضح وبين.

• • •

أَرَأَيْتَ خَلْقَكَ، وَزَوَّجَكَ،

الشروع:

مجرد الخلق والزواج هنا قد يدركه عاقل، وهذا لا يمكنه في كون

الإنسان ينجو من عذاب الله جل وعلا. بل هذا لا يتصور به المؤمن من الكافر، الكافر يدرك ذلك ولا يفهم، يدرك أن الله حاققه وأن الله رآه ولا يحصى عنه شيئاً في ذلك.

ولكن المقصود بالخلق أن يستثنى به عنى أنه مكلف بعبادة الله جل وعلا، خلق وورث ولم يترك الخلق كاليهود ناكل وشرب ونهز ونفرب بل قيد بأوامر ولقد ينوهم يجب أن يستلها وإن لم يستلها فإنه لا يكون عبداً لله جل وعلا بل يكون عبداً للشيطان وعبداً للهواه وأكله وشربه والله وطوبى، والإنسان لا يفتك من عدى الأمرين، إما أن يكون عبداً لله جل وعلا أو يكون عبداً للهواه أو عبداً للشيطان أو عبداً للهواه أو عبداً لنفسه وسيد أو عبداً لزوج أو عبداً لما شاء الله جل وعلا من الخلق، جزاء من الله جل وعلا أن الذي يعرض عن عبادة الله جل وعلا أن يحمله عبداً لمخلوق مثله، فيكون عبداً لمخلوق مثله ضعيف لا يملك شيئاً.

ثم بعد ذلك إذا انتهت حياته هذه وهي قصيرة ليست طويلاً سيُجمع مع معبوده في نار جهنم ويكون كل واحد يلعن الآخر، يلعنه لأنه يرى أنه هو السبب في هلاكه، والواقع أنه هو الذي أعطاك نفسه، وهذا كثره، وبنا جل وعلا في القرآن كثيراً حتى تنبه وتعرف ذلك ونجته، ومقصودنا أن هذا أمر واضح، كون الله خلقنا أمر واضح وهو قال على وجوب العبادة، خلقنا وخلق لنا ما نأكل وما نشرب وما يرضينا كله من مخلوقات الله جل وعلا ونسخره، كما قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَارْزُقُوا آلِهِيَ خَلْقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١) الذي خلق لكم الأرض يربى والنساء يربى وأنزل من السماء ماء فالنخيل من الثمرات ربوا لكم فلا تجعلوا آلِهَةً دُونَهُ لِشَيْءٍ

تَمَسُّوْكَ ﴿ اَمْرٌ ١٠٠٠٠٠ ﴾

فهي الآية أن كل شيء من الله جل وعلا، الإيجاد ابتداءً والقيام على الحياة بعد الإيجاد بما صنعها وما يصلحها، فهو الذي ابتداءً وجودنا جل وعلا، وهو الذي أعم علينا بما يصلحنا، يصلح أبداننا ويصلح نفوسنا ويصلح ما يحتاج إليه من ديانا، كلها من الله جل وعلا وهو الذي أعم علينا بما يصلحنا، ولهذا قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ (الأنعام ٢٩)

فالمر عبادة أولاً ثم أمر بالتدليل الذي يوجب أن نعبد وهو كونه جل وعلا خالقنا وخلق لنا ما نحتاجه فهو مانعنا وهو الذي يبدؤ حياتنا وهو تبارك، فيجب أن نعبد، فإذا لم تفعل ذلك فإنه قد أعد لنا عذاباً عظيماً جداً، عذاب النار. نسأل الله العافية.



وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا هَمَلًا.

الشروع

الهمل هو الذي لا يؤمر ولا ينهى ولا يوجه، ولهذا تسمى الإبل التي نعلت من أصحابها هملاً لأنها ليس لها أحد يوجهها ويقوم على مصالحها بل تسلك الطريق، إما أن تهلك وتعطب وإما أن تجد من يقوم عليها من غير أهلها، فالهمل الذي لا يؤمر ولا ينهى، والله جل وعلا نفس ذلك، يقول جل وعلا: ﴿ أَفَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَقُولَ رَبِّي ﴿ ٣٦ ﴾ ﴾ (الأنعام ٣٦) يعني لا يؤمر ولا ينهى ﴿ أَلَمْ يَخْلُقْهُ مِنْ نَارٍ ﴿ ٣٧ ﴾ ﴾ (الأنعام ٣٧) ﴿ فَكَلِمَةً

أزواجهم أكثر والآلئ (٣٦) بالآلئ: كذا يشعرون أن يكون للآلئ (٣٦) الآية: ٣٦-٣٧، يقول جل وعلا أن كثيراً من الناس لو أكثرهم يتصورون فيما هم فيه من حياتهم أنهم لم يكلفوا بالأمر والنهي، أنهم تخلّفوا لهذه الحياة يتصرفون فيها حسب مراداتهم وأهوائهم، وهذا هو الأمل، يتصرف على ما يروق له، مثل ما يقول كثير من الناس أنا حر أفعل ما أريد، هذا كذب لست حر أنت عبد لله جل وعلا يجب عليك أن تلتزم أمره تجتنب نهيّه، فالذي يقول كذا يعني أنه شبه الرباهم، شبه البهيمة ﴿الْبَهِيمَةُ﴾ (البقرة: ١٦٦) الآية: ١٦٦.

﴿سُفْهُ﴾ هو الذي لا يميز ولا ينهى مهمل، ثم بين الدليل على أنه لا يترك سدى من نفس الإنسان، بين ذلك من نفسه فقال: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَشِيرٌ﴾ (البقرة: ١٧٧) الآية: ١٧٧. كان فطرة من ماء مهين فطرة لو تركت ساعة من النهار فسدت وأتت ولكن الله جل وعلا جمع بينه وبين ماء المرأة في قرار مكنين وجعل من الأسباب الداعية لذلك ما هو دليل على أن الله جل وعلا هو الذي يحب أن يعبد ويطاع، فركب الشهوة للجانبين الداعية لذلك وإلا لو ترك الإنسان عقله بدون مؤثرات ما القياد لأن المناظر مبهمة، عورة تلقي بعورة والعقل ينفر من ذلك، ولكن الله جل وعلا بفسرته وحكمته ركب في الإنسان الشهوة التي تدعو إلى ذلك ثم الأمور الداعية لإخراج الماء من مكان ضيق، يخرج من بين الصلب والترائب ثم يستقر في مكان محفوظ ثم يكون الله جل وعلا من الإنسان، وهذا الماء المهين يستحيل ثم يصبح دم ثم يستحيل ويصبح قطعة لحم ثم يكون عظماً ثم يركب منه أعضاء وأجزاء ويفتح فيه منافذ من اللحم والنفق والعينين

والأختين ويركبه تركباً من أعجب ما يكون.

من الذي يفعل هذا؟

لا المرأة ولا الرجل ولا أحد من المخلوق، فأبانت الله جل وعلا في الإنسان ﴿يَخْتَبِئُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُرَكَّبَ شَيْءٌ﴾ الآية: ٢٣١. هذا معنى قول المؤلف «خلفه» يعني يجب أن يفكر الإنسان في خلقه، وذكر الله جل وعلا خلق الإنسان في كتابه كثيراً ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَمِنْ حُجُجٍ﴾ (الطور: ١٠) بين أنه خلقه خلقاً عجباً وقال: ﴿وَقَدْ أَفْطَرْنَا تَحْتَهُ لَكُمُ التَّيْرُوتَ﴾ (الطه: ١٦)، يعني في أنفسكم آيات تدل على أن الله جل وعلا هو الذي يجب أن تعبدوه توحيدوه وأن تمشوا أمره، ثم جعل هذا دليلاً على النشأة الأخرى، على المعاد، على أنه سيعيدهم مرة أخرى ويجزيهم على أعمالهم، فهو دليل الموجود على الموجد ودليل على الجزاء والإعادة التي سوف تكون بعدما تفتي هذه الأبدان وتبقي أرواح إما معدية أو متعفة.



بَلْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا،

الشرح:

هذه هي الأولى في ضمنها ثلاث مسائل هي الأصول الثلاثة، في ضمنها وجوب عبادة الله جل وعلا وفيها أن العبادة تكون بالأمر والنهي، بأمر الله ونهيه، وفيها أن الأمر والنهي يأتي به الرسول ﷺ، فهذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على المسلم أن يتعلمها ويعرفها وما بعد هذا كله من الواجبات التي تجب لهذه الأصول، كون العبادة توحيدية، وتوحيد الله جل وعلا، أن يفرد بالعبادة، والعبادة لا تكون عبادة شرعية إلا إذا



كانت لله وحده وهو التوحيد، أما عبادة مشتركة تكون بين الرب جل وعلا وبين غيره من المخلوقات، فهي وإن سميت في اللغة عبادة فهي باطلة وهي الشرك الذي حرم الله جل وعلا النجاسة على صاحبه إذا مات على ذلك.

فالرسول الذي يرسله من حكمته جل وعلا ورحمته أنه يجعل معه آيات تدل على أنه رسول من عند الله لكلا يفتخر الناس بأن كل من قال: أنا رسول أو أنا جئت بكلاماً وكلاماً من عند الله ينسب ذلك بما هو حق، فجعل له آيات في نفسه كما سيأتي وآيات يجعلها الله جل وعلا له لا قدرة له فيها وإنما هي من خلق الله جل وعلا وبأمره وإرادته كما سيأتي في كيفية معرفة الرسول.

كيف تعرف رسوله ﷺ وكيف تعرف الأمة رسوله؟ كل أمة لها رسول ولا بد أن تتحقق من ذلك، أما معرفة الله جل وعلا بأنه خالقها فإذا لم يهتدي الإنسان إلى ذلك في نفسه فإن أمامه أشياء كثيرة جداً تدل على أن الله عالقه، ومن المخلوقات المشاهدة كما قال الله جل وعلا ﴿سَمِعْ بِهِمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ قِيلَ لَهُمْ هِيَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ فَالْتَفَتُوا﴾ الرسول أو الدين الذي جاء به كله سواء وشمل هذا وهذا، يتبين أن الرسول حق جاء من عند الله وأن الدين الذي جاء به حق جاء من عند الله كله يتبين من ذلك بالنظر.

والله جل وعلا جعل في الإنسان عقلاً منذ خلقه، وفطره على نظرية المعرفة، معرفة المؤثر أن كل أثر له مؤثر ولا بد حتى الطفل الصغير، إذا ضرب وتألم، لو قلت له ثم بضربك أحد أسكت، لا يفتتح بذلك ولا

يرضى حتى نقول اضرب من ضربك ومن الذي ضربك أعاقبه، عند ذلك  
يقنع لأنه يعرف أن الضرب له صائب، والأثر له مؤثر، هذا أمر منطوق  
عليه المخلوق حتى الصغير الذي ثم يصير حتى الآن.

فهذا إذا نظر الإنسان لما حوله من الجبال ومن الأشجار ومن  
الأنهار ومن البحار ومن السماء ومن الحوم والرياح والسحاب والأمطار  
وغيرها لابد أن يكون لهذه موجود أوجدها، لأنه لا يمكن أن يكون جبل  
يوجد جبل ولا شجرة توجد شجرة، ولا إنسان يوجد إنساناً، ولا يمكن  
أن تكون سيارة أو حدة سيارة، أي صنعت سيارة، لابد أن يكون الموجد  
غير هذا الذي نشاهده من الموجودات، ولابد أن ينتهي العقل إلى شيء  
يقنع به، لأنه لو قيل مثلاً: هذا المخلوق أوجده مخلوق أكبر منه، فذلك  
المخلوق من أوجده؟

أوجده مخلوق آخر ثم تسلسل الأمور إلى ما لا نهاية وكل هذا  
باطل، ودليل على البطلان.

فلابد أن تنتهي المسألة عند خالق عليم بصير قدير بيده ملكوت كل  
شيء، هذا من الآيات التي يذكها العقلاء كلهم بالمشاهدة والنظر، وهي  
كافية في وجوب عبادة الله جل وعلا.

ثم كذلك من الآيات إجابة الدعاء، كل إنسان جرب هذا وكل  
مخلوق سواء كان مؤمناً أو كافراً، لأنه لابد أن يضطر، تضطره الحياة إلى  
أمر يقع فيه فينتج عنه شيء من هذا الكروب ومن هذا الأمر  
فيجيب بالفرج بعد الالتجاء والصدق، ولهذا جعل الله جل وعلا ذلك  
دليلاً على وجوب عبادته كما قال جل وعلا: ﴿أَلَمْ يُخَيِّضِ الْمُضْطَرِّ إِذَا تَدَعَا

وَيَكْنِيفُ الشَّيْءَ ﴿السن: ١٦﴾. من؟ الله جل وعلا، هو الذي يحيب المفسطر إذا دعاه، حتى إن البهائم إذا وقعت في شدة وكرب ترطع رؤوسها إلى ربها جل وعلا تستغيث به، حتى الحيوانات جعل الله جل وعلا فيها الإحساس والإدراك لذلك.

وقد قص الله جل وعلا علينا أشياء فيها عبر ما ذكره عن نبيه سليمان عليه السلام، أنه لما أتى على ولدي النمل وقد أعطى منطق الحيوانات ومنطق الطير، سمع نملة تحذر قومها وأصحابها تقول: ﴿اتَّقُوا سَيِّدَكُمْ لَا يَحْتَسِبُكُمْ شَيْئَكُمْ وَخُذُوا زُرْقًا يَتَذَكَّرُ﴾ ﴿السن: ١٨﴾ لأنكم لستم عنده شيء، لا بركاتكم، هذا من آيات الله جل وعلا، في مستدرك الحاكم وغيره أن النبي ﷺ ذكر نبأ خرج بقومه ليستفي بهم فوجد نملة مستلقية على ظهرها ورأسها قوامها إلى السماء وتقول: اللهم إني خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك. فقال: أوجعوا فقد سبقتم بدعوة غيركم<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث أيضاً عنه ﷺ أن الحباري تلحن عصاة بني آدم إذا تأخر القطر، تقول: متعنا القطر بسببكم، ويقول ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة: حدثني الثقة بقول أنه شاهد نملة تحاول أن تعمل حبة كبيرة فما استطاعت، فذهبت وجاءت بجماعة من النمل تستعين بهم، فلما وصلت إلى المكان الذي فيه الحبة رفعت الحبة، فذارت ودرت، فلم

(١) عزاء السيوطي في هذه المصنوع لا ابن أبي شيبة، وأحمد في الترمذي، وابن أبي حاتم عن أبي بصير التاجي.

والقطر: اجتماع الميوش الإسلامية لابن القيم ص (٣١١، ٣٢٨).

يجدون شيئاً فالتعريف، فوضعت الحبة وحملت النملة التي كانت تحاول  
لتحاولت مرة أخرى فما استطاعت، فذهبت وجاءت بالجماعة، فلما  
أقبلن ورفعها، غدارت وخرق في المكان فلم يجدنها فالتعريف، فوضعتها  
فحملت لتحاول فما استطاعت، فذهبت وجاءت بالجماعة، فلما وصلن  
إلى المكان رفعها ثالثة، غدارت وخرق في المكان فلم يجدنها، فتقابلن  
عليها فقطعنها، لأنها كذبت عليهن ثلاث مرات.

وفي تاريخ البحاري عن عمرو بن شعوب أنه رأى فرودة زنت  
فاجتمعن عليها الفرود فرجسها ورجسها معهم في الجاهلية<sup>(١)</sup>، وإذا  
نظر الإنسان في الحيوانات والطيور كيف جبلها الله جل وعلا على  
مصالحها، كيف إذا أهدت الطيور قبل أن تقترب تهدأ، تجمع العنق  
وتهدئة ثم يهش مكاناً نليضة ثم يهش عليها حتى تنفس ثم يقعن  
بشربتها وجلب الماء والغذاء لها إلى أن تصل إلى الطيران ثم بعد ذلك لو  
وأبها تغلب منهن شيئاً فالتفها، بأمرها بالذهاب لطلب الرزق، فكل هذا  
ليس من عقل فيها، وإنما هو أمر جبلها الله جل وعلا عليه إذا نظر الإنسان  
إليها علم أن لها خلقاً خلقها ﴿قَالَ رَبُّهُمَا أَنتُمُ الْفَاعِلُونَ﴾ ثم هدى ﴿

الح ١٠٠

جل وعلا هداها لمصالحها، في مصالح حياتها، وأما الهداية التي  
فيها عبادته فهذه لمن كلفه الله جل وعلا بعبادته من الجن والإنس، وأما  
هذه فهي هداية لحياتها وهي من مصالح بني آدم، ولهذا يقول القائل:

(١) البخاري (٣٣٨١٩) كتاب مناقب الأنبياء، باب القصة، من طريق نعمان من

عبد الله، نقله مشيم من حصى عن عمرو بن شعوب.



في الدنيا ووعده في الآخرة المجزاء العظيم الذي يسعد فيه أمة الأبدية وإذا  
عصى فإنه يعاقب في الدنيا ثم يصير بعد ذلك إلى جهنم، فنص علينا قصة  
أبونا نوحا خلق آدم من تراب وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته،  
أمرهم أن يسجدوا له ثم أسكبه الجنة وخلق روحه منه، فام نومة فاستنطق  
وهي عند أبياح الجنة بالأشجرة واحدة، فأتى هذه الشجرة لا تقرباها  
وحذرهما من الشيطان، ولكن أمر الله الذي قضاه لأبى منه، وقص علينا  
قصة نوح مع قومه كيف أهلكتهم وأهلكوا لأنهم عبدوا غير الله ثم قص علينا  
قصة هود مع قومه ثم قصة صالح مع قومه ثم قصة شعيب وإبراهيم  
وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل، والرسل الذين جلاؤا في القرآن  
خمس وعشرون رسولا ذكرهم الله جل وعلا ينصصهم وأخبر أنهم  
جلاؤوا بالهدى إلى قومهم، وقد قال بعض العلماء أنه يجب على المسلم  
أن يعرف الرسل الذين جلاؤوا في القرآن، لأن الله جل وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا  
الرَّسُولُ بَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا كُلٌّ يَجْعَلُ آلًا قَدْ يَجْعَلُونَ﴾  
﴿الأنعام: ٨٥﴾ هذه من الأصول، لابد من الإيمان بالرسل كما أنه  
لابد من الإيمان بالملائكة كما سيأتي.



### فمن أطاعه دخل الجنة.

#### الشرح

أطاعه: تبع ما جاء به، لأن هذا أمر الله، أمرنا أن نطيعه، وهذا نبيه  
نهانا أن نكفره، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، وليس الأمر مطلقا هكذا،  
فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، قال لنا: تعبدوا الله ولا



بعض المحرمات، ولكن الأصول معه، أصل الدين وأصل التوحيد معه لم يعمل الشرك ولم يجحد واجبات الله ولم يحل محارم الله بل ارتكب ذنوباً واعتترف بأنه مذنب فيموت على هذا، معه التوحيد ولكنه معه ذنوب بترك واجبات وإرتكاب محرمات وهو معترف أنه مقصر وأنه مذنب، فهذا من السعداء وإن أصابه ما أصابه، إذا عاقبه الله بحل وعلا على ترك الواجب أو فعل المحرم، فإنه يكون عقاباً مؤقتاً، إما في القبر فقط، فإن لم يغي ذلك يكون في الموقف من الكرب والمشدّة لأن قرب الموقف يتفاوت تفاوتاً عظيماً، وإن لم يكفي ذلك يكون في النار، يوضع في النار قدر جرمه ثم بعد ذلك يخرج فيكون من أهل الجنة أبداً خلافاً مطلقاً فيها.

أما المقصود فهو الذي اقتصر على فعل الواجب وترك المحرم، هذا إذا اقتصر على فعل الواجب وترك المحرم فإنه لا يناله عذاب، فهو من السعداء ولكن من عباد الله من هو أرفع منه درجة وهم السابقون بالخيرات الذين يتقربون إلى الله بالتواضع بعد أداء القرائن ويتقربون إليه بترك المكروهات بعد ترك المحرمات، هؤلاء هم الذين يسبقون إلى الدرجات العلى، وهم أيضاً يتفاوتون، فالمقصود أن هذا طاعة الرسول الذي جاء به، أمر واضح ليس فيه خفاء، فمن أطاعه في الجملة دخل الجنة لأنه عبد الله ولم يشرك به شيئاً وإن ترك بعض الواجبات وارتكب بعض المحرمات فهو في الجنة ما له إليها، أما إذا لم يطعه وعصاه فمثل هذا يقال أنه كافراً لأنه رد قول الرسول ﷺ إما جحداً وإنكاراً وإما عداوة وتكبراً.



أما الطائع والمرتكب المحرم بهذا لا يذلل أنه كافر ولا معاند بل سؤلت له نفسه وزئير له الشيطان فوقع في المحرم وترك بعض ما وجب عليه وأمره إلى ربه جلي وعلا، إن شاء عفا عنه وإن شاء أخذ به بعدما يعاقبه بما يستحق يكرمه بأن يدخله الجنة

• • •

وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

الشروح:

وقوله: «مَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ»<sup>(١)</sup>. يعني أن المصير بعد الموت إما إلى الجنة أو إلى النار، فهذا من المفروغ التي يجب أن يؤمن بها فروج هذه المسألة، أن الله خلقنا وتبختنا، من راجباتها، أن يعلم بالجزاء، والجزاء يكون بعد الموت مباشرة، ثم يتصل هذا بعث الأبدان وتركيبها مع الأرواح تركيباً لا يقبل المفارقة أبداً، فيتم الجزء هناك فيكون إما في الجنة وإما في النار، أما أوله فيكون بعد الموت مباشرة وهو نعيم الطير أو عذابه، هذا من الجزء، جزاء الآخرة، ولكنه أمر من الأمور الآخرة، ولهذا الإنسان إذا مات قامت قيامته، قامت ساعته، والساعة قسماً: ساعة كبرى تعم الخلق كلهم وهي النسخ في العصور، وساعة خاصة لكل إنسان إذا مات قامت قيامته.

• • •

(١) البخاري (٢٧٩٠) كتاب الاحكام والكتاب والسنن باب الاعتقاد، يعني رسول الله ﷺ

وقوله الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَشَاءُ لَقُتِلْتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٧٩) «وهو أصح» (٢٧٩) يعني

صحة التكرير، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ذكره الألباني في «المشكاة»

وَالَّذِينَ قَالُوا قَدْ آمَنُوا ﴿١٤﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا أَنْ يَتَذَكَّرُوا

يُؤْتُونَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَقَالُوا قَدْ آمَنُوا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا أَنْ يَتَذَكَّرُوا ﴿١٦﴾

### الشرح

هذا فرد من أفراد الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الله جل وعلا كلّفنا وتعبّدنا، وتكليفه لنا بواسطة الرسول ﷺ، والإرسال معناه أن يكلف بإبلاغ أمر الله جل وعلا، وأمر الله هو الرسالة، أمره ونهيه والرسالة كما هو معلوم، فالرسول ﷺ رجل حر مكلف بأمر الله جل وعلا بخطابه بوجبه إليه، وكلّفه بإبلاغه العباد، وسيأتي كيفية معرفة الرسول، كيف نعرفه.

وقوله: ﴿إِنَّمَا تُرْسِلُ بِإِذْنِهِ﴾ انظر ص ١٥

وقوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْكَ﴾ انظر ص ١٥ يعني أن الرسول يشهد علينا بأنه بلغنا، وهذا يكون يوم القيامة. يشهد أمام الله جل وعلا، لأن الله جل وعلا يقول: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَوَعَدْنَا الْمُؤْمِنِينَ الْوَعْدَ الْحَقِّ﴾ (الأنعام ١٠٦) لا بد من سؤال الرسل وسؤال المرسل إليهم، هل جاءكم الرسول؟ هل بلغكم؟ هكذا يسألون، إن أنكروا ماذا يقال؟ يسأل الرسول هل بلغكم؟

فرسول الله ﷺ شاهد علينا، يشهد علينا والله جعله علينا شاهداً، كما ذكر الله جل وعلا في آيات متعددة، أنه يأتي أمام الله جل وعلا ويقول: إني بلغتهم، وكان ﷺ في المواقف التي تكون له في اجتماع الناس يستطعمهم ويسألهم هل بلغكم؟

فإذا قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد. اللهم اشهد. قال هذا يوم عرفة،  
وقاله في غير عرفة، وقاله في كل مناسبة، قاله إذا بلغ واجباً وإذا نهى عن  
محرم، كما أنه لما نهى عن الغلول قال: «لا أكفين أحدكم يأتي يوم القيامة  
على رأسه يعبر له وغناه يقول يا رسول الله أنظفني، فأقول: لا أملك لك من  
الله شيئاً قد بلغتك»<sup>(١)</sup> ثم ذكر بقية الأموال، فالرسول يكون شاهداً عليهما،  
أما شهادته على من شاعدهم وعاشهم فهو يشهد عليهم بأنهم بلغوا  
حيث وصل إليهم أمره ونهيه، وإن شهادته على بقية الأمة فلاه نشر ذلك  
وبلغ أصحابه وكلف أصحابه أن يبلغوا من بعدهم، والذين بعدهم يبلغون  
من بعدهم إلى يوم القيامة، وهذا الذي يقول الشيخ أنه يجب علينا العلم  
والدعوة يعني التبليغ الذي كلفنا به، هذا في العموم وقد يكون في  
الخصوص كما سبق، وقد ذكر الله جل وعلا في القرآن أن الرسل شهداء  
على قومهم كل رسول يكون شهيداً على قومه وجاء تفصيل ذلك في  
أحاديث الرسول ﷺ، حتى أنه لما ذكر أن تكون شهادة على الناس  
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَشْهَدُوا عَلَيْكُمْ وَحَدَّائِهِمْ وَالْبَاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ  
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> الآية ١١٤٣، فهذه الأمة تشهد للرسول بأنهم بلغوا  
والرسول ﷺ يشهد علينا بأنه بلغنا، وشهادتهم للرسول أيضاً تبلغوه من  
كتاب الله الذي جاء به رسول الله ﷺ، وفص عليهم قصص الرسل، بأن  
نوح دعا قومه بالبينات وجاءهم بالهدى فكذبوه، فيشهدون أنه بلغ قومه،

(١) البخاري (١٣٠٦٣) كتاب الدعاء والسير، باب الغلول، وفيه ما مر وجعل الله من كل رجل

بشأنه يوم القيامة ﴿إِنْ كَانَ مِنْهُمْ رَاسِدٌ﴾ (١١٤٣) كتاب الإفك، باب غلط تعريض

الغلول، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ذكره الألباني في «المشكاة»

وكذلك هو وصالح ولوط وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل  
الذين جاءوا بأخبار مآلات، هذه الأمة تشهد لهم لأجلها ببلّغت ذلك مما جاء  
به رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَمَرْتُ مُوسَىٰ بِرَبِّهِ أَنْ يَأْتِيَ بِنُوحٍ إِلَى الْكَافِرِينَ﴾ كثير ما يفرق الله جل  
وعلا بين رسولنا ﷺ وبين موسى، وكثيراً ما يردد عليه قصة موسى لأن  
موسى عليه السلام شبه بمحمد ﷺ في دعوته وفي نزولته الناس، وفي  
العذاب الذي أودى به، وفي آيات التي جاء بها، ولهذا لما قال له  
الرجل الذي جاء وعصب نفسه ناصحاً لرسول الله ﷺ - لظهور والشيطان  
- قال له: أعدل فإنك لم تعدل. قال: فويلك لقد هلكت إن لم أعدل فمن  
يعدل؟ وقال: يا لمسي الله جل وعلا ولا تأتونني على المكال. قال: وحم  
الله موسى، لقد أودى أكثر مما أوديت فصيحة، وهذا هو سر قرن قصته  
بقصته وكتابه بالكتاب الذي جاء به الرسول ﷺ حتى يسلي بذلك ويكون  
له فيه نصير.

﴿فَتَنَزَّلُ فِي ثَمُودَ الْأَنْبِيَاءُ الْفَارُوقَ﴾ العنبر ١١٠ هذا تمثيل، وإلا  
فرسولنا أرسل إليهما كما أرسل لسائر الأمم والرسالة واحدة، ولهذا أخبر  
الرسول ﷺ أن الرسل فيهم واحد، وقال الله جل وعلا: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾  
سجدة ١٨. قال ص ١١٠. فكل رسول جاء بالإسلام.

• • •

الثانية:

أَنْ لَا تَرْضَىٰ أَنْ يَفْرُقَ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَا تَفْرُقْ تَفْرُقْ، وَلَا تَفْرُقْ  
تَفْرُقْ.

## الشرح

تقدم أن الشيخ رحمه الله ذكر أنه يحب علينا تعلم أربع مسائل، والعمل بهن، وذكر أنها المعلم، والدعوة إلى المعلم، وكذلك العمل بالمعلم، والصبر على الأذى فيه، هذه مقدمة في الأصول، وهي داخلة في الأصول، وكذلك الثلاث المسائل التي ذكرها، تعود إلى مسألة واحدة وهي وجوب عبادة الله، وحقوق العبادة ولوازمها، فمن عبد الله وجب عليه أن يترك الشرك؛ لأن العبادة ما يصلح إلا بترك الشرك مطلقاً، ولا يمكن أن توجد عبادة إلا بترك الشرك، ثم لا يمكن أن تكون عبادة بموافقة الأمر واجتناب المنهي إلا بمعاداة المشركين، ولا بد لأن من يدعي أنه يحب الله ثم يوالي المشركين فهو كاذب لا يمكن أن يجتمع هذا أبداً، فهو أمر من لوازم العبادة.

أما الإخلاص الذي عبر عنه بأنه ملة إبراهيم فهذا أصل العبادة: لا بد أن تكون بالإخلاص والمقصود أن المسائل الثلاث هذه تزول إلى شيء واحد وهو وجوب عبادة الله جل وعلا، الأولى أن الله خلقنا وبرزقنا ولم يتركنا عملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، معنى ذلك أن الحجة قامت علينا، ومعناه أننا نحلفنا ودلائل الخلق قائمة بأنفسنا وبالشئ الذي يدور حولنا من آيات الله الفعلية وآياته القولية التي يرسل بها الرسل وآياته الخلقية في الأنفس وفي الأفاق، فهي دلائل قائمة توجب أن يكون المعبود هو الله حقاً وألا يعبد إلا هو، ولكن العبادة لا تكون إلا بما جاء به الرسول ﷺ ولهذا قال «لم يتركنا عملاً» يعني أنه أمرنا ونهانا عن أشياء معينة، وفعل هذه الأمور واجتناب المحظورات هو التكليف بالعبادة التي تعبدنا

الله جل وعلا بها.

أما الثانية وهي قوله: فإن الله لا يرضى أن يتشرك معه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، يعني أن العبادة يجب أن تكون لله، والشرك هو السهم في الشيء، إذا كان هناك شيء معين وحده فيه شركاء، فلكل واحد سهم منه، والعبادة لا تجعل أسهم، ما يجعل سهم منها لله وسهم منها للنبي وسهم للملك وسهم للنبي، يعني نصيب. يجب أن تكون العبادة كلها لله خالصة، والشرك الذي يقع من الإنسان على نوعين كما هو معلوم، نوع أكبر يجعل الذي يعمل به إذا مات عليه خالداً في النار مؤزناً منه بأن يناله رحمة من الله، هذا إذا مات على الشرك، لقول الله جل وعلا:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ، وَيَعْلَمُ مَا كُنَّ قُلُوبُهُمْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ١١٨)، وقوله

جل وعلا: ﴿وَمَا هُمْ بِمُتَّحِقِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (النور: ١١٧)، وقوله جل وعلا:

﴿لَنْ يَرْضَى عَنْ شِرْكِكَ الْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ يَكُونُوا لَكُمْ آيَةً وَمَا كَانَ لِكُمْ مِنْهُنَّ أَلْفٌ﴾

﴿النساء: ٦١﴾.

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين أن المشرك إذا مات مشركاً لم يخاله في النار، مهما كان وإن كان عبداً وإن كان يصلي ويصوم، فإن مات مشركاً وإن كان عليه صلاة وصوم فهي لا تنفعه.

والنوع الثاني شرك أصغر، هو كثير، يقع من الناس كثيراً، ويقصد به حب النفس في الواقع، كون الإنسان يحب نفسه، فيعمل أعمالاً يظهرها للناس حتى يشتموا عليه بها، حتى يمدحوه، حتى يحبوه، ويكون ذلك من حظ نفسه، فهو يعبد نفسه، لو أنه يعمل أعمالاً من أمور الطاعات ويقصد

بها أمور الدنيا، يتحصل على شيء من أمور الدنيا، وهذا يختلف باختلاف ما يقوم من قلب الإنسان، قد يكون أكثر وقد يكون أصغر، ولكن الأصغر جاء أنه يسير الرياء يعني فطيق الرياء والحلف بغير الله، وقول العبد: لولا الله وأنت، لولا كذا لكأن كذا، وما أشبه ذلك من الألفاظ التي فيها الاعتراض على القدر وعلى تدبير الله جل وعلا وأحكامه وإفاته وتصرفه، فإن هذا نوع من الشرك الظعني وهو من الشرك الأصغر الذي لا يخرج الإنسان من الدين الإسلامي، ولكنه مع ثبوته أصغر هو من أكثر الكبائر ومن أعظم الكبائر نسأل الله العافية، والعبادة التي أوحىها الله لا تكون إلا بالإخلاص، والإخلاص معناه أن يكون العمل خالصاً لله جل وعلا ليس به شيء من الرياء والشرك والشوائب التي تلصقه.

وقوله: فإن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا مملك مقرب ولا نبي مرسل، هذا تفسير للعبادة؛ لأن العبادة لا تكون عبادة شرعية إلا إذا كانت هكذا، إلا إذا كانت خالصة لله جل وعلا، أما العبادة في اللغة فهي مأخوذة من اللذ والخضوع، قال: ذل إذا عبد، ولهذا يقال: طريق معبد، إذا ذل لوطه، الأقدام وحار سلوكاً وأصبحاً معبد، فهو مأخوذة من اللذ والسكون والخضوع والعبادة مأخوذة من هذا، وهذه تحصل لله جل وعلا، وتحصل للغير، والعبادة بهذا المعنى تكون لله وتكون للمخلوقات، ولكن العبادة الشرعية هي أن تكون خالصة لله جل وعلا وليس فيها شيء للغير.

• • •

وَالَّذِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَعِذُّ بِمَوْلَا تَعْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ لَيْدًا﴾

(العين: ١٨).

## الشروح:

يعني هذا غرضه، وإلا لفرأى كله أولاً على هذا الأصل العظيم، كله من أوله إلى آخره، أوله ﴿تَعْبُدُونَهُ﴾ ثبت التثنية ﴿الْحَمْدُ﴾ ١٤. هذا دليل على وجوب العبادة لله جل وعلا، لأن الحمد أعظم العبادة، أعظم الحمد أن تعبد به عبادة، يجب أن تكون لله رب العالمين، والسورة كلها هي العبادة، إما عبادة الربوبية وإما عبادة الأسماء والصفات، عبادته بأسمائه وصفاته كقول الرحمن الرحيم، أو عبادته بالمعاملة التي تجري من العبد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ١٥. وكذلك سور القرآن كلها هي التوحيد وفي ذكر الجزاء عليه وذكر الجزاء من ترك التوحيد وعقابه وذكر ما لقى الله جل وعلا مما فعل بأهل التوحيد أو أهل الشرك منذ أرسل لأول رسول نوح إلى أن انتهت الرسل بمحمد ﷺ.

فالواقع أن القرآن كله في التوحيد، ولكن هنا يقول في هذه الآية أنها واضحة ﴿وَأَنَّ التَّسْبِيحَ﴾ النور ١٠٠، ﴿وَأَنَّ﴾ الواو عاطفة على ما سبق وهي قوله: ﴿قُلْ أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ النور ١٠١ الصورة عطف على هذا، ﴿وَأَنَّ التَّسْبِيحَ﴾ النور ١٠٢ يعني أو هي إلى أن المساجد لله، والوحي أمر، والمساجد إما أن تكون مواضع السجود الأماكن التي يبيت للسجود فيها، والصلاة تكون لله يجب أن تكون محلاً للعبادة الخاصة لله جل وعلا، وألا يكون فيها شيء غير ذلك، أو أن تكون المساجد أعضاء السجود، يعني أنها لله يجب أن تكون خاصة لله وألا يكون سجود العبد لأحد من الخلق أو شيء من الخلق.



﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ [المن: ١٨]. الدعاء هنا يقصد به دعاء العبادة وهو غالب ما في القرآن لأن الدعاء ينقسم في القرآن إلى قسمين: دعاء بمعنى دعاء المسألة وهو السؤال شيء، معين كقول الإنسان: وما أنا في الدنيا حصة وفي الآخرة حصة، فلما دعاء مسألة، ودعاء عبادة قوله جل وعلا: ﴿وَأَيُّهَا سَائِلِكُمْ بِيَكَايَ عَنِ فَإِنَّ مَرِيضَ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِمْ رَبُّهُمْ يَرُدُّهُمْ﴾ [نور: ١٨١]. وكفوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُمْ أَنتُونِ أَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾ [نور: ١٦٠]. هذه فسرت بدعاء العبادة وفسرت بدعاء المسألة، وكل دعاء وعبادة يتضمن المسألة وكذلك المسألة تتضمن اللذ والخضوع والحاجة وهي عبادة لأن العابد يعبد حتى يتحصل على ما ينفعه من المعبود ويدفع بعبادته ما يضره ويخافه ويرهبه من المعبود الذي يملك ذلك، ولا بد أن يكون المعبود مالكا للمرجو ومالكا لدفع المرجوب المخوف وإلا تكون عبادته ضلال كما بين الله جل وعلا للمشركين أن عبادتهم ضلال ولا تجزي شيئا.

وقوله: ﴿أَلْحَا﴾ [المن: ١٨]. تكرر جاءت في سياق النهي تكون عامة، فلهذا شملت الخلق كله، فلا يجوز أن يُدعا غير الله جل وعلا، فهذا من خصائص الله، ومعنى ذلك أن الله على العباد والزمهم بحقه وحقه العبادة، فيجب أن تكون خالصة له، فإن قدر أن أُلحدا منهم يجعل من العبادة شيئا لغيره فهو المشرك الذي أعبر الله جل وعلا أنه لا يقدره.

أَنْ عَزَّ أَطَاعَ الرَّسُولَ. وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَجُوزُ لَهُ تَوَالُفٌ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ  
وَرُسُولِهِ، وَلَمْ تَكُنِ الْقُرْبُ قَرِيبًا.

الشرح،

هذه المسألة من توأزم العبادة لأربعة للمسألة الأولى، وليست مسألة  
مستقلة تكون أصلاً حتى تقول مثلاً: الأصل الأول: عبادة الله، والأصل  
الثاني: عدم الشرك، والأصل الثالث: عدم موالات الكفار.

يقول هذه المسائل الثلاث كلها تزول إلى شيء واحد وهو عبادة الله  
وحده، وإن يعبد وحده، ولا يوجد عبادة الله إلا بترك الشرك، ولا يمكن  
أن تكون العبادة عبادة صحيحة إلا بمعدودة أعداء الله وموالات أولياء الله  
كما قال الله جل وعلا: ﴿قُلِ الْفِتْرَةُ مِنْهُنَّ الْفِتْرَةُ قَوْلُ الْفِتْرَةِ مِنْ قِبَلِهِ وَتَزَوُّجُ  
الْفِتْرَةِ مِنْ قِبَلِهِ وَتَزَوُّجُ الْفِتْرَةِ مِنْ قِبَلِهِ وَتَزَوُّجُ الْفِتْرَةِ مِنْ قِبَلِهِ وَتَزَوُّجُ الْفِتْرَةِ مِنْ قِبَلِهِ﴾  
(المراد ١٦٠). هل بقي في هذا للمخلق شيء؟

الآية ما تركت شيئاً أبداً للمخلق، وأصبح الأمر كله بيد الله جل وعلا،  
إذ إن أعطى أحد من المخلق شيئاً فهو منه من الله ومفضل، وسوف ينزع منه  
ويعطى غيره ما يستقر عنده والمال الذي يكتبه الإنسان بكده وكسبه  
وعمله فضل من الله ونعمة؛ لأن الله قزاه وسر له الأسباب ثم بعد ذلك  
سوف يتركه للحوادث وربما كله من يستعين به على معصية الله ولا يحمده  
جاءه له والمقصود أنه يسلب ما أعطى؛ لأن الأمر كله لله ويرجع إلى الله  
جل وعلا.

ثم قال بعد ذلك: ﴿لَا يُلْهِمُ الشَّيْطَانُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شَيْئاً وَمَنْ  
يَتَّبِعْهُ يَكُنْ مِنْ كَافِرِينَ﴾ (المراد ١٦٠). فدللت الآية على أن هذا

من تمام عبادة الله ومن لوازمها لأوام عبادة الله ألا يتعد العابد الكافر وأولاه، والمواالات معها المحبة والصبح، إهداء الطيبة والمواظفة وتكون الإنسان يبقى معه، أما إذا جاءت الحاصرة الصرفة بهذا يسمى نولي، وهذا هو الذي قال فيه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ فَيَكُنْ بِكُمْ يَبْتَغِ الْإِيمَانَ﴾ [٥١]، يعني هو كافر مثلهم، والنولي هو الذي تكون فيه الحاصرة بأن يتأصرون إما بالمال أو بالسلاح أو بالنفس وهذه كفر بالله حل وعلا، إذا كان الفاعل لذلك مسلماً فقد ارتد عن الإسلام - سأل عنه العارفة - لقول الله حل وعلا: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ فَيَكُنْ بِكُمْ يَبْتَغِ الْإِيمَانَ﴾ [٥١].

وقوله: «ولو كان أقرب قريب» يعني لو كان هذا الذي يتوله وهو كافر ابنه أو أبوه، هذا هو أقرب القريب الآمن والأب، لو كان أبوه أو ابنه يتوله مع كفره فإنه يكون معاداً لله ورسوله وصفي عنه الإيمان، ليس بمؤمن.

• • •

وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [٥٢].

الشرح:

ومعنى قوله: ﴿لَا يَجِدُ﴾ [٥٢] يعني لا يوجد أي لا يوجد من يؤمن بالله ويؤلف المشركين ومن عاد الله ورسوله، يعني أن الإيمان لا يجتمع في قلب إنسان مع هو الألة الكفار.

• • •

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَفِّيكَ تَحَنُّنًا فَهُوَ وَسْوَفُهُ وَلَوْ سَخَّرْنَا لَكُمُ الْهَمَّ لَوْ أَتَيْتُمْ لَكُمْ أَوْ خَوَّفْتُمْ أَوْ عَشِيتُمْ﴾ [٥٣].

## الشرح:

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٦٦) إشارة إليهم لا نصيب لهم في اليوم الآخر لأنهم لم يحدوا شيئاً له، وقد قد الاستعداد له يكونهم والوا الكفار، ولابد أن يكون في ذلك معاداة للمؤمنين لأن موالاته الكفار تقتضي معاداة المؤمنين، فتعكس القضية تماماً، وهذه هي المعاداة معاداة الله هي أن يكون الله في حد والمعاد له في حد، وحقيقة المعاداة أن الله يأمر بهذا وينهى عن هذا، والمعاد يفعل المنهى عنه ويترك المأمور به، أي أنه يكون غير موافق لله جل وعلا فيما يأمر به ولا فيما ينهى عنه، فهذا يكون معاداة لله، وإذا أظهر ذلك وجب على المؤمنين معاداته، ولو كان أقرب قريب، ولو كان أباه أو أمه، يدلل الآية هذه.

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْآلَافَ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْوَحِيدَ﴾ (المائدة: ٦٦)

(المائدة: ٦٦) كلمة ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع، وبهذا بالآيات للطلب ثم الأدنى، ومولاه هم أقرب شيء للإيمان، وقد يكون الأب بحسب الأمن أكثر محبة من أمه ومع ذلك جعل هذا مع هذا لأجل أن ينسب أنه لا يحصل الإيمان إلا بالتبني من الكفار وإن كان أباً للإيمان أو أمه وأنه لا عدو له في نولي من كان كافراً لكونه من أقرانه، أما الأخوان والمشيقة فهم أبعد من ذلك ومع ذلك نهي عنهم ليس أن الأمر شديد في هذا.

• • •

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٦٦) إشارة إلى الصحابة الذين حصل منهم

## الشرح:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٦٦) هذه إشارة إلى الصحابة الذين حصل منهم

في بدر خلاف ما ذكر هنا، منهم من قتل أنباء وغرهبه، لأنه كان كافراً، وأشير  
لهؤلاء المؤمنين الذين قتلوا أقرانهم يوم بدر، لأنهم على الكفر، وهذا  
من أعظم المعصاة، كونه يقتله إيماناً في معادته وكذلك اتباعاً لطاعة الله  
جل وعلا ومروءاته.

﴿حُكِّمَتْ بَيْنَهُ قُلُوبُهُمُ الْإِيمَانُ﴾ [المائدة: ١٠٠] يعني الصحابة الذين  
قتلوا أقرانهم.

• • •

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [المائدة: ١٠١].

### الشرح

الروح هنا أكثر من كونه النضر، ليس النضر فقط بل الروح الذي  
يكون من الله أوله الإيمان الذي يثبت في القلب ولا يتزعزع، ويخدم على  
قتل أبيه وأبيه وأخيه إذا كان كافراً طاعة لله جل وعلا، هذا الذي تحلى به  
الصحابة ولهذا الإشارة إليهم في هذا، وليست في هذه القصة فقط بل في  
جميع أوقانهم وحالاتهم كانت هذه صفتهم، في بعض المغازي كان مع  
الرسول ﷺ منافقون منهم عبدالله بن أبي بن سلول في غزوة  
المريسيع، فزولوا في مكان كان فيه ماء قليل فذهب غلمان من الصحابة  
من المهاجرين ومن الأنصار ليستقوا، فزاحموا على الماء، فقال  
المهاجرين: يا للمهاجرين، وقال ذلك: يا للأنصار، فسمع ذلك عبدالله بن  
أبي فقال: ما مثنا ومثل هؤلاء، إلا أقول القاتل: سمن كليلك يا كليلك، لكن  
رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ويقصد بالأعز نفسه

وفيه، ويقصد بالأذن رسول الله ﷺ<sup>١</sup>

وهذا يكون لأمره أنه قبل بكم لا نفقوا عليهم حتى يعصوا  
وبرجوعه عند ذلك رسول الله ﷺ أمر من حيل وكانت عادته هكذا  
إلا حصل ضرر أو ربح لا يستقر حتى لا يندى هذا الشيء، هذا من  
العلاج الذي كان يصحبه ﷺ ويفعله، لا يريد أن ينظر لنفسه، يريد أن يفتي  
العبد عهد كان ربي وحيدة وطريقة، وبعد ذلك نرى الفرق، وكان له  
أمره عداقة وهي من غير نصيحة أو مواساة، سمع أن الرسول ﷺ  
سبقوا عداقة من أبي، عهد أبي سي ﷺ وقال: يا رسول الله، هل تقتل  
أبي؟ قال: لا، ومن قال ذلك؟ قال: يا كذا، كنت تريد أن تقتله فمري به فأقتله،  
أبي أحسن أن يقتله رجلا من المستنصر فلا أمر وأحسن أن تقتله فأكون  
من أهل النار، قال: لا، ولكن تحسن صحته<sup>٢</sup>، فلما قربوا إلى المدينة  
ذهب الأبن عداقة وأخبره سيفه وولف أبيه وقال: والله ما ندخلها حتى  
نشهد على عشتك أنك أنت الأذن والرسول الله ﷺ هو الآخر، فشهد لما  
رأى السيف.

المقصود أن العداقة رسول الله عليه ﷺ في قلوبهم  
الآية وأبدا في برزخ نية<sup>٣</sup>، العداقة<sup>٤</sup>، خلاص وصديق وثبات على  
الحق ومحبته بحق وبعضاً وكراهة لمصلحة وثبات على ذلك، وهذا هو  
الروح الذي يكون من الله جل وعلا للعبد لهم المقصودون في هذه الآية:

<sup>١</sup> هذا في الأصل من قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا دينكم باليهود والذين آمنوا لا تأخذوا دينكم باليهود والذين آمنوا لا تأخذوا دينكم باليهود

<sup>٢</sup> هذا في الأصل من قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا دينكم باليهود والذين آمنوا لا تأخذوا دينكم باليهود

<sup>٣</sup> هذا في الأصل من قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا دينكم باليهود والذين آمنوا لا تأخذوا دينكم باليهود



في المنظر ولا في المشموم ولا في غير ذلك، ولهذا أهل الجنة ما  
عندهم فضلات أبدأ لا يؤن ولا غنط، الذي يأكلونه يذهب رائحاً لأنه  
ليس فيه فضلات، وذلك لطيف وحسن، ليس فيه شيء - يكون فاسداً أبدأ  
إسما هو غذاء كامل، والله جل وعلا يقول في آية ذكرها جزاء لمن تتحاضن  
جموعهم عن المصاحب يدعون ربهم خوفاً وطعناً ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ  
لَهُمْ مِنْ فَزَعٍ أَنَّهُمْ ﴾ السجدة: ١٧، وهنا ﴿ نَفْسٌ ﴾ السجدة: ١٧ يدخل فيها  
الملكوت والآلياء وغيرهم، لا أحد يعلم ذلك إسما هي صفة لهم، ولما  
قام الرسول ﷺ يصلي صلاة الكسوف في مسجده ﷺ مثلت له الجنة  
والنار في نفس المسجد، فصار يتقدم فتقدموا خلفه؛ لأنه ما كان بجوار  
الحائط كان في وسط المسجد لفظة المصلين، فتقدم فتقدمت الصفوف  
خلفه، ثم تأخر وتقهقر وصارت الصفوف تتقهقر لا يعرفون ما السبب،  
ولما فلي الصلاة خطب خطبة معروفة وقال: لقد عرضت علي الجنة  
والنار أو قال: لقد مثلت لي دون هذا الحائط فوليت في النار عمرو بن  
لحي الخزاعي يجر فقيته، لأنه لو أن سبب السواب وحسن الحضي  
وغير دين إبراهيم، ووليت فيها امرأة في هرة حسنها، لا هي أطمتها ولا  
هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، رأيتها نخمش وجهها وهي في  
النار، وعرضت الجنة فلم أرى منظراً كالذيوم قط، وقد سمعت أن أنثوان  
منها قطعاً لما رأيتوني تقدمت، ثم بدا لي إلا العمل، ولو أخذته لأكلتم  
منه ما بقيت الدنيا - واللفظ عتقوا حب، ولو أخذته لبقت الأمة تأكل منه  
وهو باقي لا يتهرب، لأن الذي في الجنة لا يفنى - وحينما رأيتوني



تفهمت غشيت عنها حتى قلت يا ربى وأنا فبهى غشيت لى تاني علينا<sup>(١١١)</sup>  
 قال المصنف يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا تكلمن من ما يقبض الدنيا  
 معنى ذلك أن هذا خلاص ما هو معهود

﴿يخزي من تحتها الأرض﴾ \* (المعدة ١٠٠) جاء في الحديث أن أنهار  
 الجنة تجري بلا أحقاد<sup>(١١٢)</sup> ، واما الزيادة أحقاد والأحقاد الحواري التي  
 لو جمع لجميع الماء لكان ينشرب إنا بعينه الماء أو تعمل له

﴿خشيدين فيها﴾ (المعدة ١٠١)

#### الشرح:

والخلود هو الدوام الذي لا ينهي ولا ينقطع مع هذا المعنى خاشدين  
 فيها، فزادت تمام السعادة تمام الحياء، يعني أموتوا الموت وأموتوا الآب  
 والعذاب وتعمروا، وبعدة نبي، أفضل من هذا وهو قوله: ﴿لَنْ يَخُوتَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
 رِزْقًا وَأَعْلَى﴾ (المعدة ١٠٢)

﴿لَنْ يَخُوتَ اللَّهُ عَنْهُمْ رِزْقًا وَأَعْلَى﴾ (المعدة ١٠٢)

#### الشرح:

هذا أعلى ما في الجنة كون الله راضي عنهم ورضوا عنه، أنا راضاهم  
 عنه فليس عجباً لأن الله هو ذو القصور والإحصاء عداة وحكم به، غفصته

(١١١) البخاري (١٠١٠١) كتاب العنبر من سورة العنبر: ﴿لَنْ يَخُوتَ اللَّهُ عَنْهُمْ رِزْقًا وَأَعْلَى﴾

(المعدة ١٠٢) من حديث عائشة رضي الله عنها وأمره (١٠١٠١) كتاب العنبر من سورة

قال عطاء الله في الصلاة من حديث عمار بن عبد الله رضي الله عنه

(١١٢) ذكره ابن أبي شيبة في المصنف (١٠١٠١) من حديث عمار بن عبد الله رضي الله عنه

عَنِ ابْنِ عَبْدِ لَا يَحْيَى، وَفَضْلٍ الْأَلْبَانِ أَنَّ جَعَلَ ابْنُ عَبْدِ مَوْمَنًا ثُمَّ تَفَضَّلَ بِحِرَّتِهِ ابْنَهُ، وَمَعْرُوفٌ فِي مَدِينَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي دَرَّ عَلَيْهِ الْفَرُّانُ، أَوْ الصُّلَحُ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ وَالْمُسْكِحِ وَالْمُسْتَفْذَاتِ الْمُدْبِجَةِ أَيْ تَوَكَّى وَتَحَصَّى، بَلْ أَغْضَاهُ لِأَتَدُلُّ بِأَفْعَالٍ وَعِلَالٍ، النَّظَرُ وَتِلْكَ - عِدَا هَبْ أَغْضَاهُ بَعْدَ، وَلِهَذَا عَدَا فَوَازُهُ فِي وَعِلَالٍ ﴿١٠﴾ لَيْزِي أَسْأَلُهَا الْحَقَّ وَرَدَّهَا ﴿١١﴾ نَاسٍ ١٢، وَتَرْبُودَا تَكُونُ عَلَى أَحْسَنِ أَفْضَلِ مَهَادٍ وَتَرْبُودَا هِيَ سَطْرُ الْوَيْلِ وَحِجَّتُهُ هِيَ وَعِلَالٍ ١٣

ويكون جن وعلا في أعضائه ﴿كَلَّا بَلْأَنْفُسُ أَشَدُّ مُنْجِرُونَ﴾ الشعشعر  
واله يكون الأعضاء من الحجاب أشد من العدد فيه فهو يقابل ما يحصل  
تتمزج من من ينظر إلى وجه جن وعلا وهم يتفاوتون فيه تفاوتاً  
عظيماً منهم من ينظر إلى وجه في لونه النهار والفرح لأن أهل الجنة ما  
عنده نيل وجه ولا شمس ولكن مع ذلك يعرفون الليل والنهار ولهذا  
جاء أن منهم من ينظر إلى وجه جن وعلا بكثرة وعشياً وهذا هو أعلى أهل  
الجنة ومنهم من ينظر إليه من كبر جماعة من

[illegible]

يعني أصحابه الذين ذكر أنه كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح

منه، وكل من عمل عملهم فإنه يكون له هذا الوعد الكريم إلى يوم القيامة.

﴿إِن يَرِيتُمْ أَنفُسَكُمْ الْكَافِرِينَ﴾ (السجدة: ٢٠٠)

الشرح:

ولا يكون من حزب الله إلا إذا الحرب وتميز عن حزب الشيطان، أما إذا كانت الأمور متباحة فإنه يكون صفاء في الأرض عظيم كما قال جل وعلا لما ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض وأن الكافرين بعضهم أولياء بعض قال: ﴿إِن تَقْتُلُوا نَفْسًا يَنْتَحِلُ إِلَيْهَا دَمُهَا مِنْكُمْ﴾ (النمل: ١٧). يعني لا يقع هنا منكم وذلك يعني معاداة أعداء الله ومراعاة أولياء الله تكن الفتنة والفساد الكبير العظيم إذا لم يحصل ذلك.

اعلم أن قسمة الله يطاعية.

الشرح:

الظاهر أن هذا ليس من كلام الشيخ لأنه غير مرتبط، ويحوز أن يكون من جمع بعض تلاميذه عندما كان يتكلم ويقرر المسألة، وهو دعاء للمخاطب الذي أمر بالعلم، وهي العادة إذا كانت المسألة تحتاج إلى فكر ونظر، فيقال: اعلم، حتى يتنه السامع، ويعلم أن هذا يحتاج تركيز الذهن.

أَنَّ الْحَيَفَةَ بِلَا إِزَائِيمٍ: أَنَّ نَفْسَهُ أَخَذَتْ.

الشرح:

الحيافة مأخوذة من الحنف وهو العنود والميل قصداً عن كل دين

إلى دين الله الذي أمر الله جل وعلا به وهو دين الرسل كلفهم كما قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَقِيمُوا﴾ (آل عمران: ١٠٩)، ومقصود أن الإخلاص الذي هو خصوص العبادة هو الذي أمرنا وكلفنا به.

• • •

### تخلصاً له الدين

#### الشرح:

والآيات التي جاءت في هذا كثيرة كما قال تعالى: ﴿تَغْيِيرَ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ تَغْيِيرَ الْحَكِيمِ﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَقِيمُوا﴾ (٢) (مرم: ١٠٠). يعني إذا لم يكن الدين خالصاً طيباً لله، فإنه أعنى الشريك من الشرك، إذا جعل في العبادة شيء لغيره تركها لذلك الغير، لأنه فني كريمة جل وعلا، فلا بد أن يكون الدين خالصاً.

ثم قال بعد هذا: ﴿قُلْ إِنْ أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ تَعَالَى تَعَالَى﴾ (٣) (مرم: ١٠١). ويقول جل وعلا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَالَى تَعَالَى خَلْقًا وَنُفُوسًا﴾ (٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَقِيمُوا﴾ (٥) (مرم: ١٠٢). فالإخلاص هو دين الله الذي لا يقبل إلا هو، وإذا لم يكن خالصاً فلا يصح، إما أن يكون مردوداً أصلاً وإما أن يكون ناقصاً إذا شابه شيء من الربا، التبسير الذي لا يطلعه، ولكن الأدلة تدل على أن العمل إذا شابه شيئاً من مردود وأنه لا يقبل.

والإخلاص يكون بصدق التوبة وعزيمة القلب في العمل أن يكون لله وحده ولا يكون فيه شيء لغير الله جل وعلا، فيصبح الإنسان من ناحية في سره وعلاقته بمولاه، فلا يكون مع الناس يؤذي الأعصاب بشاغل وإذا غاب

عندهم كسل ، هذا لا يكون إخلاصاً ، الإخلاص أن يكون في عبادة مثله في  
 الحضور ، فمن حاجة العباد لا يتأخر سائس ولا يؤثرون عليه ولا سائس  
 لهم ، لأنه يعلم يقيناً أنهم لا يقصرون ولا يسهو به وأنه لا يعمل لهم بل  
 يعمل لموجه حل وعلا ، ولو مدح وأثنى عليه ما رافقه ذلك شيئاً لأنه يعرف  
 نفسه أكثر من غيره ، ولو قدح فيه ما نثر أيضاً بل رمد الناس للقدح فيه  
 لأنه في الواقع يتكسب عملاً جي من عبده ، وليس مقصده الظهور أمام  
 الناس والشروع على عباده ، مقصده أن يؤدي عملاً له حل وعلا يكون  
 راضياً عنه به .

ومع ذلك لا يجوز أن يؤدي عبد الله ولا أن يترفع عليهم ولا أن  
 يحتقرهم أو يتقصدهم بل يؤدي حل به وحل عبد الله عليه لأن المؤمن  
 له على أخيه حقوق ، فالمقصود أن الإخلاص الذي قال أنه مئة إبراهيم  
 هو دين نبينا محمد ﷺ الذي جاء به ، وأنه لا يقبل من العمل إلا ما كان  
 خالصاً له .

• • •

وَبِذَلِكَ أَمَرَ لَكُمْ خَلِيقَ النَّاسِ ، وَخَلَقْتُمْ لَهَا .

الشرح :

يعني لهذه المنة الخبيبة

• • •

كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي ﴾ ١٨١

الشرح :

ومعنى هذا أنه خلقهم لتعبدوا له ، يعني أنه أوجدهم

وأظهر هو من القدم إلى نوحول على هذه الصفة وأعطاهم ما يلزم خلقهم وحبهم وطلب أن يكون لهم العادة، ووجه الأمر هذا للجن والإنس لأجل أن يكونوا بخلقهم بخلقهم، وقدم الجن على الإنس لتقديمهم في النوحول، والله أعلم.

وقيل لأن الجن غير مرئيين فافهم ذلك الإيمان بهم من الإنس حتى لا يظن أنهم غير مكنون، فهم مكنون ومجربون كجزء الإنس، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون ومنهم الشياطين ومنهم البررة، وهم ذرية بنسب.

المقصود أن هذه الآية أتت على كثير من المتكلمين إشكالات عظيمة لم يتفهموها من معنى هذا الإشكال مركباً مع أنها واضحة وحاضرة، وبكى إذا أراد الله حل ولا أن يعنى قلب إمام فإنه لا يسلط له من دون الله شيء، ووجه الإشكال الذي استشكلوه أنهم يقولون في قوله حل وعلا: ﴿وَمَا سَأَلْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا يَدْعُونِي﴾ \* (سورة البقرة: ١٨٦) أنه أخبر بحلقهم لعدده وتوقع أن كثرة ما لا بعد ما في صدق التعبير \* هل خبر الله بنحسب؟ هذا الإشكال من هذا.

والجواب عن هذا أنه ليس المقصود الإخبار بعبادتهم كما أخبر بخلقهم وإنما المقصود أنه خلقهم وعبادهم للعبادة وأمرهم أن يعبدوه وأن يحصل العبادة منهم حتى يمكن أن يعبدوا، أما لو كانوا مرعيين على العبادة كزعمهم على الخلق فلا فائدة في جزائهم، ولهذا يقول علماء أهل السنة أن هذه نزل على الحكمة من الخلق أي أن الله خلق خلقه لحكمة وهي أمرهم بالعبادة، فيكون نظير هذه الآية قوله جل وعلا:

﴿أَتَشْكُرُ الْإِنْسَانَ لِنَفْعِهِ إِنَّهُ يَذُوقُ الْعَذَابَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [التين: ١-٥]. يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره في تفسيرها: يعني لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف بعبادة الله جل وعلا، فهو خلق للأمر والنهي، والعبادة هي الأمر والنهي، وإذا جاء ذكر العبادة فالمقصود بها التوحيد لأنه لا يقبل عبادة إلا إذا كانت خالصة لله جل وعلا.



وَتَعْتَنِي (يعبدون): يُؤَخِّدُونَ.

الشرح:

هنا يريد أن يبين أن العبادة هي التوحيد، وذلك يعني أن العبادة التي أمر الله جل وعلا بها شرعاً أن تكون خالصة لله ليس فيها شيء لغيره، فإنا وقعت العبادة لله ومقصود آخر من مقاصد الدنيا ومرادفات النفس فلا تكون عبادة شرعية وإن كانت عبادة في اللغة. والتوحيد هو أن يكون العمل واحداً لواحد موحداً لله جل وعلا ليس فيه شراكة لغيره وهو الإخلاص الذي أمر الله جل وعلا به.



وَأَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدَ.

الشرح:

يعني أنه أكد المأمورات وأعظمها، وعنده كذلك أعظم ما نهى عنه وهو الشرك، ولا يمكن أن يوجد توحيد إلا باجتناب الشرك وهو أمر لازم، ولهذا يقول الله جل وعلا في الآية التي في سورة البقرة:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْمَشْكُورُ الْمُتَعَبَّدُ لِلْإِسْلَامِ، فَكَيْفَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ؟﴾ [البقرة: ٢١٦].

بَلَّغُوا فَتَقَمَ اسْتَشَارَكَ بِأَقْرَبِهِ الْوَلِيُّ ﴿١٢٠﴾ (الفرق: ١٢٠). والله جل وعلا لا يقبل عبداً بدون التوحيد، فهو الأصل والأساس وهو دعوة الرسل، كل رسول يأتي إلى قومه بأمرهم بالأخلاص بأن يعبدوا الله وحده، كل نبي يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ﴿١٢١﴾ (المرج: ١٢١). فلا يقبل العمل بشيئ منه. ونهياً لما بعث الرسول ﷺ معذراً رغبني الله عنه إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ قَوْلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وفي رواية: «إِلَى أَنْ يَعْشُوا اللَّهُ». وفي رواية: «إِلَى أَنْ يَوْحِدُوا اللَّهَ». ثم قال: «فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ عَلَى ذَلِكَ فَأَعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ اخْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صِفَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ<sup>(١)</sup>، فَمَنْ يَهَذَا أَلَمْ لَا يَصِحُّ لِي عَمَلٌ إِلَّا مِنَ الْوَحِيدِ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ. وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ الْأُمُورَاتِ وَهُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا، فَإِنْ صَحَّ صَحَّتِ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا وَإِنْ قَسَدَ فَالْأَعْمَالُ كُلُّهَا مَرْدُودَةٌ.

ومعنى الإله هو المألوه الذي تأله القلوب حياً وخوفاً وإتابة، بمعنى تعلقت به محبة وعبادة وخشية. وهذا هو معنى لا إله إلا الله: أَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدُ تَأْيِيدَهُ لَهُ وَحْدَهُ وَيَعْنِي الْعِبَادَةَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَلَا يَدُ مِنْ هَذَا الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ.

• • •

(١) الطحاوية (١٧٣٧٢) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أدت إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وأسلم (١٢١٦) كتاب الإقناع باب الدعاء إلى الشهادة وترفع الإسلام والصلاة والصدقة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ذكره الألباني في إرواء الغليل.



وَقَوْلُهُ: **إِنَّمَا اللَّهُ بِالْعِبَادَةِ.**

**الشرح:**

إمراده بالعبادة يعني أن تكون العبادة مختصة له ليس فيها اشتراك  
لغيره بأن يكون فرداً واحداً، والتوحيد أحد من هذا، أن يوجد للعبد  
ويوجد من له العمل كما يقول ابن القيم رحمه الله في بونته:

فلو اُحد كن واحداً في واحدٍ أعني طريق الحق والإيمان

قوله: «كن واحداً يعني عبداً، الواحدية يعني: لله جل وعلا، لا تكن  
موزع العبودية بين الخلق والمخلوق، بل كن عبداً لمن تُعبدك الذي هو الله.  
وقوله: «في واحدٍ» يعني في طريق واحد الذي هو سنة الرسول ﷺ وهذه  
الذي جاء به، ولهذا قال: «أعني طريق الحق والإيمان»، قوله: «أعني»  
يعود على واحد، والمقصود أن هذا أمر لا بد منه وهو دعوة الرسول ﷺ  
ودعوة إخوانه من الرسل قبله، وقد وضَّحه الرسول ﷺ غاية الإيضاح  
ولم يترك شيئاً فيه مشكلاً أو متنبهاً صلوات الله وسلامه عليه، فلا عذر  
لمن جنت عن هذا الطريق أو حاد عنه وذلك لبيانه ووضوحه وإقامة  
الحججة، ومن حاد عن ذلك فهو من تقصيره، فيجب على العبد أن يطلب  
ذلك ويجهده فيه.

• • •

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشُّرُكُ،

**الشرح:**

وقوله: «أعظم ما أمر الله به وأعظم ما نهى عنه» البين أنه يجب على

العبد أن يهتم بذلك حتى لا يكون عبداً أو ملتصقاً عليه الأمر، ومعلوم أن رأس حال الإنسان حياته الدنيا، فإذا اعتنى بها نحصل السعادة وإذا ضل فيها ثم حضر الموت وعندنا من المخالفات أو من الشرك ما عندنا، وتبين له ذلك، وبدن فلا يتمكن من العودة ولا يتمكن من الاستمرار، فيكون خاسراً نفسه وأهله كما أخبر الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَجْلَسٍ لَهُمْ وَأَكْلِهِمْ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَلُوفُ فَتُلَاقُونَ النَّاسَ﴾ ١٤٥، فيخسرون أنفسهم الذين أعدهم الله جل وعلا له في الجنة وليس عليهم الذين هم أولاده وزوجته وأبوه وأمه فهؤلاء كل واحد منهم له عمل وكل واحد منهم يغر من الآخر كما قال الله جل وعلا: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَلُوفُ مِنْ جَبْهٍ وَنُفْخٌ مِنْ أُخْرَىٰ﴾ ١٤٦، وفيه ﴿يَكُنْ تَرْتِيبُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ ١٤٧، يعني مهمتهم بنفسه ويعمله خوفاً من أن يهلك، وإنما أهل الذين يخسرهم أهل الذين في الجنة، لأن كل واحد من الناس له مسكن في الجنة ومسكن في النار، فإذا كان من أهل النار ورثه أهل الجنة، وإن كان من أهل الجنة يعطى مسكنه الذي في النار للكافر من الكفار، ويقال: هذا فكذلك من النار (١).

والمقصود أنه يجب على العبد أن يهتم بأعظم ما أمر الله به فيعمل به، يعلم أن أول ما يؤمر به الإنسان هو العلم ثم العمل بيمينه، كذلك يهتم بأعظم ما نهى الله عنه وهو الشرك ويعرف بما جاء الرسول ﷺ، ولهذا

(١) مسلم (١٩٧٩) كتاب القدر، باب قبول نعمة الخلق، وفي آخره: من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

كثير من المسلمين ممن يسمى بالإسلام ومن يصوم ويصلي في  
المساجد مع الناس يقع في الشرك الأعظم وهو لا يدري ويظن أنه توحيد  
وعبادته، فيذهب لغير الولي ويدعوه متضرعاً وخاضعاً له وقالاً بأن بهيب  
له من أمور الدنيا أو يتقدم بين يدي الله جل وعلا شافعاً له وهو ميت،  
وهذا هو دين المشركين تماماً، وكثير من الناس يظن هذا من الأعمال  
الصالحة وأنه توسل بالصالحين وأنه من أفضل الأعمال، هكذا يقولون  
من أنه شرك أكبر.

والمقصود أنه يجب على الإنسان أن يتعرف على شركه، لأنه أعظم  
ما نهى الله عنه وهو أنواع كثيرة وكلها تعود إلى شيء واحد وهو أن تكون  
العبادة أو شيء منها لغير الله جل وعلا.

• • •

وَقُولُوا دُعَوَاتُ غَيْرِ شَيْءٍ.

الشرح:

يعني شرك، سواء في الدعاء أو العبادة وسيأتي أن الدعاء ينقسم إلى  
قسمين.

• • •

وَالَّذِينَ قَالُوا تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شَرْكَ لَهُ﴾. شَيْئاً ۖ (الب، ١٦٦).

الشرح:

جاء عن ابن عباس أنه قال: «كل أمر في القرآن ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ فإن

معناه التوحيد أي إفراز الله بالعبادة لأنهم يعلمون أن الله لا يقبل من عباده إلا التوحيد والإخلاص لله جل وعلا، وهذا بيّن واضح في القرآن، وقال: ﴿وَاتَّخِذُوا اللَّهَ﴾ (سجدة: ١٦) وسعداً قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (سجدة: ١٧) تأكيداً بأن العبادة هي فعل ما أمر الله به مع عدم الشرك، فهو يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقولك: لا شريك له تأكيداً له لا إله إلا الله، ويؤكد للاهتمام به، وقوله: ﴿شَيْئًا﴾ (سجدة: ١٧) نكرة في سياق النفي، فتكون عامة في كل مخلوق سواء كان نبي أو ملك أو ولي أو غير ذلك، وهذا يدل على أن العبادة يجب أن تكون لله وحده وليس لأحد من المخلوق فيها شيء.



قوله: قِيلَ لَكَ: مَا الْأَصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ تَعْرِفُهَا؟

الشرح:

الإنسان اسم جنس، يعني على كل ذكر وأنثى أن يعرفها، وسوف يسأل كل فرد من الناس عنها في غيره حال دفعه، فيأتي ملكاً ورسلاً، عن هذه الأصول الثلاثة كما بيّن ذلك رسول الله ﷺ فيقولان له: من ربك؟ ومعناها من الذي خلقك وأوجب عليك العبادة وتعبك بذلك؟ وليس معناها من ربك الذي ربك بالخلق والنعيم وما يلزم للعبادة والتربية فقط، ولهذا يأتي الرب بمعنى المالك والمعبود.

وكذلك يقولان له: وما دينك الذي تدبّر به في حياتك؟ ومن الذي جاءك بالدين؟ فإن كان مؤمناً مؤقتاً أجاب إجابة يهدوه ولا خوف ولا

تتعلم، فيقول: رضي الله ودينه الإسلام ونبي محمد ﷺ.

وفي رواية بقولان له: وما هذا الرجل الذي يبعث فيكم؟ يعني هل عرفته أم لم تعرفه؟ المقصود أن هذه الأصول يتعين على كل فرد أن يعلمها علماً يقينياً بلا شك ولا تردد ويعتق عليها موثقاً لأنه سوف يبال عنها، وإذا تعلمها الإنسان بلا عمل فلا تنفعه، وإذا سئل عنها سوف يتلعثم ويتردد ولا يجيب؛ لأن الجواب يكون عن الشيء الذي عمل وتحلى به وثبت في مستقر قلبه وثيقته، أما إذا لم يثبت فيخش عليه ألا يجيب، وإن يقول مثلاً يقول الشاك إذا سأله المظان قال لهما: هاهنا... لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً نقلته<sup>(١٦)</sup>، يعني أنه مقلد، يرى الناس يعملون شيئاً فيعمل معهم ويقولون شيئاً فيقول معهم.

ومن هنا يتعين على الإنسان أن يتعلم هذه الأصول تعلماً يكون مشيراً بالعمل متيقناً به غير مقلد لمن يراهم ويعمل معهم.



(١٦) صحيح، فطر الأحكام الشرعية: (١٤٦-١٤٩) الجزء الثاني.

فيقال شارح: روى أحمد في المسند (ج ١) ص ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧ - ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧ - ١٤٨٨ - ١٤٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩١ - ١٤٩٢ - ١٤٩٣ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ - ١٤٩٦ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٠ - ١٥٠١ - ١٥٠٢ - ١٥٠٣ - ١٥٠٤ - ١٥٠٥ - ١٥٠٦ - ١٥٠٧ - ١٥٠٨ - ١٥٠٩ - ١٥١٠ - ١٥١١ - ١٥١٢ - ١٥١٣ - ١٥١٤ - ١٥١٥ - ١٥١٦ - ١٥١٧ - ١٥١٨ - ١٥١٩ - ١٥٢٠ - ١٥٢١ - ١٥٢٢ - ١٥٢٣ - ١٥٢٤ - ١٥٢٥ - ١٥٢٦ - ١٥٢٧ - ١٥٢٨ - ١٥٢٩ - ١٥٣٠ - ١٥٣١ - ١٥٣٢ - ١٥٣٣ - ١٥٣٤ - ١٥٣٥ - ١٥٣٦ - ١٥٣٧ - ١٥٣٨ - ١٥٣٩ - ١٥٤٠ - ١٥٤١ - ١٥٤٢ - ١٥٤٣ - ١٥٤٤ - ١٥٤٥ - ١٥٤٦ - ١٥٤٧ - ١٥٤٨ - ١٥٤٩ - ١٥٥٠ - ١٥٥١ - ١٥٥٢ - ١٥٥٣ - ١٥٥٤ - ١٥٥٥ - ١٥٥٦ - ١٥٥٧ - ١٥٥٨ - ١٥٥٩ - ١٥٦٠ - ١٥٦١ - ١٥٦٢ - ١٥٦٣ - ١٥٦٤ - ١٥٦٥ - ١٥٦٦ - ١٥٦٧ - ١٥٦٨ - ١٥٦٩ - ١٥٧٠ - ١٥٧١ - ١٥٧٢ - ١٥٧٣ - ١٥٧٤ - ١٥٧٥ - ١٥٧٦ -

نقل معرفة العبد ربه، ودينه، ونبية مخلصه ﷺ.

### الشرح

هذه الأصول الثلاثة، معرفة العبد ربه ومعرفة الدين الذي كُلف به ومعرفة النبي الذي جاء بالدين، لأن الدين يحب أن يكون من عند الله جل وعلا، ولا يكون بالأوضاع ولا بالحفل ولا بالاجتماع على شيء، ومنه من أنظمة وقوانين وغيرها، لأن الله هو الرب والرب هو الذي يرب الشيء ويملكه ويتصرف فيه، فالأمر لله والنهي له، وأمره ونهيه هو الدين، ولا يأخذ من الله إلا الرسول ﷺ، فهو الواسطة بيننا وبين ربه في تبليغ أوامر الله جل وعلا ونواهي، وذلك بالرحمة إليه بالأمر والنهي.



## • الأول الأول •

تغفر لله رب

فإذا قيل لك: من ربك؟

قل: ربّي الله الذي رباني.

الشرح:

رباني يعني أوجدني وأنعم عليّ بالتربية والعطاء وإزالة العظماء التي تحول بين الإنسان ونعمه وحباته وأنعم عليّ طاهرة وباطنة، وإذا كان هو الذي خلق وهو الذي رزق وهو الذي صرف المضرات وجلب المنافع وحده لا شريك له في ذلك، فإنه يجب أن يعبد وحده، وهذا هو المقصود، فمعنى رباني أي خلقتني وأغلق عليّ من النعم التي بها أترى في بدني وفي روحي، ونورية الروح بالروح الذي يأتي به الرسول ﷺ وأما البدن فإنها بالمأكل والمشروب وكل ذلك من الله جل وعلا.

• • •

وربّي جميع العالمين بنعمه.

الشرح:

يعني أنه خلق المخلوق كلهم وأنعم عليهم بالتيه الذي يلي عليهم حياتهم لا شريك له في ذلك، والعالمين هم كل المخلوق، فمعنى هذا أن الوجود كله شيطان فقط: مخلوق وحائق، فالخالق هو الله وحده لا شريك له، وما سواه مخلوق، وهذا المخلوق الله يتصرف به، أوجدته بعد أن لم يكن شيئاً كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ لَنْ يَخْلُقَنِي مِنْ شَيْءٍ مِمَّا يَخْلُقُ﴾ تَذَكُّرًا ﴿١٠﴾

ولا شك فقد جاءت عليه دعوى طوية جداً وهو ليس شيء، ثم خلقه الله جل وعلا وأنعم عليه لعبادته، فكل مخلوق من المخلوقات من الجن والإنس والملائكة متعبدون بأوامر ونواهي معينة، أما الحيوانات التي خلقت لئلا يذبحوا لغير الله تعالى، فهي أيضاً مربية ومتعبدة عبادة تليق بها ويدخل فيها الشجر والنبات كله، أو الحيوانات وكل شيء، يسبح بحمد الله جل وعلا. ﴿وَلَا يَسْبُحُ لَهُ إِلَّا بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَعْقِلُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ١١). والصواب من أقوال العلماء أنه تسبيح حقيقي بلسان العقول وليس بلسان الحال كما يفهمه بعض من يقول: ولهذا لما ذكر آية السجود أخبر أن كل شيء يسجد لله. ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ (الجم: ١٥)، يعني لا يسجد لله، أما غيرهم فهم يسجدون لله.



وَعَزَّ وَجْهَهُ

الشرح

يعني ربي الذي خلقني ورباني بتعبه الظاهرة والباطنة منذ وضع الإنسان في رحم أمه نطفة، فتعمد الله تعالى عليه، حفظه في فراغ مكين وغذاء تعذيبه عجيبة في بطن أمه لا يدخل لأمه به ولا لأبيه، ثم أخرجه من ذلك المكان الضيق إلى سعة الدنيا وليس عليه شيء، ثم فتح له باب الأرزاق وسخر له والديه فأصبح والده ووالدته يهران على مصلحته وعلى مناله ويقدمان مصلحته على مصلحتيهما تسخيراً من الله له، وهي من النعم التي أنعم بها عليه، حتى في الحيوانات تجد السبع الضاري يعطف على ولده ويقاتل دونه أشد القتال ويسعى على مناله وكذلك كل



الحيوانات حتى تطلع وتستطيع أن تحصل على الرزق بنفسها، عند ذلك تتخلى عنه، فالمقصود أن الله جل وعلا خلق كل شيء - وهذه المصالحه وأعطاه خلقه الذي به تتم نعمته عليه، وبذلك وجب أن تعبد وحده لا شريك له والعبادة هي طاعة أمره واجتناب نهيه مع الدل والخضوع والتعظيم له تعالى، وأمره ونهيه لا بد أن يكون بأمره رسول الله ﷺ.

\* \* \*

لَيْسَ لِي تَعْبُودٌ سِوَاهُ

الشرح :

يعني أن الخالق هو الذي يستحق أن يعبد، ولهذا نعى الله جل وعلا وذم المشركين الذين يعبدون ما لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، فالذي لا يملك الضر ولا النفع عبادة ضلال، وكذلك بين أن المعبودات من دونه كثيرة، منها ما ليس له سمع ولا له بصر وليس له يد يمشي بها ولا رجل يمشي بها، ومن أضل ممن يعبد مخلوقاً منه أو دونه، وأشد الضلال أن يعبد ميتاً مريضاً يعمله في حقرة بأن يشجه إليه ويطلب منه أن يتجيب من الخار وأن يهب له مغفرة الذنوب أو يهب له ولداً أو يهب له رزقاً أو ينصره على عدو أو ما أشبه ذلك كما هو شأن الذين ينصرفون عن عبادة الله جل وعلا إلى عبادة أصحاب القبور.

\* \* \*

وَالْقَائِلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (احمد ١).

الشرح :

يعني دليل أن الله هو الرب العربي المالك، و﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هو الشاء

بالجمعي الاختياري باللسان على النعم التي يُنعم بها، ﴿وَالَّذِي هَذَا  
لِلْاِسْتِفْرَاقِ، جميع المحامد التي يستحقها الرب جل وعلا خاصة له،  
وقوله: ﴿تَمِثُّ الْقِسْمِيَّتِ﴾ يعني الذي رباهم ورزقهم، قرَّبهم خلقهم  
وأوجدهم، ورباهم بالنعم، ﴿وَالْقِسْمِيَّتِ﴾ كل المخلوق عالم، فكل نوع  
من المخلوق عالم، فالإنسان عالم والجن عالم والملائكة عالم، والبهائم  
عالم، والشجر وغيرها، فكل مخلوق عالم كما بين الله جل وعلا، فهو  
رب الكل الذي خلقهم وأنعم عليهم وتوحيدهم. ام.

• • •

وَأَكُلْ مِنْ شَرَىٰ إِلَهٍ خَالِمٍ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْغَالِمِ.

الشرح:

يعني الله هو الخالق وغيره مخلوق مريب مفهور مسخر مغير  
وسوف يرجع كل واحد إلى ربه جل وعلا فيجازيه بعمله، إن كان مكلفاً  
طاماً إثابة وإما عذاب، وإن كان غير مكلف فإنه يقتضى من الحيوانات التي  
قد يعتدي بعضها على بعض، ثم يقال لها: كوني تراباً، وأما إن كان غير  
ذلك فهو خلق ليني آدم كما قال الله جل وعلا ﴿وَنَحْنُ لَكُمْ مَاءٌ كَاتِبُونَ وَمَا  
بِالْأَرْثِيِّ جَبَلًا وَمَا بِيَدِهِ الْإِنْفِصَالُ﴾ (البقرة: ١٧).

• • •

لَمَّا بَيَّنَّا لَكَ بِمَ عَرَفْتَ ذَلِكَ؟

الشرح:

هذا معناه أنه يلزم على الإنسان أن يتعرف على ربه جل وعلا  
بالدليل، والدليل إما أن يكون من آيات الله، أو يكون بمخلوقاته، أو يكون

بالمعقل الذي أعطاه الله جل وعلا الإنسان وهو بجميع هذا وهذا، وإما أن يكون بالقطرة التي قطر الخلق عليها، والله قطر خلقه على الإقرار به، فكل إنسان مريد، وإذا وقع في شدة يلزم إلى ربه بدعوه، وذلك قطرة من الله جل وعلا، ولهذا احتج الله على الكفار المشركين بهذه القطرة، فقال جل وعلا: ﴿أَنْتُمْ يُحْيِيهِ الْمُنْظَرُ أَكْفَاكَ وَتَكْفِيهِ الْقُوَّةُ﴾ [النور ١٧٤]، وغالباً يقع الإنسان في الكروب والسدة فيحتاج إلى سؤال ربه ولا يفتك الإنسان أن يكون الله جل وعلا قد استجاب له، لأن مقتضى الربوبية أن يجب دعائه وأن يقوم على مصالحه وهو من معاني الترية، فمعرفة الله جل وعلا تكون ظاهرة بآياته، وآياته تنقسم إلى قسمين: آيات كونية مخلوقة تشاهد والآيات قولية ينزلها على عباده ويخرج هذا آيات فعلية يفعلها إذا شاء، ومن ذلك ما يكون خارجاً عن المعهود الذي عهدته الناس والذي يسمى معجزات والله سماء آيات مثل إحياء الموتى، ومعلوم أن الميت إذا مات لا يستطيع أحد من الأطباء أو غيرهم إرجاع الروح فيه وهو أمر يقر به العالم كله لكن الله يحبه وجعل ذلك آيات ولوجود ذلك بالنظر والمشاهدة حتى لا يرتاب الإنسان وقد ذكر الله جل وعلا إحياء الموتى في سورة البقرة في خمسة مواضع وهي:

الموضع الأول: قصة الذي قتل قربه عذبة ليرثه فأمر الله جل وعلا موسى عليه السلام أن يأمرهم أن يذبحوا بقراً فيضربوا الميت بعضو منها، ففعلوا، فقام حياً وقال: فقلني فلان. قال جل وعلا: ﴿وَيَا قَسَايَ عُوثِينَ لَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا لَهْ تَأْتُرْكُمُ أَنْ تَدْعُوا بِقَرَارٍ عَالُوا الشُّجْدَةِ ظَهَرُوا قَالَ أَمْرٌ بِاللَّهِ أَنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُكَلِّمِينَ﴾ [٢٥] قالوا لا والله لا تأمرنا الله أن نعبد الله بغيره، يقول إنها بقرة لا تأمرنا ولا

يَكُونُ عَيْنًا يَكُونُ عَلَيْهِ الْقِسْمُ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ قَالَ الْاَوَّلُ اَنْتَ اَنْذَرْتَنِي ۚ قَالَ بَلَىٰ ۚ اَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ قَالَ الْاَوَّلُ اَنْتَ اَنْذَرْتَنِي ۚ قَالَ بَلَىٰ ۚ اَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ قَالَ الْاَوَّلُ اَنْتَ اَنْذَرْتَنِي ۚ قَالَ بَلَىٰ ۚ اَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝

الموضع الثاني: قصة الذين خرجوا مع موسى وقد اختارهم للقاء  
ربه جل وعلا لما وعده أن يكلمه فقالوا: ﴿لَيْسَ أَفْقَهُمْ هَاهُنَا﴾ وَأَخَذَتْهُمْ  
الْعَنَقَةُ ﴿١٦٢﴾، فصاروا ينادون موسى يدعوه ربه ويقولون: يا رب،  
علما بقول نبي إسرائيل وقد اختار خيارهم وعددهم سبعون، وقال: ﴿لَوْ  
شِئْتُ لَمَّا كُنْتُمْ مِنْ قَدْ وَرِثْتُمُ الْبَيْتَ بِأَصْلِ السَّعَةِ﴾ بِأَنَّ مِنْ لَا يَنْتَفِدُ نَجْدُ  
بِمَا مِنْ لِقَاءِ وَتَوْبِهِ مَنْ لِقَاءِ أَنْ رَبَّنَا فَامْنَحْ لَنَا وَلِرَجْسًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَنِيِّينَ ﴿١٦٣﴾  
الاعراب: ١٦٢، فصار يدعو ربه فأحياهم الله جل وعلا. ﴿أَنْتُمْ سِرِّيَالِ الْيَوْمِ  
خَرَجُوا مِنْ بَيْنِهِمْ وَهَمَّ الْكُوفُ حَذَرَ التَّوْبِ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ تَوَلَّوْا ثُمَّ لَمَّا كُنْتُمْ مِنْ  
أَعْدَائِهِمْ تَبَيَّنَ عَلَى النَّاسِ وَلَيْسَ كُنْتُمْ مِنَ الْبَاقِينَ فَخَرَّوْا عَلَى أَعْقَابِهِمْ﴾ ﴿١٦٤﴾

الموضع الثالث: لعدة الذين خرجوا من ديارهم وهم آلاف فلهو الموت فقال الله لهم موتوا ثم أحياهم.

الموضوع الرابع: قصة الذي مر على قرية خالية على عروشها:

أَبَشْتُ يَوْمًا أَوْ تَعْنِي يَوْمًا قَالَ بَلْ أَبَشْتُ وَأَفَاءْتُ عَذَابِي فَأَنْظِرُ إِلَى عَذَابِيكَ وَخِزَابِيكَ  
لَمْ يَبْسُتْ وَأَنْظِرُ إِلَى عَذَابِكَ وَتَجَمُّعِكَ يَا كَيْفَ لِقَابِي وَأَنْظِرُ إِلَى  
الْوَيْطَانِ حَكِيمٌ خَبِيرٌ ثُمَّ نَكَّسَهَا لِحْصًا فَلَمَّا نَفَسَتْ لَهَا قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ  
عَلَى حَكِيمٍ شَرٌّ وَخَبِيرٌ \* (١٧٠٩).

الموضع الخامس: قصة إبراهيم عليه السلام حينما قال: \* رَبِّ ارْحَنِي  
حَكِيمٌ تَعْنِي الْعَوْتَ قَالَ أَوَلَمْ تَأْمُرْ قَالَ بَلْ وَلَكِنْ أَبَشَيْتَ فَلَمَّا قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ  
أَنْظِرُ قَسْرَةً إِلَيْكَ لَمْ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَتَّبِعِي يَتَّبِعُونَ خَرَاءً \* (١٧١٠). يعني  
فقطعهم وجزتهم وأخطط أجزاءهم وفرقها وأجعل على كل جبل من  
الجبال جزءاً فقطعها وفرقها وأخطط أجزاءها بعضها مع بعض ثم دعاهم  
فأتين إليه يسعين كما كن، وأما ما جاء في سورة الكهف فهو يوم طرده الله  
عليهم سنين طويلة وهو دليل أيضاً على الإحياء.. والله على كل شيء قدير  
فلا يعجزه شيء.

ففي الصحيحين أن رجلاً كان مسرفاً على نفسه وكان لم يعمل خيراً  
قط ولكنه كان يخاف الله فيحضره الموت فيجمع أولاده فقال لهم: يا بني  
أيُّ أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، فقال: إذا فعلوا ما أقول لكم، إذا أنا  
مت فأحرقوني في النار حتى أكون فحمًا، ثم اسحقوني سحقاً دقيقاً، ثم  
إذا كان يوم عاصف دوا نضفي في البحر ونضفي الآخر في البر فوالله  
لئن قدر الله عليّ ليعطيني عذاباً لم يحبه أحدٌ من الناس، ففعلوا وصيته.

عند ذلك قال الله جل وعلا له: كن، فقام حياً، فقال له: ما حملك

على ما فعلت<sup>١١١</sup> فقال: خشيتك يا رب، وأنت أعلم، ففتراته<sup>١١٢</sup>.  
 هذا شك في قدرة الله وشك في البعث، ومعظم أن الشك في قدرة  
 الله والشك في البعث كفر، ولكن الله يفعل ما يشاء، فلا يجوز للإنسان أن  
 يقول أنه يجب على الله أن يفعل بهذا المخلوق كذا أو كذا، ولا يكون  
 ذلك حجة على أن من أنكر البعث أو أنكر قدرة الله أنه لا يكون كافراً لأن  
 هذه الواقعة عين بشخص معين والله أن يفعل ما يشاء.  
 فنقول: أن من الآيات التي يستدل بها الإنسان على الله جل وعلا  
 الآيات القولية، ومنها: الفرقان ووجه دلالة على الله أنه من أعظم  
 المعجزات ومن أكبر الآيات، فلا يمكن أن يكون هذا الكلام كلام بشر  
 أبداً وذلك من وجوه كثيرة جداً منها وجوه الترتيب والمعاني والمنصاحة  
 والبلاغة وما يشتمل عليه من الإخبارات ومن الأمر والنهي وغير ذلك،  
 ولكن هذا لا يعرفه إلا من يعرف اللغة العربية.

ولهذا كان الكفار بعضهم إذا سمع القرآن سجد لفصاحته وبلاغته  
 وليس لإيمانه بل لهذا البيان العظيم وكان الذين يعرفون اللغة تماماً  
 عندهم من العناد والكبر ومن كيد دعوة الرسول ﷺ والحرص على ألا  
 يسمعه أحد بحيث أنهم كانوا يتعاهدون ويتعاهدون ألا يذهب أحد منهم  
 يستمع على رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن في الليل في بيته، فإذا مضى  
 أكثر الليل كل واحد منهم يقول لعل الباقي لا يعلمون عني فيذهب يسمع  
 فيلقى أصحابه الذين كذبوا به فلو لم يتلوهون ويقول أحدهم إنه ليس

(١١١) البخاري (٢٢٥٢١) كتاب التوحيد، الآية، باب حيث حضره مسلم (١١٩/١٢٠) كتاب التوحيد،  
 باب معارضة الله تعالى ولها صيغة تفضيه، من حيث أبي خريز، رضي الله عنه.

كلام بشر ولا كلام جن ولا كلام كهنة إن أسفله مطلق وأعلاه موقوف إن له طلاقة وعليه خلافة<sup>(١)</sup> فإذا سمع العربي أية من ما يتلوه إلا أن يدهن ويؤمن بذلك، فهذا من أعظم الآيات

وقد تحدى الله جل وعلا البشر أن يأتوا بشيء من ذلك جل وعلا: ﴿وَلَمَّا حَسُنْتُمْ فِي رَبِّكُمْ بُنَا رَأًى عَقَّ عَتِيداً﴾ فأتوا بشور من يشبهون. وأدعوا شهدة أنكم من دونهم أنتم كنتم ستورين<sup>(٢)</sup> ﴿إِنْ لَمْ تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ فَغُلُّوا﴾ (١١٠-١١٢). أي أن هذا النبي من بضع أيدى لأنه كلام الله.

وفي الآية الأخرى: ﴿قُلْ لِي أُحْشِبَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَقَّ أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ هَذَا الْفُرْقَانِ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ وَلَوْ كُنْتُمْ بِقُسُوتِهِمْ يَقِيناً﴾ (الاسراء: ٨٨). لأنه كلام الله، والفرق بين كلام الله وكلام البشر كالفرق بين الله وبين البشر تعالى الله وتقدس، فهذا من أعظم الآيات الدالة على الله جل وعلا، ومن ذلك ما فيه من ذكر الآيات الخاصة والإنجازات التي يخبر بها لم تسبق لقد أنزل على محمد ﷺ وكان أمي لا يكتب ولا يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، فأتى بإخبارات لا يمكن أن يأتي بها إلا الوحي من خبر خلق السماوات وغير خلق آدم مع زوجته لما خلقه الله جل وعلا بيده وعلمه أسماء كل شيء وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته ثم سؤل له الشيطان والنسب له وأخرجته من الجنة فروراً.

وكذلك نبي نوح مع قومه، وهود مع قومه، وإبراهيم مع قومه،

(١) وهو من كلام الوليد بن السيرة: عز المعاليم في المستشرق واليهي في مسائل النبوة، وفي  
شعب الإيمان.

وصالح مع قومه، وشعيب ولو ط وموسى وغيرهم من الأنبياء الذين ذكرهم الله جل وعلا، وكذلك الأنبياء التي ستكون مما يكون يوم القيامة والي أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وكذلك الأوامر التي تكون في المستقبل الذي قد يدركه وقد لا يدركه في هذه الحياة.

وكذلك ما بينه فيه العقول من النظر كقوله جل وعلا: ﴿إِن فِي عُلُقُ الْأَكْثَرُونَ وَالْأَرْضِ وَأَعْيُنَ النَّاسِ وَالْأَنْفِ وَالْأَفْئِدَةِ الَّتِي تَحْتَرِي فِي الْبَحْرِ مَنَازِلَهُمْ قَلِيلٌ مَّا نَسُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْشَأَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَالْأَرْضَ قَدْرَ قُرْءَانٍ بَعْشِرِهَا وَلَهُ السَّيْرُ الْمُنْتَهَى يَقُولُونَ﴾ (النمل: ٢٥).

يتأملون ويعقلون هذه، والآيات كثيرة وكلها أدلة، وكذلك الأمور التي تقع العاقل تماماً كقوله جل وعلا: ﴿أَمْ خَلْقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ مِنْ هَمٍّ الْخَلْقُ ثُمَّ لَا يَسْأَلُونَ عَنْ خَلْقِهِمْ أَمْ لَهُمْ حِفْظٌ فَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِمْ إِنْ كَانُوا عَاظِمِينَ﴾ (النمل: ٢٥). لا يمكن أن يخلق مخلوق بلا خالق أو أن يوجد صفة كما يقال هذا مستحيل، ولا يكون أبداً ولا يمكن أن نجد سيارة بلا صانع أبداً، فإذا كان مخلوقاً فلا بد له من خالق، فذكر أمرين أحدهما: ﴿خَلْقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٢٥) وهذا مستحيل.

والأمر الثاني: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (النمل: ٢٥). يعني هم خلقوا أنفسهم، وهذا أيضاً مستحيل، ولا يكون مثلهم خلقهم، وسكت عن الأمر الثالث الذي لا بد منه وهو أن لهم خالق خلقهم وهو الله جل وعلا، وهذه طريقة الفرقان، يذكر الأمور الباطلة ليطلبها ويسكت عن الحق لينظر للعقل فيه ويتأمل ويعلم فذلك، يقول الله جل وعلا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾



الْأَفْئِدَ وَفِي أَنْفُسِهِمْ عَلَى يَتَذَكَّرُ لَهُمْ إِنَّهُ أَلْقَى ﴿١٨٣﴾ إيمان أن يكون  
 ﴿١٨٤﴾ الضمير يعود للقرآن أو يعود إلى الرسول وكلاهما ملازم  
 فالمرسول والقرآن حق، ويقول جل وعلا: ﴿فَتَشْكُرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ يُؤْتَى  
 بِالْكِتَابِ ۖ يَقْرَأُ بِالْكِتَابِ عَلَى النَّبِيِّ ۖ وَالْأَنْبِيَاءُ فَذَرَتْهُ قُلُوبُهُمْ ۖ﴾ (الحق ١٨٠-١٨١) متى؟  
 ﴿يَوْمَ يُؤْتَى بِالْكِتَابِ﴾ (الحق ١٨١).

ثم كذلك من الآيات التي تدل على الرب جل وعلا المخلوقات  
 مثل: السموات والأرض، كما ذكر لها من أعظم الآيات، وهذه  
 السموات بعضها فوق بعض ونحن نشاهدها فالمشاهد لنا هو السماء  
 الذي يقول الله جل وعلا: ﴿أَلَمْ نَقْرَأْ يَوْمَ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُفْقَهُ ۖ فَفَقِهَهُ فَكَيْفَ يَتَّبِعُهَا  
 وَذَرَىٰهَا وَمَا كَانَ مِنْ فَرِحٍ ۖ﴾ (الحق ١٨١).

وكذلك الأرض بهذه الصفات بما فيها من الجبال ومن الأشجار  
 ومن البحر ومن الأنهار والنباتات المختلفة في ألوانها وطقوسها مع أن  
 التربة واحدة والماء واحد، وكذلك من آياته جل وعلا آياته التي هي  
 أوصافه وأفعاله، فهو يتعرف إلى عباده جل وعلا بصفاته وبأسمائه وبما  
 يفعله لهم، وهي أشياء كثيرة جداً إذا تأملها الإنسان المتفتح بشيء منها، فهذا  
 معنى معرفة الرب كون الإنسان يعرف ربه بهذه الجوانب وبهذه الأمور،  
 يجب أن ينظر ويتبين وبذلك يتبين أن الله هو ربه جل وعلا ويسأل ربه  
 جل وعلا أن يهديه لهذا لأنه لا يد من هداية الله جل وعلا.

ومعلوم أن الناس عقلاء وكثير من العقلاء عقولهم ذنوبية فقط، ما  
 هداهم عقولهم إلى معرفة الله جل وعلا وإلى معرفة مستقبلهم الحقيقي.

وإنما هدتهم على مخترعات دنيوية كما هو مشاهد الآن، ومع ذلك هم كفرة، لهم هذه الحياة الدنيا وإذا ماتوا فهم في جهنم، فلم تنفعهم هذه العقول. ولهذا يحب بعض العبد أن يسلّم به الهداية دائماً مع هذه الدلائل الظاهرة الواضحة التي إذا نظر إليها العاقل اطمأن.

وليس هناك أمور صعبة كما يتصوره أهل الكلام والمجدل الذين جاءوا بأمر ثم تأتي بها الرسل وإن كانت صحيحة في نفسها غير أنها طرق مثبوتة وصعبة على كثير من الناس، بالنظر إلى الحوادث يلزم لها من أين جاءت وأصفتها أمور لها جواهر وأعراض وما أشبه ذلك والجوهر هو الشيء الذي يشوبه بنفسه والعرض هو الذي يعرض ويذول ويعرض لغيره ولا بد أن يقوم بغيره.

فهذه أمور وإن كانت في نفسها قد تكون صحيحة وقد تهدي ولكنها لا تكفي ولم تأتي بها الرسل وإنما جاءت الرسل بالأمور الواضحة كالذي ذكرنا وغيره.

• • •  
قُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

الشرح:

بمعنى كون الليل يأتي فتظلم الأجزاء كلها ثم يأتي النهار ويزول الظلام وهكذا دائماً كل واحد يطلب الآخر حبساً خلفه بتدبير متقن يدل على أن له مدبر ولا يمكن أن يكون المدبر من جنس هذه المخلوقات، فهو ليس كمثله شيء جل وعلا، ومعلوم أن الليل والنهار من أثر الشمس وظل الأرض، ولذلك وضع الشمس بهذه الطريقة هو الله جل وعلا،



المساوات والأرض وكذلك البحار وتسخيرها وما فيها من الحيوانات وغيرها والمنافع التي تنفع الناس، وكذلك ما أنزل الله من السماء من ماء فكيف يحمل الماء ومن أين يأتي وكيف يحصل السحاب الذي يشبه التدخين، وإذا أنزل الماء ما هو أثره وكيف تنشق الأرض وتخرج أنواع النباتات التي فيها حياة الإنسان وحياة البهائم والطيور وغيرها ما هو على الأرض، من أين خرج ومن هو الذي شقق الأرض عنه ثم ألوانه وطعمه المختلفة مع أن الماء والتراب واحد، ثم الرياح التي مرة تأتي من هنا ومرة تأتي من هنا وهي تحمل السحاب وقد تقطع المعابر والأنهار وغيرها كل هذا دلائل واضحة على أن الله جل وعلا هو الخالق وهو الذي يجب أن يعبد.



وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الشَّجَرَاتُ الشَّجَرُ وَالْأَرْضُونَ الشَّجَرُ وَمَنْ فِيهِمْ وَمَا يَنْتَهِيانِ وَالْقَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِتَّقِيهِ تَعْتَبُونَ﴾ [١٣٠]

### الشروح

ويعني أنها من أعظم الآيات، كونه خلق الشمس بهذه الصورة وعلى هذه الصفة العظيمة العجيبة وبهذا الاربعاء السابع ثم سرانها وحركاتها مع الأرض بهذا النظام والوقت الطويل جداً وهي لا تتغير على ما هي عليه، لو أراد الناس أن يفسدوا بلد من البلدان فسوف يتعيون بالتعديلات وبإيجاد المولدات وبأشياء تتطلب عملاً كثيراً جداً وهي بقعة صغيرة

محبوباً، وهذه تفيء الأرض كلها إضاءة عاتلة والألاف من السنين وهي هكذا ولم نقص وهي على ما هي عليه حتى يأتي وعد الله جل وعلا، وكذلك القمر في إضاءته وما يترتب عليها من الآيات والمنتفع، وهذا الذي يأمرنا الله به جل وعلا أن نأمله حتى يدعونا ذلك إلى عبادته، ولهذا قال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ (النمل: ٢٥).

والسجود بقصد به التوجه بالعبادة إلى من خلق الشمس والقمر وسطرهما ﴿وَأَنسِيْدُوا﴾ (الفرقان: ١٧) خلقهم بأمر مستطير إله متدبر ﴿النمل: ٢٥﴾ أي أن أكثر الناس لا يتأمل ذلك ولا ينتفع به فيصيح إما أن يعبد نفسه أو يعبد مخلوقاً مثله أو أقل منه كأن يكون مبدأ لا يملك لنفسه شيئاً فضلاً عن داعيه.



وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِي السَّمٰوٰتِ خَلْقٌ كَمَا خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

آيَاتٍ﴾ (الأنعام: ١٠١).

### الشرح

في هذه الآية ذكر أن الخلق وقع بعد لم يكن موجوداً، ولذلك قال: ﴿فِي سِتَّةِ آيَاتٍ﴾، وهذه الأيام الستة التي ذكرها إما أن تكون مقدرة بهذه الأيام التي نعرفها أو تكون مقدرة بشيء آخر، أفلاك أخرى، مخلوقات أخرى قبل خلق المخلوقات والأرض الله يعلمها، وما وراء هذه المخلوقات لا نعلمها ولا نتكلم بها، وإلا فانه جل وعلا أول لا مبدأ له وما كان ربنا قبل وعلا قبل خلق السموات والأرض لا يعقل شيئاً معطلاً

سببة حليفة لها أبواب ولا أحد يدخلها إلا مؤذن ويفتح له، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الطويل الذي فيه اختصار الميت ونصه أنه إذا مات وأن روحه يخرج بها إلى السماء، ثم يستفتح لها باب السماء، فإذا كانت من أهل الخير والبر فتح لها ثم لا يزال يستفتح لها باب السماء إلى أن تنتهي إلى السماء التي فيها الله، فيقول الله جل وعلا لهم: اكتبوا كتابه في عشرين وأربعين يوم إلى الأرض فمساها حلفتهم وإليها أعبدتهم ومسا آخرتهم نارة أخرى.

أما إذا كان فاجراً أو كافراً فإنه إذا استفتح له باب السماء الدنيا لم يفتح له ثم ينادي نادياً أن اكتبوا كتابه في سبعين، ثم يقول: تطرح طرْحاً نفراً رسول الله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَانَ حَرْجاً مِمَّنْ فَتَقَطُّعُ عَنْهُ الشَّعْرُ﴾ أو تهوي به تنجيحاً له تنجيحاً سبعين، ثم يفتح له باب السماء الدنيا حتى تكون معه في القبر ويحصل العذاب على الروح والبدن معاً، وكذلك في حديث المعراج وهو ثابت بالتواتر أن رسول الله ﷺ ذهب بصحبة جبريل، فلما وصل إلى السماء الدنيا استفتح جبريل باب السماء، فقبل له: من؟ فقال: جبريل، فقبل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، فقبل له: آمين - يعني أرسل - قال: نعم، فتفتحوا له، وهكذا في السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، هكذا يذكر<sup>(١)</sup>.

(١) أحمد (١٦٨٠٣)، المسالك في معرفة أحوال المصطفى (١٦٠-١٦١)، البيهقي في السنن الكبرى، وفي الشعب للإمامين، وجميعها من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث الإسراء الصحيح، وهو مطلق من أحداث معقدة من ذلك على لفظ كتابه المعاني من كثير في معرفة أنس بن مالك رضي الله عنه في المسالك والصفحة (١٦١-١٦٢) أحمد أبي.

فقول أهل الهيئة المذنب لا يؤمنون إلا بالمحسوس، إن هذه الزوقة التي نشاهدها ليست حقيقة وإنما هي انعكاسات أعيرة أو أو كسجين أو بهار أو غير ذلك كلام غير صحيح، فإله جل وعلا أخبرنا أنه خلق السماء وأمرنا أن ننظر إليها: ﴿لَقَدْ بَنَيْنَا إِلَىٰ آسَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ عَلَيْهَا وَزِينَتَهَا وَمَا نَحَابِينَ مَرُوحٍ﴾ (إبراهيم: ١٨).

وكذلك يقول: ﴿إِلَهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِمِثَرٍ قَدِيرٌ قَوِيٌّ﴾ (إبراهيم: ١٩) فهي حقيقة على الأرض والسماء التي فوقها كذلك مقبلة عليها والتي فوقها كذلك، والشمس والقمر والنجوم تحت السماء الدنيا رتبة لها كما أخبر الله جل وعلا، فهذا من آيات الله جل وعلا.

• • •

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجِ﴾

الشرح:

الاستواء فعل خاص بالعرش، والله جل وعلا غني عن العرش، ولكنه جل وعلا أخبرنا أنه خلق العرش ثم استوى عليه، والعرش وحيدة للعرش وغيرهم فقراء إلى الله جل وعلا والله عز الغني بدائه عن كل ما سواه ولكنه يفعل ما يشاء وكل فعل بفعله فهو الحكمة، ولهذا أخبرنا بذلك لنؤمن به ونطيق عباده هل يرضون بهذا أو يردونه أو يضلون فيه؟ لهجاري من آمن على حسب خبر الله جل وعلا ومن لم يقبل ذلك فجزأه عند الله وليس بمعجز.

• • •

## ﴿يَتَنَبَّأُ الْغَيْبَ كُلَّهُ نَبِئًا﴾

### الشرح:

ومعنى ﴿يَتَنَبَّأُ﴾ أنه يدخل هذا بهذا، فتجد النهار ملئصق بالليل والليل ملئصق بالهزار وكل واحد يطلب الآخر بسرعة وهكذا إلى أن يأذن الله جل وعلا في تغير الكون، فهذا يبدأ التغير فهائي يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كأسبوع، وهذه الأيام الثلاثة من أيام الدجال حين يخرج، وهذا إيمان بتغير الكون وكذلك غروب الشمس من المغرب حيث يطول الليل على كثير من الناس الذين يهجدون ثم يخرجون وينظرون ويعودون مرات متكررة، بينما هم كذلك إذ الشمس خارجة عليهم من جهة المغرب فتسير على هذا العتول حتى يشاهدوا أهل الأرض كلهم ويعلمون أنها خرجت من المغرب يعني انعكس سيرها ثم بعد ذلك تعود كما كانت إلى أن ينفخ في الصور.

• • •

## ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ فَسَّخَرْنَهُنَّ وَأَمَرْنَهُنَّ﴾

### الشرح:

يعني أنها تسير بدفة وإتقان بأمر الله جل وعلا وليس بأمرها هي، هي ليس لها تصرف وإنما جل وعلا هو الذي أمرها بهذا.

• • •

## ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

### الشرح:

يعني هو الذي خلق هذه الأشياء المشاهدة، وليس معه من يعاونه أو



يساعده أو يشاركه في ذلك - تعالى الله وتقدس به والعطف في قوله: ﴿الْمَخْلُوقَ وَالْأَمْرَ﴾ [الأمر: ١٥٣] يدل على المعاصرة، فالخلق شيء والأمر شيء، الأمر الذي يأتي بقوله وإذنه بأن يقول لشيء: كن فيكون وكذلك بأمر عباده بما يشاء وينهاهم عما يشاء، فالأمر من صفاته والخلق آثار أفعاله.

\* \* \*

﴿تَكَوَّنَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِيَّةِ﴾ [الأمر: ١٥١]

الشرح:

﴿تَكَوَّنَ﴾ أي تعاطف، فهو جبل وعلا يتي على نفسه لأن الخلق لا يستطيعون أن يصلوا إلى الشئ الذي يستحقه الله جبل وعلا، و﴿رَبُّ الْمَلَكِيَّةِ﴾ أي الخلق كلهم سواء كان عاقل أو غير عاقل.

\* \* \*

وَالرَّبُّ هُوَ الْمُعْبُودُ

الشرح:

يعني أنه هو الذي يجب أن يُعبد، قوله: ﴿رَبُّ الْمَلَكِيَّةِ﴾، ﴿رَبُّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ﴾ [الأمر: ١٥١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اقْبِذُوا زِينَتَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨١] فهو الذي يجب أن يُعبد لأنه هو الذي يملك لهم الجزاء على العبادات ويمسك التعذيب إذا لم يعبدوه، وليس ذلك لأحد من الخلق مع أنه هو الذي أوجدهم وهو الذي يرزقهم ويعاقبهم، ولكن أكثرهم يكفر بالله جل وعلا، ولهذا ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أحد أصبر على

أذى سمعه من الله<sup>(١)</sup>، يستحقون له قوله ثم يرزقهم وبما فيه مع أنهم يقولون أن له ولداً، وهذه مسأله حل وعلا، ومع هذه المسأله يرزقهم وبما فيه.

• • •

وَالْقَبِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (احقر: ٢١).

الشرح:

لأنه أمرهم أن يعبدوا ربهم والعبادة إذا جاءت المقصود بها التوحيد وليس مجرد القل والخصوع والركوع والسجود والدعاء والذبح والنذر، فهذه ليست عبادة شرعية حتى تكون خالصة وتكون توحيداً، وفعل كل أمر أمر الله جل وعلا به، ثم أمر به رسوله خوفاً من الله ورجاءاً لثوابه وترك كل شيء نهى عنه أو نهى عنه رسوله خوفاً من الله ورجاءاً لثوابه، فإنه عبادة، فإن كان يكون حصر العبادة وذكر أفرادها صعب جداً لأنها كثيرة، يدخل فيها أعمال القلوب والنيات والمقاصد والخوف والرجاء، والإتابة والخشية وأعمال الجوارح وقول اللسان فهي كثيرة جداً، ولهذا اختلف العلماء في العبادات التي تُعرف بالعبادة.

• • •

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَلَكُمْ سَبِيلُونَ﴾ (الذي جعل لكم الأرض يرزقاً والسماة بناءً والبرق من السحابة ماءً فالقحح به، من الظنن رزقاً لكم فلا

(١) البخاري (٩٩٠٩٦) كتاب الأدب، باب القصر في الأذى من حديث أبي موسى الأشعري

ومع الله عنه، ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة

تَحْصِلُوا إِلَهُكُمْ أَسْمَاءً وَأَسْمَاءً تَقْتَضُونَ ﴿١٠٢﴾

الشرح :

يعني أنكم تعلمون أن الله هو الذي يفعل هذه الأشياء، وهو الذي خلقكم ولم يشاركه في خلقكم مشارك ولم يعاونه على ذلك معاون . تعالى الله وتقدس . هذا شيء بقرينه الطلق، فإذا سألت الكافر عن خلقه قال : الله ﴿ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِمْ شَيْءٌ ﴾ ﴿١٠١﴾ الزمر : ١٥٧ . وكذلك إذا سألتهم عن خلق السماء ومن خلق الأرض يقولون : وإذا سألتهم من الذي ينزل المطر ويثبت النبات : يقولون الله، ومن الذي خلق الأرض على هذه الصفة وجعلها مسطرة ويمكن أنعني عليها والجنوس عليها والارتفاع بها ولم تكن مضطربة متحركة، فهذا إذا حصل اضطراب في ثوابي ذلك من عليها، إذا حصل ذلزال في جهة من الجهات حدث الهلاك والدمار . ولهذا قال الله جل وعلا : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ﴿ الزلزلة : ١٠ ﴾ . الزلزلة الحقيقية وليس مثل هذا بل كلها بحسبها تنزلزل، ولهذا نصير الجبال ﴿ حَتَّىٰ يَكُونُ الَّتِي تَقْصُرُ مَنَازِلُهَا ﴾ ﴿ الزلزلة : ١٥ ﴾ أي : مثل الصوف إذا انفضت ثم بعد ذلك نصير حياة من شدة الزلزلة ويهلك كل من عليها إذا أوحى الله إليها وأمرها بذلك، أما الآن فجعلها جل وعلا مسطرة ثابتة ويمكن الارتفاع بها وجعلها ﴿ كَذَٰلِكَ أُنشِئُهَا وَالزَّلْزَلَةُ ﴾ ﴿ الزمر : ١٥ ﴾ . يعني بطلها جعل الأموات، وظهرها ذلولاً للأحياء يتصفون بها، وكذلك يجعلون في بطنها ما يؤذيهم بالروائح وغيرها، فهي مسخرة لهم بخلق الله لها ومع ذلك سوف تحدث أخبارها، ذلك بأن كل مكان سوف يتكلم ويقول : فلان

عمل عليّ كذا وكذا، ويصيح هذا المكان شاعداً عليه، إما بالخير وإما  
بالشر، ويقول: حل وعلا: ﴿فَمَا تَكُنْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ (نور: ١٩)،  
والسماء والأرض تنكي لأنها تتأثر بالطاقة، فإذا مات صاحب الطاقة  
الذي بطبع الله حل وعلا على الأرض فإنها تنكي بالبقعة التي كان يقعد  
فيها وكذلك الموضع الذي يقعد عمله من إلى السماء ينكيه لأنه يفقد  
ذلك العمل الذي يعبد الله حل وعلا به وصيحه ويذكره ويهلك، والذي  
خلق هذه الأشياء وأمر المطر وأنبث النبات هم يعلمون أنه هو الله وحده  
ليس معه شريك، ولهذا جعل ذلك دليلاً على وجوب أن يعبدوه، فقال:  
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لَهُمُ تُدَادًا وَقُلُّوْا قَلْبُكُمْ﴾ (نور: ٢٢). ما دام أنكم تعلمون  
أنه هو وحده المتفرد بما ذكر، فيجب أن تفردوه بالعبادة.



قَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْغَالِثُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِيلُ  
بِقِيَمَتِهِ<sup>(١)</sup>.

#### الشرح:

يعني أن هذا أمر ظاهر حلي ودليل لا خطأ فيه، أن الله جل وعلا هو  
الذي يجب أن يُعبد.



(١) حاشية المراجعة العلمية: (١١/١).

وأشواغ العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام والإيمان، والإحسان،  
وغير ذلك.

### الشرح:

هذا هو الأصل الثاني الذي سيذكره والدعاء معروف، وهو الانجاء  
إلى الله جل وعلا، والعلماء، فسعوا الدعاء إلى قسمين: دعاء مسألة ودعاء  
عبادة، فدعاء المسألة هو كل شيء تطلبه من الله من أمور الدنيا أو الآخرة،  
أما دعاء العبادة فيدخل فيه هذا ويدخل فيه التسبيح والتكبير والقراءة  
والصلاة والصدقة وغيرها وذلك لأن الذي يقرأ القرآن أو يسبح أو يصلي  
فهو يفعل ذلك راجياً به ثواب ربه، فيكون دعاء العبادة أهم وأشمل ولا  
يخرج منه شيء من العبادة، ودعاء العبادة لا أحد يتكبره ولكن عبادة التور  
لأنهم أن يكون دعاء السؤال عبادة، يريدون أن يبرروا أنهم إذا قالوا يا  
فلان أعطنا فلان أعطنا كذا وكذا، وهو ميت أن هذا لا يكون عبادة وهذا  
مكافرة، وليسوا من أهل اللسان الذين يرجع إلى قولهم وليسوا من  
العلماء الذين يعتبر بخلافهم وإنما يقولون ذلك من باب المغالطات والتبع  
الهمزى والعادات والمألوفات التي ألفوا عليها أهل بلدهم أو من تلقوا عنه  
علومهم وهو ليس حجة وإنما الحجة ما جاء به الرسول ﷺ وما أجمعت  
عليه الأمة من علماء السلف.



والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشوع،  
والاستغناء، والاستغناء، والاستغناء، والدفع، والذل، وغير ذلك  
من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها.

وَالَّذِينَ قَوْلُهُ ثَمَانِي: ﴿وَأَنَّ السَّجْدَ قَوْلًا لَا تَدْعُوا مَعَ قَوْلَانَا﴾ (المس ١٨).

الشرح:

﴿السَّجْدَ﴾ هنا المقصود بها مواضع السجود من بدن الإنسان، يعني أن أعضاء الإنسان مبنية من الله وحدها له، فهي له يجب أن يشكر عليها وأن يعبد بها، فلا تعبدوا بها معه أحد، وقيل: ﴿السَّجْدَ﴾ مواضع السجود من الأرض سواء كانت مبنية ومحاطة ومعدة لأداء العبادة أو كانت غير مبنية لأن الرسول ﷺ يقول: جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً، فأي إنسان من أمي أدركته الصلاة فعنده مسجده وظهوره<sup>(١)</sup>. فيكون المسجد هو الموضع الذي تسجد فيه وهو لله، ومعلوم أن المساجد المبنية تسمى بيوت الله، فهي لله لا يملكها أحد بل هي مشاع بين المسلمين يؤدون فيها العبادة لله وحده، لهذا قال: ﴿لَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ﴾ (المس ١٨)، وهنا المقصود بالدعاء دعاء العبادة ويدخل فيه دعاء المسألة. اهـ.

فَمَنْ عَرَفَ بَيِّنَاتِ شَيْءٍ يُغَيِّرُ اللَّهُ، فَهِيَ شَرْكَ تَقَارِيرُ.

الشرح:

الكفر يكون أهم من الشرك؛ لأن قد يوجد الكافر بلا شرك، فمثلاً اليهودي الذي لا يعبد الأصنام وإنما يعبد الله ولكنه لم يؤمن بمحمد ﷺ

(١) في خبر (١٣٣٥) كتاب الصلاة - باب قول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً، والشافعي (١٣٣٦) كتاب غسل الوضوء - باب التيمم بالصعيد، عن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال الألباني: «صحيح» فطر حديث رقم (١٦٠٥٦) في الصحيح الجامع.

يكون كافراً وإن لم يكن مشركاً وغير ذلك، فالكفر أهم، ولهذا قسم العلماء الكفر أقساماً خمسة، أحد هذه الأقسام الشرك. ثم قسموا الشرك إلى قسمين: شرك أكبر وشرك أصغر، ومن أقسام الكفر النفاق، وفسحوا النفاق إلى قسمين. نفاق اعتقادي وجعلوه أقساماً ستة وكل واحد كافي في كون الإنسان خارجاً عن الدين الإسلامي، وخالفه في النار ونفاق عملي وجعلوه أقساماً خمسة، وقالوا: إذا اجتمعت هذه الأقسام الخمسة العملية في إنسان فلا بد أن يكون عنه نفاق اعتقادي، فيكون منافقاً خالصاً كما قال الرسول ﷺ: «من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها»<sup>(١)</sup>، ثم قالوا: قسم ثالث من الكفر وهو كفر الإيذاء والاستكبار، وكفر الإعراض، وكفر الدعوة، وقسم آخر من الكفر هو كفر النعمة وهو غير مخرج من الدين.



وَالذَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذْ مَعَ تِلْكَ الْبَنَاتِ كُفْرًا﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الشرح:

هذا يدلنا على أن شرك المشركين كان عبادة الله ولكنهم يعبدون معه غيره، وما كانت العبادة خالصة للأصنام وإنما كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، والإله هو المالك الذي ناله القلوب وتب له وتجه وتذل له وتعظمه وتخضع له.



(١) «المعجم» (٢: ٢٩٩) كتاب النفاق، باب إذا غاصم غيره، «معجم الترمذي» (٢: ٢٩٩)، كتاب الإيمان، باب ما جاء في علامة المنافق، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال الأئمة: «صحيح» انظر حديث رقم (١٠٠٠) في «المصحيح المجمع».

### ﴿لَا تَرْفَعْنَ كُمُوءَ﴾

#### الشرح:

هذا خرج مخرج العالب الواقع، ولا كل داغ يدعو غير أنه ليس له  
برهان، والبرهان هو الدليل الظاهر، وليس كل دليل يكون برهاناً، وإنما  
كل برهان دليل، فالبرهان هو الدليل الحلي الظاهر، والمعنى أن  
المشركين ليس لهم برهان في شركهم، فعلى ذلك يستحقون العقاب؛  
لأنهم يدعون مع الله ما لا دليل لهم عليه، وهذا معنى ما جاء في كثير من  
الآيات أنهم لا سلطان ولا حجة لهم على ما عبدوا ودعوا.

• • •

### ﴿تَسْأَلُونَ عَنِ الْحِسَابِ﴾ انوسون ١١٦

#### الشرح:

هذا فيه تهديد عظيم؛ لأنه ذكر الحساب وأنه يكون عند الله جل وعلا  
دل على أنه سوف يتجاوز به فيدو له ما لم يكن يحسب في ذلك  
المكان.

• • •

### ﴿إِنَّهُ لَا يَتَقَبَّلُ التَّوْبَةَ﴾ انوسود ١١٧

#### الشرح:

والفلاح هو الفوز بالظفر المرجو، فالتكافر أن يملح فهو حاسر  
وخائب وكفى به غيبة وحزناً أن يكون في جهنم ويبقى فيها خالدًا.

• • •



وَلِي الْحَبِيثِ: الدُّعَاءُ نَحْبُ الْعِبَادَةِ.

الشرح:

هذا الحديث معروف في الترمذي، وهو صحيح، ولكن معناه صحيح، ودلت عليه آيات وأحاديث ثالثة، وأصح من الدعاء هو العبادة<sup>(١)</sup>، وهو حديث حسن.

• • •

وَالْقَبِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (نور: ٢٤).

الشرح:

وما دام ربنا أمرنا بالدعاء فهو عبادة، وهذا الدعاء نسر بدعاء المسألة، ونسر بدعاء العبادة، ولهذا يقول بعض المفسرين: ﴿النَّاسِيبُ نَكْرٌ﴾ (نور: ٢٤) أيكم، وبعضهم يقول: أعطكم، فالذي يقول: أنيكم، يجعله دعاء عبادة، والذي يقول: أعطكم، يجعله دعاء مسألة، وكل دعاء في القرآن كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هو دعاء عبادة، وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (نور: ٢٤) وهذا يحتمل أن يكون دعاء مسألة ويحتمل أن يكون دعاء عبادة، ولكن جاءت آيات واضحة وظاهرة في دعاء المسألة وهذا لا إشكال فيه.

• • •

(١) ابن الترمذي (١٢٩٦٩) كتاب تفسير الفرقان باب ومن سورة الفرقان: «من دعا» (١٢٨١٩).

كتاب الدعاء، باب فصل الدعاء، من حديث الترمذي من بشر رضي الله عنه، قال لا اله الا الله.

اصحح: «نظر حديث رقم (٣٦٠٧) في صحيح الجامع»

﴿إِنَّ الْإِسْلَامَ بِتَحْكِيمِهِمْ عَنْ يَسَارَةٍ﴾ [عدد ١٦٠]

**الشرح**

فسرت العبادة بالدعاء والاستكبار عن العبادة يعني عدم مسألة الله جل وعلا.

• • •

﴿سَيَذْكُورُونَ عَنْهُمْ وَالْغَيْبَ﴾ [عدد ١٦٠]

**الشرح**

﴿وَالْغَيْبَ﴾ يعني صاغرين ذاهبين، الفاعل هو الصاغر الذليل الذي ذل.

• • •

﴿وَذَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَتَكُونُوا مِنْكُمْ قَوْمِينَ﴾

[عدد ١٦١]

**الشرح**

والخوف المفصود به الخوف الذي يكون فيه التعظيم، أما الخوف الذي يكون من سلطة متسلط ظالم أن يناله بظلمه ولكنه لا يعظمه، يخاف من بطلته وقلبه قد يلغته فهو يخضع ويكرهه ومع ذلك يخافه لأنه متسلط عليه، فهذا لا يكون عبادة وليس من العبادة، وهو يقع للناس كثيراً، حتى يقع للأولياء، ولهذا قال موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا خَافُ أَنْ يَقْرُبَ عَلَيْنَا أُولُو الْأَيْمَانِ﴾ [عدد ١٦٢]. فقال الله جل وعلا: ﴿قَالَ لَا تَخَافْ إِنَّنِي سَمِعْتُ مَا سَمِعْتَ وَآتَيْتُ﴾ [عدد ١٦٣] يعني أنه بهما، فالمقصود أن هذا الخوف يسمى

خوف طبيعي، وتكون الإنسان يخاف من ظالم لو من صبيح أو من حية أو ما أشبه ذلك لا غير عليه في ذلك، وإنما الخوف الذي يجب أن يكون مخالفاً له هو الخوف الذي يتضمن التعظيم أي يخافه وهو يعظمه، والخوف الغيبي مثل الذي يحصل لعباد الأولياء، يخاف أنه يطلع على ما في قلبه ثم يعاقبه، فهذا لا يجوز أن يكون إلا لله جل وعلا.



وَقِيلَ الرِّجَاءُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيُحْسِنِ الْعِبَادَةَ لَا يُكَاوِلُهَا

بِقُرْبَىٰ بَلَىٰ وَمَنْ يَرْجُ الْفَلَاحَ ﴿١٦٠﴾﴾ (التكوير: ١٦٠)

#### الشرح:

الرجاء هو توقع الخير، يرجوه ويتوقعه أن يحصل له، فتوقع الخير من الله عبادة، كون الإنسان يتوقفه من الله وينظره فإنه عبادة لله جل وعلا وهو من معنى أن الله جل وعلا يجلب المنافع لعباده، فيجب أن يكون ذلك مخالفاً له جل وعلا، وكل إنسان يرجو رحمة ربه وفضله، ويخاف من ذنوبه ولكنه يرجو عفو الله ورحمته، وهذا من أفضل العبادات ويجب أن يخلص لله جل وعلا.



وَقِيلَ التَّوَكَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ (البقرة: ١٦١)

#### الشرح:

التوكل هو ركل الشيء إلى من يقوم به تمام القيام، تقول: وكلت أمري إلى فلان، إذا استندت إليه واكتفيت به، فالتوكل هو إسناد الأمر إلى من يهتد

القيام بذلك والاكتفاء بتصرفه وبفعله، وهذا من أفضل الأعمال كون الإنسان يعتمد على ربه، ولكن ليس معنى التوكل ترك فعل السبب وإنما بفعل السبب ثم يعتمد على ربه في حصول المراد سواء من أمور الدنيا أو من أمور الآخرة، ولا يجوز أن يكون هذا على الإنسان ولكن الوكالة التي تكون للإنسان هو أن يكل إليه ما يستطيع تصرفه من بيع أو شراء أو إتيان حاجة أو ما أشبه ذلك من أمور ظاهرة يستطيع أن يتصرف فيها يصح أن يقال إني وكلفت في هذا الشيء، يعني لابد أن يحصل ويعبر ومع ذلك لا يجوز أن يقول: توكلت عليك كما لا يجوز الاعتماد على سبب لابد أن يكون الاعتماد على الله جل وعلا ثم فعل السبب؛ لأن الله هو الذي سبب الأسباب وهو الذي إذا شاء فعلها، والتوكل شرط في الإيمان؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وَقُلْ أَتُؤَكِّلُونَ لَبَنًا مَدَنًا مَوْسُومًا﴾ (النحل: ٦٣)، فمعنى ذلك أنه إذا لم يحصل التوكل على الله فليس الإنسان بمؤمن.

• • •

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ١٣).

الشرح:

معنى ﴿حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ١٣) يعني كافيه، ومن كان الله حسيبه لا يضره شيء أبداً، ولكن هذا قد لا يتحقق لكل إنسان، فلا يكون معناه أنه يقول: أنا توكلت على الله ثم لم يحصل لي مراد، لأن الله علام الغيوب، القلب قد يكون فيه شيء من الاكتفاء إلى غير الله جل وعلا أما إذا توكل الإنسان على ربه حق التوكل فلا يمكن أن يتخلف عنه مراده.

• • •

## وَذَلِيلُ الرِّقَةِ، وَالرَّخَةِ، وَالْخُشُوعِ

الشرح

الرغبة هي المرجاء المؤكد الذي معه حب وعشوق لمن يرجوه، وهذا لا بد منه في جميع العبادات، فمرجو راحة متصفاً بذلك وانحطوع الذي معه التعظيم، والرغبة هي الخوف والخوف من العباد، ولكن الرغبة تتضمن خوف القلب أما مطلق الخوف فهو أهم من الرغبة مع التعظيم، خوف القلب الذي يسميه الناس خوف السر يعني أنه في سر الإنسان، وعباد القبور يقولون: فلان فيه سر، يقصدون أن التواحي يطلع على ما في القلب، وأنه يتصرف في ذلك، فقد يعاقب وقد يشب، وهذا من أعظم الشرك بالله جل وعلا ومن حصل له شيء من ذلك فهو مشرك، لأن الإطلاع على ما في القلب والخوف الخفي خاص بالله جل وعلا، يجب أن يكون خالصاً لله جل وعلا وألا يكون لأحد من المخلوق فيه شيء، والخشوع هو خوف القلب مع ذلك وهو قريب من الخوف ولكنه أبلغ لأنه يكون في القلب ويكون في البصر بأن تدرك العين وتسمع وتكون في السمع بأن يفتح كما قال الله جل وعلا: ﴿وَنُخَشِعُ الْأَبْصَارَ لِذُرِّيِّهَا فَلَا تَتَّبِعِ الْأَعْيُنَ﴾ (طه: ١٠٨).

• • •

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُكْشَرُونَ بِالْهَيَبَةِ وَالْجَبَرِ وَرُفْعِ الرَّحَةِ﴾

وَكَانُوا لَنَا خُشُوعًا ﴿١١٠﴾

الشرح

يعني الأنبياء المذكورين في هذه السورة، فإنه تعالى عدد الأنبياء

وَذِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ ثَمَانِي: ﴿لَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي، وَلَئِنَّمْ يَمُوتْ عَقْلُكُمْ  
وَلَقَدْ كُنتُمْ تَهْمِلُونَ﴾ (النور: ١٥٠).

### الشرح:

والخشية أيضاً قريبة من الخوف إلا أنها تكون أخص من الخوف العام، وهذه الخشية تكون في جميع الأشياء، وليس في شيء معين. ويجب أن يكون المحتش هو الله جل وعلا ولا يتخشى مخلوق من المخلوقات؛ لأن المخلوق ما صبه به الله جل وعلا بتصرف الله جل وعلا فيه كيف يشاء، ولن يستطيع أن يستحق شيء إلا بإذن الله، فلا يستطيع أن يضر أو ينفع إلا بإذن الله جل وعلا، فإذا أحلص الإنسان خشية لربه جل وعلا فإنه يكفي ما أعده.



وَذِيلُ الْإِيمَانِ: قَوْلُهُ ثَمَانِي: ﴿وَلِيْمُوا إِلَّاءَ رَبِّكُمْ وَلَسْتُ بِإِلَهِ مِنْ قَبْلِهِ، إِنْ  
يَأْتِيَنَّكُمْ الْمُشْرِكُونَ فَمَا تَصِفُواهُمْ﴾ (النور: ١٥١).

### الشرح:

والإيمانية هي التوجه مع العمل الذي يتضمن الذل والتعظيم، أياها إذا خضع وأذل راجعاً إلى ربه جل وعلا، وهو يأمر جل وعلا بالإيمانية وهي أخص من الإسلام؛ لأن الإسلام أمر عام وهو الاستسلام والانقياد لله عموماً أما الإيمانية فهي أبلغ من ذلك.



وَقِيلَ **الاستعانة** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَيْئًا زَيْنًا لَمْ يَسْتَعِينِ﴾ **الاستعانة** :

### الشرح

وهذا بجميع العبادة كلها لأن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة التي تكون في الحواشي والباطنة التي تكون في القلب و﴿إِنَّ شَيْئًا﴾ يعني العبادة كلها لكأن لأن تقديم الضمير ﴿إِنَّ شَيْئًا﴾ الذي يسمى معمولاً على العامل الذي هو ﴿مَنْ شَيْئًا﴾ يدل على أن العبادة يجب أن تحصر في المقدم ولا يجوز أن تكون للغير، فهو يعطي معنى لا تعبد إلا أنت.

وكذلك ﴿وَقِيلَ لَمْ يَسْتَعِينِ﴾ مثلها تدل على أن الاستعانة يجب أن تكون بالله وحده، وتكون هذا بجميع العبادة كلها لا أن العبادة تكون في الشيء الذي أمر الله جل وعلا به ولا تحصل العبادة من الإنسان إلا إذا حصل العون له من ربه جل وعلا، وهذا يدلنا على أن العبد لا حول له ولا طول، وإنما الأمور كلها بيد الله تعالى، إذا من الله جل وعلا على عبده فأعانه وعدها فهو فضله، فالتفضل له ابتداء واستدامة ونهاية، فمن وجد أنه عاهد الله فليشكر ربه لأن هذا فضل الله وأنه ليس من عتده شيء، لو أن الله جل وعلا منع عنه فضله لهلك، فلماذا لا تنفك العبادة عن الاستعانة، فلا بد للعبادة من استعانة، فإذا لم تحصل الاستعانة ما حصلت العبادة ولهذا الأمر أوجب الله جل وعلا ذلك علينا أن ندهوه به في كل ركعة من ركعات الصلاة وهذا من رحمة الله جل وعلا بنا لأنه يعلم سبب حاجتنا إليه، ولكن يجب أن يفهم الإنسان الشيء الذي يردده في صلاته وأن

العبادة تكون لله وإذا حصلت منا فهي بعونه، ومعنى ذلك أن الفضل لك وأنت لا تستطيع أن تأتي بشكر نعمتك لأن الشكر نفسه نعمة، فوقع العبادة نعمة وشكر، عليها نعمة، فلا يستطيع الإنسان القيام بحق الله ولكن يكفي أن يعترف به جل وعلا بالتفضل. وأنه مفضل في حقه، ولهذا يقول الرسول ﷺ: **أبلى سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** (١). فهذا الشيء هو مقدمه وعظيمة وهذا سيد الاستغفار. ومعنى أبوء لك بنعمتك يعني أعترف لك بنعمتك عليّ وأني لا أستطيع القيام بشكرها، وأبوء بذنبي يعني أعترف بأني مذنب ولا أستطيع أن أتوب بالشيء الذي يخلصني من ذنبي، وإسما هو فضلك إذ فعلت عنيّ وعفوت عني. وقوله: **أَبِئْزَكَّ سَعَةً وَأَبْزَكَّ سَعِيًّا** (٢) يقول العلماء: هذه الآية جمعت معاني كتاب الله كله لأن المقصود بإزالة الكتاب هو الأمر بحسادة الله جل وعلا والعبادة تكون بالاستعانة والاستعانة تكون في الأمور العامة والخاصة كنها، يجب أن يكون ذلك بالله، فإن كان بغير الله ضاع الإنسان وضلّ وركل إلى ذلك الذي يستعان به، ومن وكل إلى مخلوق فقد وكل إلى عبوة وضیعة وإن ظهر أنه في وقت من الأوقات يحصل على مطلوبه فهو لا يدوم أبداً

(١) في المغنوي (٦٣٣٣) كتاب الدعوات: يجب ما يقول هذا الصحيح. فسر الترمذي (٣٣٩٣)

كتاب الدعوات: يجب ما جاء في الدعاء (١٢٨٧) الصحيح (١٢٨٧) من حديث قتادة بن أنس رضي الله عنه قال الألباني: صحيح. نظر حديثه رحمه الله (٢٦١٢) في صحيح الجامع.



وسوف يتهي، والمقصود أن دليل الاستعانة والعبادة عامة في هذه الآية.

• • •

وفي الحديث: «... وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»<sup>(١)</sup>.

**الشرح:**

هذه جملة من حديث رواه الترمذي والإمام أحمد في المستدرج وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: أيها غلام، أعلمك كلمات يغنيك الله بهن: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله.

ومعنى احفظ الله: احفظ أوامر الله من أن تضيعها، واحفظ حدوده ومحارمه أن تقع فيها، وذلك بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وهذه الكلمات من أنفع ما ينبغي للإنسان أن يحتني بهاء كلمات خرجت من مشكاة النبوة، ويحفظ الله جل وعلا للعبد يكون جزاء لحفظه، وهو ينقسم إلى قسمين: حفظ عام، فيحفظه الخاص هو حفظه لأوليائه في أديانهم وقلوبهم، فلا يتصرفون عن دينهم ولا تغير قلوبهم بالصدود عن الله جل وعلا، أما العام فهو في أديانهم وأموالهم وأولادهم وغيرها، وهذا أسهل ولكن الأول هو المهم، وعادة الله جل وعلا أنه يجعل الجزاء

(١) سنن الترمذي (٢٠٩٩) كتاب صفة يوم القيامة باب ما جاء في صفة أواني المعوي، وذلك أبو موسى: علمك كلمات يغنيك الله بهن، وأحمد (٢٤٣٧) مسند بني هاشم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال (الأباني «مصحح» نظر حديثه ولم (١٠٧٨) في «مصحح الجامع».

من حسن العمل، فمن حفظ حدود الله وواجباته حفظه الله جل وعلا وإذا ضيع ذلك فإنه يضيع ونعمه في آخر عمره لا يعرف ربه ولا يعرف أين يتجه ولا كيف يتصرف، وليس معنى ذلك أن الإنسان إذا أعدت عليه الدنيا وحصل له مراحه في الدنيا أنه يكون معطوفاً على الدنيا منطوي وتنتهي على كل حال، ولكن التعصبة إذا خرج الإنسان منها وليس معه دين يدن الله به

ومعنى التعرف إلى الله في شرعائه يعني: أقبل على الله بالصلاة والعبادة بفعل الأمور التي أمرك الله جل وعلا به وزيادة من التوابع وغيرها لأنك بحاجة لذلك أشد الحاجة مودعت في حاجة وحياة وصحة. وقوله: «يعرك في الشقاء» يعني أن الإنسان الذي يكون مديوناً الإقبال على ربه وذكره وعبادته أنه إذا وقع في شدة مسيئته على الله له فرجاً ومخرجاً منها بخلاف الذي لا يعرف ربه إلا في الشدائد فهذا قد يجلب وقد لا يجلب.

وقوله: إذا استعنت فاستمس بالله، أي للاستعانة بالله لأن الاستعانة عبادة، فيجب أن تكون حاجة بالله جل وعلا، كما قال جل وعلا: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ﴾ فتستويث ﴿فحصر الاستعانة في الله جل وعلا.



وذلك الاستعانة قوله تعالى: ﴿عَلَّ أَهْوَاؤَ رَبِّكَ الْفَلَقِ﴾ ﴿الفلق ١١﴾

«الشعر»

والفلق يعني فلان الإصباح وغليص الليل من النهار لأنه لو شاء لجعل الوقت كله ليلاً ولو شاء لجعل الوقت كله نهاراً، قال الله جل

[illegible]

﴿يَنْشُرُ مَا خَلَقَ﴾ (العلق: ١٠)، يعني من شر المخلوق، واستدل العلماء بهذا على أن الشر لا يجوز أن يقاسف إلى أنه جن وعلا وإنما الشر في المخلوق، أما فعل الله جل وعلا كله غير ولا يفعل فعلاً يكون شراً، وإن كان فيه شر فهو جزئي يعني نسبي وإلا فهو خير، وعلى سبيل المثال معاقبة من يستحق العقاب يكون شراً بالنسبة له وهو خير للمؤمنين ولعباد الله جل وعلا، كما أن نزول المطر قد يكون فيه شر لبعض الأفراد كأن يهدم بيته أو يغرق ماله أو ما أشبه ذلك، ولكن خير، عام، فكل ما يفعله الله جل وعلا غير بخلاف المخلوق فإن المخلوق فيه الشر ولهذا قال:

﴿يَنْشُرُ مَا خَلَقَ﴾ (العلق: ١٠)، يعني من شر الذي خلق.

﴿وَمِنْ شَرِّ قَائِمِينَ إِذَا وَقَبَ﴾ (المعارج ٤٢)، والواقب هو الشر، كل شر فهو غاسق، أما تسمية نهش الحبة غاسق ونحو ذلك فهذا جزئي والمقصود الشر مطلقاً سواء كان في فعل المخلوق أو كان كامناً به أو في غير ذلك.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفْسِ فِي النَّفْسِ﴾ (النفس ١)، والنفثات: المواجه

التي تعقد العقد ثم تلت فيها قبض السحر الذي تريد، وقال: ﴿قُلْ كُنْ﴾ لأن أكثر السحر يقع من السماء، فتأتي بعمل تم تعقد عقدة فتتفت عليها بربطها النجس المقيت المختلف بعبادة الشيطان والاستعانة به فيتعقد بآذن الله الكوني القدري بآذنه من آذى المسحور، وحله بالاستعانة بهذه الآيات الكریمات بآذن الله، نهذا لما سحر الرسول ﷺ استعان بهذه الآيات ففعل له جل وعلا عنه سحره وهكذا إذا فعل الإنسان، وإن لم يكن في أول هذه في المرة الثانية والثالثة والخامسة والستة.

• • •

﴿قُلْ أَغْوَيْتَنِي فَأَتْلُوهَا﴾ ١٠ دس

الشرح:

الرب هو المالك المتصرف، والناس عبيده فلا يجوز أن يقال أن لهم رب إلا الله جل وعلا.

﴿تَهْلِكُ الْآلِهَاتُ﴾ ١١ دس ١٠ يعني الذي يهلكهم، فهو ملك لواقعهم إذا أراد أن يتصرف بهم تصرف كيف يشاء.

﴿يَهْدِي الْآلِهَاتُ﴾ ١٢ دس ١١ يعني ملكهم الذي يأتهم ويهدونه، وهذا من الأدلة على أنهم الواحد وأنه أقسام ثلاثة: توحيد العبادة «الثالثة» وتوحيد الربوبية «التصرف» وتوحيد الأسماء والصفات الذي هو قريب من توحيد الربوبية ولكنه يكون بأسمائه، بأن يدعى بها وتثبت له فلا مشارك له فيها جل وعلا، فالمقصود الاستعانة به جل وعلا وأنها يجب أن تكون به فقط.

• • •

وَقِيلَ الْاسْتِغَاثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا تَسْتَعِثُونَ وَتَسْتَعِثُونَ فَاسْتَعِثُوا لَكُمْ﴾  
 أَنْ تُهْذَلَكُمْ بِالْغِيْبِ مِنَ التَّسْلِيكِ مُرَوِّعِي ۖ ﴿١١٤﴾

### الشرح:

هذا منة عليهم، حيث ذكر عليه وأهم استغاثوا برهم وأنس عليهم  
 بذلك لعل على أنها عبادة، والاستغاثة هي من مع الدعاء، ولكنها دعاء  
 من مكروب وقع في كرب، طلب الثبوت الذي هو إنباء من وقع في  
 الشدة وإخراجه منها، فيجب أن يكون ذلك خاصاً بات حل وعلا.



وَقِيلَ الذَّبْحُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ بَأْسَ هَفَتِي، وَتَبَايَ بَسْرِي، تَسْتَعِثُ وَيَكُونُ  
 إِلَهُ إِنْزَعِمَ خِيَفَاؤُنَا كَانَ مِنَ الشَّرِكِينَ﴾ قَدْ بَأْسَ هَفَتِي وَتَبَايَ بَسْرِي ۖ ﴿١١٥﴾

### الشرح:

والعلاء المقصود بها الركوع والسجود والدعاء ويدخل فيها غيرها  
 من العبادة، والنسك يقصد بها الذبيحة التي تذبح لله مثل الأضحية  
 والهدي والعقيقة وما أشبه ذلك أما التي تذبح لأكل لحمها فهذه نسي  
 نسكة لحم ومع ذلك لابد أن يكون فيها عبادة وإلا تكون محرمة، لابد  
 أن يسمى عليها عند ذبحها بأن يذكر اسم الله وأن تكون من مسلم، أما إن  
 كانت من غير مسلم فهي محرمة وإن ذكر اسم الله عليها وقد أباح الله  
 ذبيحة لعل الكتاب، وهذا من معاني قول الله جل وعلا ﴿لَنْ يَكُونَ الْإِسْلَامُ  
 لَكُمْ قَدْ خَرُجَ بِهَا﴾ ۖ ﴿١١٥﴾ والذبيحة إذا فبحت المخلوق كالذي  
 تذبح عند القبر تعظيماً لصاحبه أو للنجم أو للجنى أو للكاهن وإن ذكر

اسم الله فهي شرك أبشأ به تغير الله. وكذلك التي يذبحها النصارى للمسيح أو غيره فهي من الشرك الأكبر، والذبيحة لها أثر عظيم في القلب، يعني التسك، يتقرب بها إلى الله ولهذا قرئت بالصلاة في عدة آيات كما في قوله: ﴿قُلْ يَا صَالِحِينَ قُتِبَتْ عَلَيْكُمُ الْكُفْرُ﴾ (النجم: ١٧٦). فدل ذلك على أنها من أعظم العبادات، يجب أن تحصل في جل وعلا، فإذا وقعت لغير الله فهي شرك، وفي الآية الأخرى ﴿فَقَسَلْ لِرَبِّكَ وَأَخْسَرَ﴾ (التكوير: ١) يعني اجعل الصلاة لله والسجدة التي هي الذبيحة.

• • •

﴿وَتَحْتَمِلُونَ ثِقَلًا ثَقِيلًا يَقُولُ رَبِّيَ الْكَافِرُونَ﴾ (لا شريك لله وتوحيده لا يؤمنون ولا يؤمنون)

التكوير: ١٧٦-١٧٧.

#### الشرح

يعني العمل الذي أحب عليه، وأني لم أخلق إلا لعبادة الله، فإن كل عمل أصله في حياتي تعبداً وتحرباً إلى الله جل وعلا، وكذلك أموت على الرجاء والخوف وعبادة ربي جل وعلا وأنتي راجع إليه أطلب جزائه وأدعوه أن يرحمني وأن يعفو عني ويغفر علي، وهذا أمره جل وعلا لئله أن يقول وأنت تبع له في ذلك.

• • •

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

(١) مسلم: (١٩٧٨) المصاب: (١٩٧٨) سبب تحريم الطبخ لغير الله تعالى وتعمد ما عليه والمنسوبة: (٢٢٢٢) كتاب الطبخ: (٢٢٢٢) من طبخ لغير الله هو رجل من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال الألباني: صحيح، انظر حديث رقم (٥١١٥) في صحيح الطبخ.

## الشرح:

واللحم هو الطرد والإبعاد من رحمة الله جل وعلا، والله يلحن من يشاء من عباده حنيفة كما أنه يصلي على من يشاء من عباده ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأعراف ٥٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَى نَجَبِكُمْ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [الأعراف ١٥٣] يعني يصلي على المؤمنين، وصلاة الله معناها تبارك على عبده عند الملائكة وهو القول الصواب فيها، أما الصلاة من الملائكة فهي الاستغفار والدعاء مثل: اللهم اغفر له ولرحمه، وكذلك من الأدميين، فاللحن عند ذلك، ومن لعنه الله فقد بعد عن مضاف الخبر كلها، فالملعون هو البعيد عن الرحمة - نسأل الله العافية - والله هو المحكم العدل، إذا لعن فلعله على من يستحق.



وَقِيلَ الْمُنْزَلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُؤْتُونَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَمَرًا كَثِيرًا وَدُونَهُ مَبْذُورًا﴾ [الزمر ٥٥]

## الشرح:

وجه الدليل أن الله أنى على هؤلاء الذين يؤفون بالنذر ومدحهم، والله لا يني على كثير النوم ولا على من يأكل كثيراً ولا على الذي يخرج يفرج ويترد، يعني أنه لا يني على الأمور المباحة لأنها ليست عبادة وإنما يني على من يفعل شيئاً يحبه الله جل وعلا، فدل هذا على أن الموفاء بالنذر عبادة، والنذر في أصله هو الإيجاب، يقال: نذرت دم فلان إذا أوجبت قتله، هكذا يقول العرب، وهو معروف في أشعارهم وكلامهم، وهو إيجاب عبادة لم تكن واجبة، بأن يوجب الإنسان على نفسه عبادة ليست واجبة، وهو في أصل إنشائه مكروهاً لأن الرسول ﷺ يقول: أوالنذر





## الأصل الثاني

معرفة دين الإسلام

الشرح

ومعرفة الدين الإسلامي متوقفة على مجيئ الرسول ﷺ، فلا بد من بيان الرسول ﷺ، والرسول ﷺ، بالقرآن الذي أنزله الله عليه، وكذلك بالروحي الذي أوحاه الله إليه من غير القرآن أي السنة، فهي بين القرآن وتوضيحه، والأمر في هذا واضح جداً ولهذا اقتصر على شيء يسير جداً من الأدلة التي من الكتاب والسنة، ومعرفة أصل الدين يلزم أن يكون بالدليل ولا يجوز أن يكون بالتقليد والعادة التي يعتادها الناس، فإذا كان تدبير الإنسان بالعادة التي وجد الناس عليها بأن ينظر إلى الناس ويصنع مثلاً صحتوا فهذا هو التقليد، فهذا يخاف عليه أن يخرج من الدين الإسلامي ويخاف عليه أنه إذا سئل في القبر لتعلم وقال: هاهنا لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، ورأيتهم يصنعون شيئاً فصنعت، فيقال له: ما درست ولا تليت، يعني ما علمت ولا تعلم، لأن الإنسان قد يعلم أمراً ظاهراً، كأن يعلم أن الصلاة واجبة، وكذلك يعلم كيف يتوضأ وكيف يؤدي زكاة ماله إذا كان عنده مال، وهكذا هذه أمور سهلة حتى لو أخذها بالتقليد كفى ولو لم يكن متعلماً، ولهذا يقولون له: ما درست أي ما علمت، وقرئهم: ولا تليت أي ما تلوت كتاب الله وقرأته وتعلمت ذلك حتى تكون على يقين وعلى معرفة وعلى برهان ولذلك يعذب - نساك الله العاقبة - لمقصوده أنه لابد من الدليل لمعرفة الدين الإسلامي الذي يلزمك

## بالأدلة

## الشرح

والأدلة هي القولية والفعلية والتعجبية، وأمّ الأدلة القولية فهي مثل آيات الله جل وعلا التي نزلها على رسوله ﷺ فهي آيات واضحة ودالة على وجوب عبادة الله تعالى أيضاً على امتثال أمره واجتناب نهيه وهذا هو الدين، أمّ الأدلة الفعلية فهي كثيرة جداً في الأفعى وفي الأفاعى وفي ما يحدثه الله جل وعلا من الرياح والسحاب والأمطار والأحياء والإماتة وغير ذلك، وقد فكر الله جل وعلا أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس يعني أن القادر على الخلق الكبير العظيم لا يعجزه الصغير الصغير، وأمر الله جل وعلا فقال: ﴿زَيْلَ عَائِشَةَ الْفِيلِ وَالْهَارِ وَالْشَّشِ وَالْقَمَرِ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (ص: ١٧٠) أمّ الأدلة الفعلية التي يفعلها الله جل وعلا فهي مثل الآيات التي يأتي بها الرسل والتي تكون عارقة للعبادة التي يعتاد الناس عليها فهي أيضاً تكون آيات لوجوب عبادة الله جل وعلا والأخذ بحسن الرسل وأنهم جاءوا من عند الله جل وعلا، وهي كثيرة جداً لرسولنا ﷺ، أو أن يعرف الإنسان نفسه وهو داخل في معرفة الله جل وعلا، لأن معرفة بلا تدبر لا فائدة فيها ولا بد أن يكون الإنسان عارفاً به ليعبدوا ولكن عبادة الله جل وعلا تتوقف على أمره، فلهذا احتجنا أن نعرف الأمر الذي جاء به الرسول ﷺ.

وَقَوْلُهُ: الْأَسْتِغْلَامُ لَهُ بِالْقَوْلِ جَيِّدٌ.

الشرح:

الاستسلام: معناه الانقياد وعدم الإباء أو التصبر. وذلك بأن يفتاد  
لأمر الله جل وعلا مطعماً مدحاً مستلماً لأنه عبد لله جل وعلا ولا حيلة له  
في ذلك، فلا يترك ما أمر به ويفعل ما نهى عنه، ويقال: استسلم إذا صار  
مدحاً ليس لديه مقاومة ولا مداخلة بل يكون متقاداً مطعماً خاضعاً، ولا  
يكون هذا الانقياد بالبدن أو بالناس أو بغير ذلك بل بالقول جيد، استسلم له  
يعني انتقاد له بالطاعة وأصبح يتطلب ويتعرف أمر الله حتى يحتثه طاعة له  
جل وعلا ويكون موحداً في ذلك يعني مخلصاً في هذه الطاعة.

• • •

وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ.

الشرح:

وهذا تفسير للاستسلام، وانتقاد بعدم الاستماع، ومعروف أن الجبر إذا  
وضع في رأسه جبل ثم قيد ناله بفتاد وشيع من يمسك بالجبل حتى لو  
كان طفلاً صغيراً، فيفتاد معه، فالانقياد مأخوذ من هذا، والآن يقال: فتود  
السيارة، يعني تصرفها وتسيرها، فالسيارة تكون بيدك وتصرفها كيف  
تشاء، فهذا الانقياد وهو ألا يكون عند أي مناعة وأي تأني بل يكون  
مطعماً ولا يكفي هذا بل يجب أن يكون عند رغبة ومحبة وغبطة، فيخبط  
بأنه مسلم وأنه مطيع لله ويرى أن هذا من النعم الكبيرة التي لا يوزيها  
نعمته، ولهذا أمر الله جل وعلا بالفرح بذلك في قوله: ﴿قُلْ بِنُصْرِي أُفُوتُ﴾

وَيَرْجِعُونَ. قَدْ رُفِعَ قَلْبُهُمْ وَأَوْحَى حَقِيقَتُهُ بِمَعْنَى ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ (يوس ١٠٩). هذا فضل  
ورحمة فيخرج الإنسان به، ولا سيما إذا نظر إلى الأرض فهي مسلوخة  
بأنفس الذين لهم عقول ونهضة أفكار ولكن ما اعتدوا إلى هذا الخير  
العظيم، فلم نهضهم عقولهم ولا أفكارهم بل هم كفرة بالكلمة ويشربون  
وتشبعون كما تأكل الحيوانات ثم يصيرهم إلى النار - يسأل الله العافية -  
فالانقياد يكون بالطاعة ولا بد فيه من المحبة والرحمة.

• • •

### وَالْبِرَّةُ

#### الشرح

في بعض النسخ المنصوص من الشرك وليس البراءة والمعنى واحد  
لأن خلاص معناه أنه ابتعد عن ذلك ومع الاستعداد فلا بد أن يكون معاوله  
والبراءة بأن لا يكون عنده أي تعلق نهلاً بل يُتَجَبَّ البراءة باليقض  
والكرهة والمعاناة والمقتل لأنهم أعداء الله، ويجب أن تعادي عدو  
حيثك ومعبودك أما أن تصافيه وتحيه فهذا من العناقضات، فلا يمكن أن  
تحي أعداء الله وأنت تدعي حبه جل وعلا، فهذا مستحيل وإن وجد فهو  
كذب من المدعي.

• • •

### بَيْنَ الشَّرَائِكِ

#### الشرح

يعني عبادة غير الله جل وعلا، وعبادة غير الله أقسام كثيرة وتتنوع  
بتنوع ظروف الناس وعباداتهم وما ينجذب لهم على الأول كان الشرك

بأصنام وبأشجار وبالملائكة والنفس والنفوس وبالجن وبغير ذلك لما  
اليوم نصار الشرك بأمر آخرى: في الشهوات والرغبات واللعب حتى  
يصبح الإنسان ربما يكون معبوداً، معلوماً، فمثلاً قد نستولي عليه لعبة من  
اللعب ونسب الله ونسب العبادة ونسب كل شيء، فهذه عبادة وبذلك على  
هذا قول الرسول ﷺ: «نعم عبد القنار، نعم عبد الدرهم، نعم عبد  
الخميصة، نعم عبد الخميصة»، فالقنار قطعة ذهب، والدرهم قطعة  
فضة، والخميصة والخميصة الأول كـ، بليس والأمر نراش يوشى،  
ومعناه أنه يعمل لهذه الأشياء، ونهذه قال: «إذا أعطي ربحي وإذا منع  
سخطه فجعله عبداً، وليس معنى ذلك أنه يسجد للقنار والدرهم أو  
يركع له بل معناه أنه يتعلق قلبه به ويعمل من أجله، فبعد العبودية أن يكون  
قلبك وقالبك لله.

سؤال: ماذا عن اللعب؟

الجواب: اللعب هو مثل ما نرى من لاعبي الكرة، نمر عليهم  
الأوقات كلها ولا يزالون بشيء وكأنه ليس هناك أوقات محددة لتفعل  
الصلوات فيها لأن هذا الشيء قد استولي عليهم.

• • •

وأقرب

الشرح

وذلك بأن يكون مخلصاً في طاعة الله جل وعلا خوفاً من عذابه

(١٢١) البخاري (٢٨٨٦) كتاب الجهاد والسير، باب المرافعة في القزو في سبيل الله، من ما جده

(١٢٢) كتاب الزهد، باب في المنكرين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



فلا بد أن يكون مخلصاً له جل وعلا.

• • •

وَلَمْزُ ثَلَاثَ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامَ، وَالْإِيمَانَ، وَالْإِحْسَانَ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَوْجَاهٌ.

### الشرح

أي أن الدين الإسلامي ثلاث مراتب، وكل مرتبة أرفع من التي قبلها، فالإسلام هو أوسعها لأن الإنسان قد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً إيماناً يتجر به من كل عذاب وقد يكون مؤمناً ولا يكون محسناً، وهذا كثير جداً، فأرفعها وأعلاها الإحسان وأولها الإسلام، أما إسلام بلا إيمان هذا لا يوجد، لا بد أن يكون في قلبه تصديق بالرسول ﷺ ولربه جل وعلا، والإحسان أضيق مما قبله ومعنى ذلك أن الإنسان إذا كان محسناً فلا بد أنه مؤمن مسلم، وإذا كان مؤمناً فلا بد أنه مسلم، ولكن قد يكون مؤمناً ولا يكون محسناً، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً الإيمان الواجب كما قال الله جل وعلا: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ لَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْإِيمَانُ﴾ (النحل: ٩٢).

وليس هؤلاء منافقون بل هؤلاء انفادوا في أول الأمر ولما يتمكن الإيمان من قلوبهم ويدخل فيه، فادَّعُوا أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، فغلب الله جل وعلا ذلك عنهم ثم قال بعد هذا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ وَهُمْ لَا يَخْلَعُونَ بَيْنَ أَيدِيهِمْ بِالْأَمْوَالِ﴾ (النحل: ١٠١). وقرئ الله جل وعلا بين الإيمان والإسلام في آيات عدة وهذا يدل على أن هناك فرق بين الإيمان والإسلام فقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ وَهُمْ لَا يَخْلَعُونَ بَيْنَ أَيدِيهِمْ بِالْأَمْوَالِ﴾ (النحل: ١٠١).

التشبهية والتشويبية والتشويبية والتشويبية \* (المراد ٥٣) وقال: \*  
 \* عن ربه من خلقك من توفيقه (أي ما جازى به من توفيقه فوفى به فوفى به فوفى به)  
 غير أني سجدت فبنيته والتكافؤ \* (المراد ٥٤) فإذ جاء أحدهما معرّداً دخل فيه  
 الآخر بمقوله تعالى: \* إن خيركم منة الله الإسلام \* قال مراد ١٩. فهذا  
 يدخل فيه الدين كله، وقوله من وعلا \* \* وعن يمين غير الإسلام وهذا من  
 يخلق به \* (المراد ١٨) فهذا يدخل فيه الإسلام والإيمان، أما إذا اقتصرت  
 أحدهما بالأخر فإن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة كما فسره الرسول  
 ﷺ، والإيمان يفسر بالأعمال الباطنة كما فسره به رسول الله ﷺ كما في  
 حديث جبريل لأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا إله إلا الله وأن محمداً  
 رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام  
 كما ذكر المؤلف هنا.



المعرفة الأولى: الإسلام

فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ عَشْرَةٌ:

الشرح:

الركن هو الذي يعتمد عليه وينشأ عليه الشيء وينوم عليه، فأركان  
 البيت التي يقوم عليها والأعمدة التي ينشأ عليها، فإذا سقط الركن لا  
 ينفع البناء ولا يستقر بل يسقط





## شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

### الشُّعُوبُ

وأصل الشهادة هو أن يخبر عما في قلبه عاملاً به عالمياً به وإلا لو أخبر غير معتقد له حمار كاذباً، لأن الله جل وعلا أخبرنا عن المسافلين لما جازوا يقولون: ﴿شَهِدْ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ يَقُولُ بِكَ رَسُولُهُ وَأَنَّكَ شَهِيدٌ بِأَنَّ السُّكُونِ لَكَ بِكَ﴾ (المائدة: ١٠٠) يعني في شهادتهم لأنه كلام بالسكوت والكلام باللسان لا ينعى لأنه لابد أن تكون الشهادة عن علم وعمل، وهذه الشهادة هي أصل الدين الإسلامي وهي تضمن كل ما جاء به الرسول، لأن معنى لا إله إلا الله يعني: لا آله وأعبد إلا الله، ولا تكون العبادة إلا بأمر الله الذي جاء به الرسول، فهي تضمنت الدين كله، ولهذا قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا عني دماءهم وأموالهم إلا بحق لا إله إلا الله، من هذا فهم الصحابة أن منع الزكاة يقاتل عليه وأنه كفر، فأجمعوا على قتالهم وكفرهم مستدين بقوله ﷺ: «إلا يحفظها» حتى قال أبو بكر: «والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلهم عليه»<sup>(١)</sup>، لأن ذلك من حق لا إله إلا الله، والعقل هو الحبل الذي يربط به يد البعير إذا برك

(١) البخاري (٥٦٨٥٣) كتاب الأحكام والكتاب والسنن، كتاب الأيمان، سنن رسول الله ﷺ.

«الترمذي» (٢٦٠٦) كتاب الإيمان من رسول الله ﷺ، ما جاء بأمر أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الشيخ الألباني: صحيح متواتر.

(٢) البخاري (٢٦١١) كتاب الأحكام والكتاب والسنن، كتاب الأيمان، سنن رسول الله، مسلم.

(٣) كتاب الأيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حتى لا يذهب، بقوله: عقله إذا أمست يده بالحل، وجاء في رواية: الو  
 سعوني عتاقاً كانوا يزدونها إلى رسول الله فقاتلهم عليها<sup>(١)</sup>  
 ولا بد للمسلم أن يكون قد عرف هذه الأركان وأثنى بها على وجه  
 الامتنان للأمر وعلى وجه مخلص من حيث بينها رسول الله ﷺ ووضحها  
 لنا وأصر أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله يعني الألوهية عن غير الله،  
 والألوهية معناه بأنه الخلق وحده وحصره ودله لئلا، فقوله: لا إله إلا  
 الله معناه أنني لا إله، وقوله: إلا أنه إلهان الإلهية لله وحده، وبهذا  
 السعي والإيمان يكون الإنسان محتسباً وبحسب أن يكون العلم والاعتقاد  
 موافقاً لهذا السعي وكذلك يحصل بذلك ثمره الذي القادة تكون له وحده  
 ولا يجوز أن يكون فيها شيء غيره لا من حفظ النفس ولا من  
 المحنوقات ولا من غيرها، والنقص الذي دخل على كثير من المسلمين  
 هو عدم معرفتهم معنى الإله ومعنى العتقاد، فهم يقولون: لا إله إلا الله  
 ويعبدون غير الله فمن يفهموا ذلك وهذا اختلاف ما كانت عليه الكفار من  
 فرس وغيره، فإنهم لما قال لهم رسول الله ﷺ «قولوا: لا إله إلا الله»  
 أبوا فقالوا: ﴿أَتَدْعُوَنَا إِلَىٰ مِثْلِ مَا نَعْبُدُ﴾<sup>(٢)</sup> فثبت في أمر الله ﷻ لأن عندهم  
 آلهة متعددة مثل الثلاث والعزى ومناة وهبل وأساف وثلاثة وغيرها من  
 أصنامهم الكثيرة وكلها يسمونها آلهة، وتسميتها آلهة كذب تواضعوا عليه  
 ليس لها من الإلهية شيء، وهذا قال عمر وأجل: ﴿إِنْ مِنْكُمْ آلِهَةٌ فَاصْبِرُوا﴾<sup>(٣)</sup>

(١) البخاري (١٦٣٠٩) كتاب الوصايا، وهو من غرر الحديث (١٣٠٩) كتاب المهاد، باب

الحرب، المهاد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أَتَمُّ وَتَبَارَكُ مَا أَرْزَلَهُ بِنَا مِنْ سُطْحِي ۝ ١٣٣ يعني ما أُرسل بها حجة أو برهان ليعتمدون عليه، بل هو أمر تواضعتم عليه واتعتم عليه أياكم، وإلا فهي ليست آلهة، وكيف تكون شجرة آلهة وانحصر آلهة والسميت آلهة أو الجنى أو غيره من المخلوقات؟ هذه المعبودات عباد أمتالكم فكيف تعبدون أمتالكم؟ وهم لا يعبدون ولا يصرون، ولكن الظلم والأوطاع التي يعيش فيها الإنسان قد يصعب عليه مفارقتها كثيراً ولا سيما إذا كان له معظمين مروا عليها فلما كانت الكفار تقول لما قال رسول الله لهم: إن هذه لا تنفع ولا تضر. جعلوا هذه مبهمة وقال لهم: أياكم الذين مضوا يعبدون هذه الأصنام ليسوا على شيء. قالوا: إن هذا سب لأئمتنا وقتل لأبائنا. ورسول الله ﷺ ليس سبباً ولا شتماً وإنما يدعو إلى توحيد الله جل وعلا وعبادته وحده، فالمقصود أن تسمية مخلوق من المخلوقات آلهة أنه كذب وزور وبهتان فالآلهة هي التي يألفها القلب ويعبدها وهذا لا يصلح إلا لله جل وعلا وحده، ولهذا صارت هذه الكلمة عظيمة وهي كلمة الإخلاص وهي التي يدخل بها الكافر الإسلام ولا يصح إسلامه إلا بقولها، ولهذا قال علماء أهل السنة: الإيمان يتكون من قول وعلم وعمل، فليقول أن تقول: لا إله إلا الله، والعلم أن تعلم معناها وما دلت عليه، والعمل بأن تعمل بما دلت عليه وما تقتضيه وهو أن يكون التآله لله وحده جل وعلا.

\* \* \*

وَأَنْ مَحْتَقاً رَسُولُ اللَّهِ،

الشرح،

وقد بين معناها قال: هي طاعته فيما أمر مع اعتقاد أنه رسول لرسوله

الله جل وعلا وكلفه بالرسالة، ولكنه ليس إليه يُعبد بل هو مكلف بالابلاغ  
 الرسالة وأكرمه الله جل وعلا بذلك ورفع منزلته فوق الناس برسالاته وقام  
 بالأمر الذي كلفه الله جل وعلا به فصار من أعلى الناس منزلة عند الله جل  
 وعلا وأمر بشوقه ومحبته بل أن يُحِبُّ أكثر من محبة النفس كما جاء في  
 الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من أهله وماله  
 والناس أجمعين»<sup>(١١)</sup>. وفي رواية: «ومن نفسه» قال عمر: والله يا رسول  
 الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال: «لا حتى أكون أحب  
 إليك من نفسك». قال: «أنت الآن أحب إلي من نفسي». فقال: «الآن»<sup>(١٢)</sup> أي  
 الآن وصلت الواجب الذي لا بد منه، ولا يجوز أن تخلط محبة الرسول  
 ﷺ بمحبة الله لأن محبة الله محبة عبادة وذل وخضوع، أما محبة  
 الرسول فهي تبع لمحبة الله، فتحبه لأن الله يحبه، ولأن الله أمرنا بحبه،  
 فهي محبة تكون تابعة ولهذا نقول: محبة الرسول لله وفي الله وليست مع  
 الله لأن المحبة مع الله شرك لأن «مع» تقتضي التشريك لمحبة الله شيء  
 ومحبة الرسول شيء آخر، فلا يوجد في الخلق كلهم شيء يجب لذاته إلا  
 الله جل وعلا وما عداه فيجب لأفعاله وأوصافه التي يتصف بها، فالإنسان  
 لحم ودم وعظام فإذا كان من صفاته أنه مطيع لله ورسوله فتحبه لله وإذا  
 كان بخلاف ذلك لمحبته سواء كان قريباً أو بعيداً فكثير من الناس يلتبس

(١١) البخاري (١٥٥) كتاب الإيمان، باب ما يحب الرسول ﷺ من الإيمان، مسلم (١٤٤) كتاب  
 الإيمان، باب ما يحب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والمولد والناس، من حديث  
 أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٢) البخاري (٦٦٣٢) كتاب الإيمان، باب ما يحب الله ﷻ من الإيمان، الأعمش (٢٢٥٧)، أحمد (٢٢٥٧).

عليه هذا الأمر وينفع من الشرك، فلا بد أن ينظر الإنسان بقلبه يقيناً أنه  
رسول من الله أرسله بالهدى ودين الحق والوحي إليه أمره الذي بلغه  
عباده وأن الله جل وعلا لا يعبد إلا بالشرع الذي جاء به وأنه ﷺ بشر ليس  
نوراً ولا ملكاً بل هو بشر خصه الله بالرسالة، ولهذا قال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا  
فِيكَرُمٍ يُوحِي إِلَيْكَ﴾ أنزلت: ١٦. فبشر عنا بالوحي ومأن الله أكرمه بالرسالة  
وهي أعلى مقام يمكن أن يناله البشر بفضل الله جل وعلا به على من يشاء.  
والله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم لابد من محبة ﷺ حبة أكثر من حب  
الإنسان نفسه ولولده ونوالده وتكون هذه المحبة لله وفي الله فتحميه  
لأن الله يحبه ولأن الله أمرك بحبه، ثم علامة محبة أن تطيعه كما قال الله  
جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحِي إِلَيْكَ فَأَتَى بِكَ الْوَحْيَ﴾ (ال صافات: ٢٦) فلا بد  
من اتباع الرسول ﷺ لمن يكون يحبه، أما أن يدعي حبه وهو يخالف أمره  
ويتركب نهيه فهذه دعوى ولا بد لها من برهان وإلا لا تقبل، ومعناها  
الذي يجب أن يكون المسلم عارفاً به أنه رسول تفضل الله جل وعلا  
بإكرامه وأكرمه ولوحى إليه شرعه وأن الله لا يعبد إلا بالشرع الذي جاء به  
وأنه ﷺ يطاع ويطيع ولا يعصى أمره ولا يتركب نهيه ﷺ وأنه بلغ ما أمره  
الله بإصلاحه.

ولما كانت عبادة الله جل وعلا متوقفة على معرفة النعم بأمره ونهيه  
صارحت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ركناً وأحدية فلو شهد  
الإنسان أنه لا إله إلا الله ولكنه لم يشهد أن محمداً عبد الله ورسوله فإنه لا  
يكون مسلماً، فلا بد أن تقرر شهادة أن لا إله إلا الله بأن محمداً رسول الله.

## في إقام الصلاة

## الشرح

وجاء بلفظ الإقامة بل كلما ورد الأمر بالصلاة فإنه يأتي بهذا اللفظ. فالنصوص التي جاءت كلها تكون بلفظ الإقامة ولا بد أن يتأمل الإنسان معنى الإقامة وهي أن تكون الصلاة قائمة وليست معوجة ولا ناقصة وقيامها أن يأتي بها الإنسان على الوجه الذي أمر به، بأن يأتي بأركانها وشروطها وواجباتها. أما السنن فلا يأتي من يتركها وإنما يأتي بترك الشرط لأن الشرط لا يصبح المشروط إلا به. مثل الطهارة واستقبال القبلة وسائر الأمور والنية ومن أركانها مثل القيام والركوع والسجود وهكذا. أما السنن فالاتيان بها أفضل، ومن أعظم ما يجب فيها هو حضور القلب لأنه جاء في الحديث أنه لا يكف للإنسان من صلاته إلا ما عطل<sup>(١)</sup> وحضور القلب هو أن يعرف الإنسان أنه قام بين يدي الله وأنه يؤدي الصلاة وأنه يكبر ويقرأ ويتأمل حاله ويبتعد في أن يشتغل به، والخشوع الذي هو فعل القلب، عما ليس مرسأً ولا واجباً ولكنه فضيل وأثنى الله جل وعلا على الخاشعين في الصلاة، والصلاة المقصود بها الصلوات الخمس التي فرضها الله في كل يوم وليلة لا يجب على الإنسان من الصلاة إلا ما جاء في حديث معاذ حينما بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن وبث في السنة العاشرة من الهجرة التي توفي فيها الرسول ﷺ فإنه قال: «إنك ستأتي قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أجابوك إلى ذلك فأعلمهم أن الله كتب عليهم في كل

يوم وثيلة خمس صلوات<sup>(١١)</sup>. ولم يذكر غيرها كالوتر والرواتب وغيرها لهذا هو المعتبر على الإنسان وأما غيرها كالوتر والسنن والرواتب ليست واجبة ولكن يثاب عليها الإنسان. وهذا لا يدعي الإنسان أن لا يكثر من الصلاة بل يعني أن يكثر من الصلاة لأنها حيلة للعبد بريد، والرسول ﷺ لما سأله رجل مرافقته في الجنة وكان يخشعه ويقدم له الوضوء وغير ذلك فلي يوم من الأيام قال له: «صل». قال: «سألتك مرافقتك في الجنة. قال: «أوغير ذلك» قال: هو ذلك. قال: «إني أعني على نفسك بكثره السجود»<sup>(١٢)</sup> فكثره السجود معها كثرة الصلاة، وقد أشى الله جل وعلا على المصلين وعلى الخاشعين في صلاتهم، والمقصود أن الركن الثاني من أركان الإسلام هو الصلاة وأنه جاء بإقامتها، فينبغي للإنسان أن يعتني بها وأن يأتي بها على الوجه الذي تراءى عنه في أدائها لله جل وعلا، وقد جاء الوعيد على من كان يعمل صلاته ولا يدري هل هو في المسجد بين يدي الله أو في السوق بين يدي وضري ولهذا إذا كان الإنسان مهملًا في صلاته ولا يدري ماذا صلى ولا يدري ماذا تكلم به ولا يدري ماذا قرأ كلف الصلاة كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجهه ويقول: ضيعت الله كما ضيعت<sup>(١٣)</sup>. أما إذا كان محالطًا عليها وعلى أركانها وشروطها

(١١) سبق بريد.

(١٢) مصنف (١٨٩) كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، المصنف (١١٢٨) كتاب التطيق، باب فضل السجود من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه. قال الألباني: صحيح. انظر حديث رقم ١١٠٠١ في صحيح الجامع.

(١٣) المصنف عبد الرزاق، وعلماني في الصحيح الأوسط، والبيهقي في الشعب (الإمام).

وراجعاتها فإنها تصعد إلى الله جل وعلا ولها نور وتقول: حفظك الله كما حفظني. ثم جاء أن الإنسان إذا كان متعبداً في صلاته أن الله يقول لصلائكم: انظروا هل له تطوعاً<sup>(١)</sup> يعني صلاة، فيكمل الواجب من تطوعه. ولهذا يسمى أن يكثر الإنسان من التطوع.

• • •

### وأيضاً الزكاة

#### الشرح

وأيضاً يعني وصحبها حيث أمر الله جل وعلا أن توضع، وقد أمر الله جل وعلا أن تكون للفقراء والمساكين والمعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والعلميين وفي سبيل الله وفي السبيل، وهذه الأصناف التي يجب أن تودي الزكاة إليهم ولو لميت، إلى صنف واحد منهم لكفى.

وبدا بالفقراء لأنهم أكثر حاجة من المساكين، ولأن الله جل وعلا لما ذكر قصة موسى عليه السلام مع الخضر وأخبر أن المساكين لهم سبعة قال: ﴿أَمْ أَلْهَيْتُمْ فَلَكُلِّ شَيْءٍ فَقَدْ أَلْهَوْا عَنْهُ يَوْمَ سَقَاهُمْ﴾ (التكوير: ٢٧) سبحانه مساكين وعندهم سبعة يعملون عليها، ولهذا يقول الفقهاء: الفقراء أكثر حاجة من المساكين، ويعرفون أن الفقير هو الذي لا يجد كفايته في السنة والمساكين من يجد بنفسها لهذه الآية ونحوها، ولأن الله بدأ بهم والله يبدأ بما هو أولى أن توضع له الزكاة كما في غير هذا الموضع كما قال

(١) من الترمذي (١١٠٢) كتاب الصلاة، بعد ما جاء أنه قول ما يحط به بعد يوم القيامة

الصلاة (البيهقي: ٤٦٦) كتاب الصلاة، باب المحاسة على الصلاة، من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه



الرسول ﷺ حينما بدء بالطواف قال: أتبدأ بما بدأ الله به ﴿هَذَا الشَّعْطُ وَالشَّرَافَةُ﴾<sup>(١)</sup> من شعيراتي ﴿﴾ [الترمذي: ١٠٠٤، ١٠٠٥]. وإذا أتيت إلى الإمام كفى ويكون هو الذي يتولها ويضعها مواضعها، ولا بد أن يخرجها عليه نفسه بها يرجو ثواب الله جل وعلا ويخاف عقابه لو منعها. والزكاة تكون من أصناف الأموال كل مال زكاته منه فالنقد زكاتها منها والحبوب زكاتها منها أي من نفس الحبوب وكذلك الثمار مثل التمر فزكاته منه، حتى لو باع الإنسان نخله برؤوسه فيخرج الزكاة تهرأ حتى لو بشره بالطريقة في مثل هذا أنه يخرقها إذا استوت وهي في رؤوسها ثم يعلم قدرها ويؤدى الزكاة، وتفاصيل الزكاة معروفة في كتب الفقه.

• • •

### وَصُومُ رَقَطَانِ

#### الشرح:

ومعنى الصيام: الإمساك، يقال: صام النهار إذا تحيل أن الشمس وقعت، وفي الشرع: الإمساك عن المفطرات سواء المأكولات والمشروبات أو من غيرها التي تفسد الصوم كالإتصال بالزوجة وما أشبه ذلك ويكون ذلك من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، والواجب هو صوم شهر رمضان فقط إلا أن ينكر الإنسان صوماً فيجب عليه أن يني

(١) مسلم (١٢١٨) كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حسن أثره (٥٦٦) كتاب الحج، باب ما بدأ الله وما أتى قبل الترويض من حنك، جابر رضي الله عنه.

نذرته لقول الرسول ﷺ: «من نذر أن يطعم الله فليطعمه»<sup>(١١)</sup>.

• • •

وخرج بيت الله الحرام

الشرح:

والخرج في اللغة: الفصد، وفي الشرع: هو قصد بيت الله الحرام في وقت معلوم محدد وهي أشهر الحج لأداء المناسك التي أمر الله جل وعلا بها وبها الرسول ﷺ فعله وقوله ﷺ، والحج لا يجب على المسلم إلا مرة واحدة في عمره كنه، يرد أداء مرة سقط الواجب عنه ويحس التحريم إذا شاء، والله جل وعلا يندب عباده إلى الحيرات والتساقط فيها لأنه بالأعمال تقسم درجات الجنة، فهذه أركان الإسلام التي لا بد من فعلها ولا يجوز ترك شيء منها.

• • •

فدليل الشهادة: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ لَكَ آدَمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالشَّيْطَانُ

وَأُولُو الْقُرْبَىٰ قَاتِمٌ بِالْإِثْمِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٤٥).

الشرح:

هذه جزئية بسيطة ولا أدلة الشهادة كثيرة جداً، ويكفي الإنسان في دينه أن يعرف دليلاً من الأدلة، فإن كثرت الأدلة فهذا خير. شهادة ألا إله إلا الله لابد أن تكون عن علم وثيق ومعرفة وأن يكون

(١١) ابن خزيمة (١٦٦٩٦) كتاب الأيمان والشفقة، باب الشفقة، مصنف الترمذي.

(١٢) كتاب الشفقة والأيمان، باب من نذر أن يطعم الله فليطعمه، من حديث عائشة وهي

له عهد، قال الألباني: «صحيح» أخرجه في (١٦٦٩٦) في صحيح الجامع.

عاملاً بها، وقد ذكر لها ثمانية شروط، ومعنى شروطها أي أنها لا تنفع إلا إذا اجتمعت هذه الشروط وهي:

الأول: العلم المتأني للجهل: وهو أن تعلم معناها ولا يجوز للإنسان أن يكون جاهلاً بهذا، ولهذا نجد الجاهل بمعناها يأتي بما يناقضها وهو يقولها، مثل الذي يأتي إلى القبر ويستجد بصاحبه ويخوف حوله ويدعوه وهو يقول: لا إله إلا الله، لهذا تناقض فلو عرف معنى لا إله إلا الله ما فعل هذه الأفعال؛ لأن لا إله إلا الله تنافي ذلك، فكل عبادة يجب أن تكون خالصة لله وحده.

الثاني: اليقين المتأني للشك، ولكن هذا قد يشكل على بعض الناس، فيقال: كيف تقولون العلم ثم تقولون اليقين؟ أليس اليقين داخل في العلم؟

الجواب: إن المقصود ليس مجرد الاستدلال بعلم ذلك بل لابد أن يتعمق به ويتيقن، وإن كان داخل في الأول إلا أنه إضاح ويبان؛ لأن العلم في هذا لابد أن يكون يقيناً لا يقبل التردد والشك، حتى إذا شكك الإنسان لا يشك.

الثالث: القبول، وهو أن يقبل هذه الكلمة ومعناها ولا يرد شيئاً منها ولا من حقوقها.

الرابع: الانتباه، ويقابله التأني وعدم الاستسلام.

الخامس: الصدق المتأني للمعاق؛ لأن المتأني يقول لا إله إلا الله وهو كاذب، فلا بد أن يكون صادقاً في قولها ولا يكون كاذباً، لأن الكذب من المعاق.

**الفاصل:** المحبة، بأن يحبها ويقترب بها كما قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 197] أي: اتقوا الله بقلوبكم وأجسامكم وماله وديناركم ونفسكم وكل شيء من أنفسكم وتوكلوا على الله وحده لا إله إلا هو.

السابع. الإخلاص، يعني الرِّاء بأن يكون العمل لله وحده تعالىً من الرِّاء للأشخاص العباد.

القائم: الكفر بما بعده من ذوق الله.



والله اعلم بالصواب

قال: استمعوا حتى تكون المبررات كلها باطلة.



وَأَخَذَ الْقَلَمَ مِنَ الْإِنشَاءِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ فَأَيُّا جَنِيحًا تَأْتِيهِ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ.



لأنّ "ألا" نافية للمجنس، والمجنس كقولك: رجل أو امرأة أو شجرة أو بعرة، فهو قلت: رجل فأنت لا تعني رجلاً معيّناً بل هو يشمل كل من كان بهذا الاسم، وإذا قلت: امرأة، فهو يشمل جميع النساء فكل امرأة يجوز أن يطلق عليها هذا، كذلك شجرة وبقرة وما أشبه ذلك، فهذه تسمى "كسنة جنس"، ومعنى جنس أنه شائع وليس معين ويصح أن يطلق على أي نوع من هذه الأنواع، بخلاف إذا قلت: الرجل، فأنت عيّنت لأحد جنسك، بل وهي تكون إما للكسوف وإما للمعده لأنه معهود عليك وعرفته، فقولاً

قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا﴾، وإله اسم جنس ومعناه أنه شائع ويصح أن يكون كل ماؤه سواء كان شجرة أو صنم أو فير أو جنى أو شمس أو قمر أو غيرها، ويقول العلماء: إن هذا التقييد الذي جاء هنا يسمى حصراً، فالإله تدخل إلا على الأجناس وهي تعمل عمل إن، وإن تدخل على المبتدأ والخير فتتصب الأول ويصير اسمها ونوع الثاني ويسمى خبرها، ولكن الغالب أن خبرها يكون محذوفاً ويكون مقدراً، ولهذا شيء معروف عند النحويين ولكنهم غلطوا في إعراب الإله إلا أنه غلط فاحش جداً، فلو رجعت إلى كتب النحو وجدت أكثرهم يقولون في إعرابها: لا إله موجود إلا الله لأنهم يشترطون أن يكون الخير المحذوف مشتق فلا بد أن يكون إما اسم فاعل أو اسم مفعول أو جملة اسمية أو خبرية، فقالوا الخير: موجود، وهذا في الواقع كذب، فكيف يقولون لا إله موجود إلا الله والله تعالى مملوء من الألهة؟

فأصبح هذا الإعراب خلاف ما يراد من هذه الكلمة، والعلماء يقولون: تقدير الخبر لا إله معبود بحق، لأننا لو قلنا: لا إله معبود صارت مثل لا إله موجود، وهذا لا يصح.

ومعروف أنه عند الإعراب يفهم الكلام ونفهم المعاني، ولهذا أول ما يبدأ فيه طالب العلم هو مبادئ معرفة الإعراب وتكون الكلام له تفهيمات وروابط ونحوها ليعرف المعنى المقصود، ولهذا قال هنا: لا معبود بحق، يعني هذا هو الخير المقتدر وهو مستأنا المراد.

(إلا الله) ثبوت العبادة لا وحده لا شريك له في عبادته.

الشرح:

والله مثبت الإلهية له جل وعلا، وهذا من لبغ الكلام، التي والإثبات، لأنه يحمل شيء المقصود محصوراً بما ذكر فقط، ولا يجوز أن يحدوه إلى غيره، فيكون المعنى لا يجوز التثنية إلا لله وحده فقط، وتركيب الكلام لأجل هذا والعرب يعرفون هذا تماماً، ولهذا لما قال لهم رسول الله: اتقوا لا إله إلا الله، نواشد الإلهاء، وفتوا: هذا يعطل ألهنا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وهذا قوله ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْإِلَهِاتِ﴾ ﴿إِس ١٨﴾ فهذا هو المقصود، أن يكون التثنية لله وحده وهو معى لا إله إلا الله، فهذا إثبات العبادة له والأول مخي للتعدد وأن الإله اسم جنس وهو يطلق على كل ماكوه سواء كان عالماً أو غير عاقل وسواء كان ذاتاً ترى أو معنى ويقول العلماء تبعاً لما يرى الله أن أعظم معبود نحت آدم السماء في الأرض هو الهوى ﴿الْقُرْآنُ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ مَرَّةً﴾ ﴿النحل ١٢٣﴾، فالله هو ما يهواه الإنسان وتبعه من الشهوات وغيرها وهو معنى ولكنه يطلق على أشياء كثيرة، فالعبادة تكون له جل وعلا وحده لا شريك له في عبادته.

ثبوت أنه ليس له شريك في ملكه

الشرح:

فليس له شريك لا في ملكه ولا في خلقه، وهذا أمر لا ينكره أحد وكل الكفار يقولون به، أما الشروط التي يقولون أنها شروط لا إله إلا الله فهي مأخوذة من هذا.

وتفسيرها: الذي يؤمنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ﴾  
 ﴿يٰٓأَيُّهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

### الشرح

استثنى من المعبودات ربه وهو معنى لا إله إلا الله ومعنى فطري  
 خلفني ابتداءً، جاء رجلاً يختصم عند الرسول ﷺ في بشر، فقال  
 أحدهم: أنا فطرته، قال الآخر: أنا ورثتها عن أبي، فطرته يعني أنا الذي  
 بدأت حفرها وأوجدتها.

• • •

﴿وَجَعَلَهَا آيَةً لِّقَوْمِهِ﴾ [الحجرات: ٢٧-٢٨].

### الشرح

يعني أن الهداية بيده تعالى يهديه إلى الصراط المستقيم، التفسير في  
 قوله: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ يعود لكلمة التوحيد، فغير عنها بالمعنى ثم أعاد  
 التفسير إليها، وجعلها آية في عقب إبراهيم أي في ذريته، فلا يزال في  
 ذريته من هو مخلص وموحد لله جل وعلا سواء من المذكور أو الإناث.

• • •

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الحجرات: ٢٨].

### الشرح

أي يرجعون لهذا الشيء ويكون لهم دعوة إلى الله، وكان من آخرهم  
 من الأنبياء محمداً لأن كل نبي بعث بعد إبراهيم من ذريته، فلم يبعث نبي  
 من غير ذرية إبراهيم بعده.

• • •

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَخَافِ الزَّكَاةَ فَغَلَّابٌ﴾ (الزمر: ٦١) ﴿

(الزمر: ٦١)

### الشرح:

يعني نستوي كلها فيها، لا يكون فيها من يكون له خصوصية.

• • •

﴿إِلَّا تَسُبُّوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ﴾ (الزمر: ٦٢) ﴿

### الشرح:

وهذا معنى لا إله إلا الله.

• • •

﴿وَلَا يَلْبِسْكُمْ كُفْرًا بِإِيمَانِكُمْ لِيَنْتَهِزُوا الْقُرْآنَ﴾ (الزمر: ٦٣) ﴿

### الشرح:

وهذا يعني لا إله إلا الله، وهو مثل قول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

تَشْرِكُوا بِهِ﴾ (١٣٠ - ١٣١) فهو تأكيد لعبادة الله وهو كونه لا يعبد إلا الله

ولا يشرك به شيئاً.

• • •

﴿مَنْ تَزَلَّزَلَ انْفِصَالًا بَيْنَ ذَلِكُمْ وَمَآ أَفْعَىٰ﴾ (الزمر: ٦٤) ﴿

### الشرح:

يعني إن أورا قبول ما دعوتهم إليه، فأنهدوهم على أنكم

مسلمون، ومعنى هذا أنكم تبتلون منهم ومن عبادتهم، ومن الآيات

المواضحة في هذا ما ذكره الله جل وعلا في دعوة هود لقومه في سورة



الاعراف قال: ﴿وَقَالَ كَلِمَاتٍ مُّعْرَفَةً قَالَ يَتَقَرَّبُ الْكُفْرُ وَاللَّهُ مَا كَثُرَ مِنْ ذَلِكَ فَيَعْرِضُ الْقُلُوبَ  
لِلْغَيِّبِ﴾ (الاعراف: ١٦٥) فقلوبهم ﴿أَيُّهَا الْبَشَرُ إِنَّكُمْ لَكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن مِّن مَّا كُنْتُمْ  
بِشَيْءٍ مِّنْ أَدْوَانٍ﴾ (الاعراف: ١٧٠) فهذا يدل على أن المقصود أن تكون  
العبادة لله واحدة ولهذا صرحوا بذلك.



وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ  
أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالذِّمَمِ لَئِيْلَ أَوْفٍ  
رَّجِيْمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

#### الشرح:

وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَمَّا لَكُمْ بَيْنَ نَبَايِكُمْ وَلَكُمْ رَسُولٌ أَلَمْ تَعْلَمُوا  
أَنفُسَكُمْ﴾ (الاعراف: ١٥٠) وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنَسُوهُ لَنِفْسِنَا أَلَمْ نَكُنْ  
إِنَّا بِرَبِّنَا رَسُولًا﴾ (٥) فَيَقِينُ بِرَبِّهِ الرَّسُولَ فَلْيَدْعُ نَحْنُ أَكْبَرُ وَلَا﴾ (الحجرات: ١٥-١٦).  
وهناك آيات كثيرة تدل على هذا.

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ (اللام يقال أنها موطئة للتقسيم والبدء  
للتحقيق والتقسيم مقدر تدرج. والله لقد جاءكم رسول، وذكر  
﴿رَسُولٌ﴾ لتعظيمه.

قوله: ﴿بَيْنَ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني تعرفونه وتعرفون صدقه وتعرفون  
نشأته وتعرفون أمانيه ولا يخفى عليكم، وهذا من فضل الله كونه يكون منا  
وتعرفه وبلغنا من أعظم النعم.

قوله ﴿قَرَّبُوا إِلَهُكُمْ مَا قَرَّبْتُمْ﴾ عزير يعني أنه يقرب عليه ذلك، ﴿مَا قَرَّبْتُمْ﴾ يعني من الشيء الذي يعتكف وأعطيه الوقوع في الشرك.  
قوله ﴿خَرَجْتُمْ إِلَهُكُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ زُفَرًا﴾ يعني خرجوا على هذا بكم، وهو زؤوف برأف فهو ويرحمهم مبالغة وفي المقابل شديد على الكافرين كما قال حق وحده ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ نَسُوا آيَاتِ اللَّهِ وَالْكِتَابَ وَحَدَّثُوا بِهِمْ﴾ الآية ٥٩.



ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعة فيما أمر، وتطهيرة فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، ولا يفتد الله إلا بما شرع.

### الشرح

أن تطهيرة فيما أمرناه، وبصدقة فيما حرمنا به، وأخير به، واجتناب الأمور التي نهى عنها، وأن يفتد الله بعل وعلا بشرعه الذي شرعه وجاء به، ولا يفتد الله بغير ذلك، فصار معنى شهادة أن محمداً رسول الله المدين كله على شهادة ألا إله إلا الله، ومع ذلك فالتشهادتين كلاهما ركبي واحد ومترطين ولا يمكن أن يغفل واحدة من دون الأخرى، فهو شهد الإنسان ألا إله إلا الله ولم يشهد أن محمداً رسول الله فهو كافر، ولو شهد أن محمداً رسول الله ولم يشهد ألا إله إلا الله فهو كافر، ولهذا أبو طالب عم النبي ﷺ كان يصدقه ويقول: هو رسول، ولكن لم يتابعه، ويقول أنه لا يكتب ولا يعني بالأباطيل كما قال في قصيدته، لهذا لما جاء الموت رجا الرسول ﷺ أنه يقول لا إله إلا الله، لأنه إذا قالها فهو يلوها عن

معنى، فجاءه وعند أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، وهذا من أعظم الضرر أن يكون عند الإنسان جلساء السوء. فقال له: يا عبد، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فظفر إليه كأنه يمكن بهكر أو يقول، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟

وهذا معناه أنك إذا قلت هذه الكلمة تخرجت عن ملة عبدالمطلب، وملة عبدالمطلب هي الشرك وعبادة الأصنام، فأعاد عليه الرسول ﷺ قوله، فأعاد عليه نفس الكلام: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فبدت على ملة عبدالمطلب<sup>(١)</sup>، فالشاهد أنهم يعرفون أن قول لا إله إلا الله ليس مجرد كلام أو نطق بل المقصود بها أن يكون المعبود هو الله وحده، وكل عبادة لما سواه تكون باطلة مجتبة، والقيام في رسول الله ﷺ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: جفاة ولم يرى حقه، وهذا كثير بالله.

القسم الثاني: من غلا فيه وأزله فوق منزلته، وهذا باطل.

القسم الثالث: من توسط. فعلم أنه رسول وأحب الحب الواجب واتبعه وتبعه الله بالشرع الذي جاء به.



وَقِيلَ الْمُصَلِّاتُ وَالرُّكَّادُ، وَتَقْبِيزُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِيَإِذَا أَلَّا  
لِعَلَّمُوا أَنَّهُ تَعَالَى اللَّهُ خَلْقَهُ وَتَعْبَهُوا الصَّلَاةَ وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ (س. ١٥).

(١) البخاري (١١٧٧) كتاب الاعتزاز باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله مسلم (٢٠١) كتاب الإيمان باب القليل على صحة إسلام من حضر الموت ما لم يشرع في التزج، من حديث حميد بن المسيب عن أبيه.

## الشرح

وهذا خطاب لأهل الكتاب والمسلمين كنهم؛ لأنه في أول السورة يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية والأمر الذي جاءهم هو هذا، وهذا يدل على أن الصلاة مفروضة على من قبلنا، ولكن ليست على هذه الصفة، وكذلك تركته كانت مفروضة على من قبلنا، وأما إخلاص الدين والعبادة لله فلا إشكال فيه، وكل الرسل نمر به.

• • •

﴿وَذَلِيلٌ مِنَ الْيَتَامَى﴾ الآية ١٥.

## الشرح

يعني الدين القيم الذي يجب أن يُسبح.

• • •

وَذَلِيلُ الْغَنَامِ: فَوَكِّلْ غَنَامِي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِثَ عَلَيْكُمْ الْيَتَامَى كَمَا كُنتُمْ عَلَى الْيَتَامَى مِنْ قَبْلِهِمْ لَمَّا كُنتُمْ تُكْفِرُونَ﴾ [نقرة: ١٨٣].

وَذَلِيلُ الْحَجِّ: فَوَكِّلْ حَجَّي: ﴿وَقَرُّ عَلَى الْغَنَى جِئَ الْيَتَامَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَى سَهْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَوَكِّلْهُ غَنَى عَنْ الْيَتَامَى﴾ [نقرة: ١٨٤].

## الشرح

واستدل بهذا على أن ترك الحج كفر إذا تركه مع الاستطاعة والتمكن، قول الله تعالى: ﴿وَأَجْرُ الْحَجِّ وَالْقَرَىٰ إِلَى﴾ [نقرة: ١٨٤]. لا يكون دليلاً لأنه أمر بالإتمام لمن شرع فيه، فإذا شرع فيه وجب عليه أن



الجزء، يعني أنه أجزأه كثيرة تجتمع، ويضع من الثلاثة إلى السعة.

• • •

فَأَعْلَمْنَا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

**الشرح:**

وهو قول ولكن لا بد من عقيدة القلب، وهذا القول يشعل الدين كله، ويدلنا هذا على أن الإسلام داخل في ذلك؛ لأننا قلنا أن من أركان الإسلام شهادة ألا إله إلا الله.

• • •

وَأَشْهَدُ بِإِمامَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَنِ الطَّرِيقِ.

**الشرح:**

يعني إزادة الشيء الذي يلحق الناس الذين يعرفون في الطريق، وهذا فعل وحصل تعلمه، وهذه شعبتين.

• • •

وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ<sup>(١)</sup>.

**الشرح:**

والحياء خلق يشغلي الانفعالات الحاملة من الشيء الذي يشغلي منه فيفتح الناس من فعل ذلك، فهذه ثلاثة شعب، وقال: «يضع وسيعون» فبقي سبعون شعبة.

• • •

(١) لأمر به مسلم، ورواه الحافظ بسط. «الإيمان طبع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان».

من طريق جماعة من حديث عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَرْكَانُهُ ثَلَاثَةٌ: كَمَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّ تَوْثِينَ بِالْفَتْحِ.

### الشرح:

وهو التصديق الجازم بوجود الله جل وعلا وبأنه علیم بكل شيء، ومحيط بكل شيء، وفادر على كل شيء، وأنه الخالق لكل شيء، وأنه هو الأول والأخر والظاهر والباطن وأنه الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وأنه الإله الحق الذي لا يجوز أن يحد غيره، وقد تعرف الله جل وعلا إلى عباده بأسمائه وأوصافه كما تعرف إليهم بأفعاله ومخلوقاته فيجب أن يعرف الإنسان على ما وصف به نفسه جل وعلا وكلما ازداد معرفة ازداد إيماناً يعني كلما تعلیم وتفهم وتفق في صفات الله وفي أفعاله ومخلوقاته زاد علماً وإيماناً بالله جل وعلا، والإيمان عند أهل السنة يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فقد ينقص حتى لا يبقى منه إلا شيء قليل وقد يزول لأن المعاصي كما يقول العلماء يزيد الكفر ويغلب عليه فقد يزداد معاصي ثم تراكم ثم يترك الإيمان ويدخل في الكفر وبالعكس فقد يزداد إيماناً إلى أن يصل إلى اليقين، ولهذا اختلفت مراتب المؤمنين ومساكنهم في الجنة وقد جاء في الصحيح في الرواية التي قصت على النبي ﷺ وأقرها، أن أحد الصحابة قال: رأيت كأن ميزان وضع فوردت بالآلة مرجحت بها ثم وزن أبو بكر فرجح بالآلة<sup>(١)</sup>، فإيمان رجل واحد يكون أرجح من إيمان الأمة كلها، ومعلوم أن إيمان الرسل والملائكة ليس كإيمان أحاد الناس، فإيمان قد

(١) صحيح درود ليرداد (١٦٣٨-١٦٣٩) من طريق حماد بن عمار، الحديث مخرج في

أحاديث الجنة (١٦٣٩-١٦٤٠) و(١٦٤٠-١٦٤١) في التوشيح





بَلْ كَانَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَآثِرًا مُّكْتَرَمَةً ﴿١٥١﴾ (المعصر: ١٥١) فالإيمان يدخل فيه العلم ويدخل فيه القول ويدخل فيه العمل وهو يتكون من هذه الثلاثة الأشياء وإذا فقد واحد منها فقد الإيمان. ولكن إذا وجد إيمان القلب وإقراره وبقائه لا بد من وجود العمل ولا يمكن أن يقال هذا مؤمن موقن ثم يختلف العلم وإنما هذا قد يكون تقديرات لا وقوع لها بقدرها بحسب الناس كأن يقال إنسان آمن ولكنه لم يعمل ولم يترك ولم يصوم فهذا تقدير غير واقع، فإذا آمن فلا يمكن إلا أن يعمل أما إذا وجد هذا فسمى ذلك أن الإيمان لم يصل إلى قلبه ولم يتحلى به.



### وَفَلَا تَكُنْ:

#### الشرح:

وَنُؤْمِنُ بِأَعْيَانِهِمُ النَّبِيِّنَ ذَكَرُوا لَنَا وَسَمِعُوا لَنَا مِثْلَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَوُضِعُوا وَمَالِكُ، فَيَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَعْيَانِهِمْ وَنَعْلَمَ أَنَّهُمْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ وَلَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَأْتُونَ بِمَا أَمَرَهُمْ اللَّهُ وَهُمْ خُلَفَاؤُا لِلْعِبَادَةِ وَيَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ دَائِمًا وَهُمْ كَثِيرُونَ جَدًّا، أَمَّا الْقِيَمُ لَمْ نَذْكُرْ لَنَا أَسْمَاءَهُمْ فَعَنَّهُمْ مِنْ نَعْرِفُهُ بِالْوَطَائِفِ الَّتِي ذَكَرْتُ لَهُمْ مِثْلَ الْحَفْلَةِ ﴿قَدْ عَلِمْنَاكُمْ حَنِيفِينَ﴾ (١٥٢) ﴿يَكْرَهُنَّ كَثِيرِينَ﴾ (١٥٣) (المعصر: ١٥٢-١٥٣) فكل واحد منا معه أربعة ملائكة كرام شأن في النهار واثنان في الليل يتعاقبون كما قال الرسول ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار، يجهتسون في صلاة المعصر وفي صلاة الفجر، فإذا صعدوا سألهم الله جل وعلا: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: يا رب أيهاهم وهم يصلون وتركتهم وهم

يقولون<sup>(١)</sup>، يزلون في صلاة العصر يستمعون فيصعد الذين نزلوا الصلاة  
العصر ويقف الذين يبتون معاً، فإذا جاءت صلاة الظهر نزل أولئك  
وأعليهم، والله سبحانه حتى يظهر ذلك عند الصلاة الذين لا يعرفوننا  
ولا لهم صلة بنا، فإذا سمعوا هذا قالوا: إذن هؤلاء ولهم كله صلاة  
فيكون يستغفرون لنا، ولهذا يقول الله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاةَ عَنْ  
أَنفُسِهِمْ فَإِذَا دُعُوا لِلصَّلَاةِ يَأْكُرُونَ بِهَا وَيَكْفُرُونَ بِهَا وَيَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُم مِّنَ  
بَعْضٍ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢) وأيضاً قالوا: لا بد أن يكون  
الذين نزلوا الصلاة في صلاة العصر من أهل البيت، لأنهم هم الذين  
نزلوا الصلاة في صلاة الظهر، والله تعالى أعلم بالصواب.

فهذا من فضل الله تعالى وكرمه وحرمه، ولكن المشكلة إذا جازوا  
والإنسان نائم أو ينام وقد غفل عن الصلاة ماذا يقولون؟

وإذا مات الإنسان لا يدعون إلى إنسان آخر يقول يحفظون عمله  
ويقول بعض العلماء: أنهم يقولون يستغفرون لنا، وهذا فضل من الله.

ومنهم الموفقون بقصص الأرواح، فعليك السموات معاً أعوان له كما  
قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِآثَارِهِمْ آلَهُمْ لَمْ يَسْخَرُوا عَلَيْهِمْ  
شَيْئًا وَهُم يُبْغَضُونَ﴾ (٣) وقالوا: لا بد أن يكونوا من أهل البيت، لأنهم هم  
الذين نزلوا الصلاة في صلاة الظهر، والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) (الطبريزي: ٥٥٥) كتاب مواظبة الصلاة باب فضل صلاة العصر، ومسانم (٦٣٢) كتاب  
السنن، ومواظبة الصلاة باب فضل صلاة العصر، ومسانم (٦٣٢) كتاب  
السنن، ومواظبة الصلاة باب فضل صلاة العصر، ومسانم (٦٣٢) كتاب  
السنن، ومواظبة الصلاة باب فضل صلاة العصر، ومسانم (٦٣٢) كتاب

أَنْفُسَكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُونَ ﴿٢٠﴾ اصدق ٢٠ - ٢٠٠ طاب ﴿النفس حسنة﴾  
ولم يقل الملك، ونشرهم بعد انصرفوا وانصرفوا، وهؤلاء يزلون إليه  
عند خروج الروح وشاهدتهم، ولهذا قال الرسول ﷺ تقبل نوبة العبد  
ما لم يعاين<sup>١١</sup> يعني يعلم الملائكة لأن عاينهم فذلك يعني أنه قد توارى  
الدنيا ولا يلبس منه عمل ولا نوبة.

وقوله: ﴿الَّا تَحْشَرُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ اصدق ٢٠ - ٢٠٠ يعني لا تخافوا معا  
أمامكم ويستقبلكم فأنتم مكرمون، ولا تحزنوا على ما تركتموه من الدنيا  
من أهل وولد ومال، فالسعيد هو الذي يشر بهدا وهو الذي في مستغفرة  
بناء صاحباً سليماً وصار مطمئناً، فإذا وضع في قبره فتح له باب إلى  
الجنة يأتيه من روحها وتعيمها وريحانها ويسبح له في قبره ويناديه فيه  
ويكون مد البصر أو أكثر فيكون في روضة، وإن كانت كشتفا عنه لم يجدناه  
على الحالة التي دفن عليها أو قد تأكل الأرض عظامه ولكن روحه  
منعمة وكذلك الأجزاء التي أكلها الأرض تحس بالنعيم، والإنسان في  
القبر كما سيأتي إما في نعيم أو في جحيم - نسأل الله العافية - ونعيمه  
يكون خاصاً به حتى لو قبر معه مقيوراً آخر، فنعيم هذا لا يصل إلى هذا،  
وعذاب هذا لا يصل إلى هذا، وإن كانوا في قبر واحد، والله لا يجرمه  
شيء، تعالى وتقدس.

والذين يتنزلون على الذين كفروا معهم سيأخذ من النار يضربون

(١١) ابن ماجه (١٤٤٣) كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في المؤمن يجر في القبر،  
وعبد الزواق في المصنف من حديث أبي موسى الأشعري، يعني الله عنه

وجوههم وأديارهم يقولون لهذا: ﴿الْقُرْآنُ كَرِيمٌ﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ؟ فَذَلِكَ  
الْقُرْآنُ ﴿الأنعام: ١٥٣﴾. فبدأ العذاب من ذلك الوقت، ولهذا نقول: إن  
المؤمن المتقي أشد ما يلاقي الموت، وما بعد الموت أسهل منه، بل  
يسقط من نعيم إلى ما هو أفضل وتكمل وتوسع، لما للكافر والمناقل  
أسهل ما يلاقي الموت وما بعد الموت أشد، ويسقط من شدة إلى شدة  
إلى أن يصل إلى جهنم وكل هذه الأمور ستعيشها ولا بد، فيجب أن  
يفكر الإنسان فيها وأن يحسن ولا يساهى، ولهذا كثيراً ما يرمي الله  
ويقول: ﴿الَا تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِتُمْ﴾ وهو الموت، ويكون ذكره يستعد  
الإنسان وينهض كما قال أيضاً في وصيته: ﴿الَا تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِتُمْ﴾  
والنار، لأن المصير إليهما.

ومن الملائكة من كان موكلاً في القطر والنبات وسوق السحاب،  
ومنهم الذين تركوا بالأمر عام، فيأتي الملك ويدخل في رحم المرأة عندما  
يخصي على المنطقة مئة وعشرون يوماً، فيسأل: يا رب، ذكر أم أنثى؟ ما  
الرزق؟ ما الأجل؟ ما العمل؟ شقي، أم سعيد؟

فيأمره الله ويقول له: اكتب كذا، فيسجل بالصحيفة معه ويطلبها ولا  
يزاد عليها ولا ينقص، فهذه الكتابة وهو في بطن أمه لم يخرج إلى الدنيا،  
وقبل هذه الكتابة كتابة وقبلها كتابة أخرى، ومن الملائكة الملقين في

(١٤) «شرمي» (٦٣-٦٤) كتاب الشجاعت عن رسول الله ﷺ «ما جاء في ذكر الموت» والقصي

(١٥) «كتاب» المذكر «ما ذكر الموت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه»

(١٦) «رواه البخاري في التاريخ الكبير، والشمس في التكميل والأسماء، والمصنف ابن حجر  
العمداني في المطالب العاقبة، وأبي نعيم في حصة الجنة»

السماء كما جاء في الحديث: «أعطت السماء وحق لها أن تأطى ليس فيها موضع قدم إلا وملك راجع أو ساجد أو قائم»<sup>(١)</sup> إلى قيام الساعة والأطباق من صوت الشيء الذي صار له صرير من الحمل.

ويقول الرسول ﷺ في حديث المصراع: «إنه رأى البيت المعمور في السماء السابعة، وهو حياض الكعبة - أي منازلها من فوق - تنعبد فيه الملائكة، وإذا يدخله في اليوم سبعون ألف لا يعودون إلى مثله أبدًا»<sup>(٢)</sup> لأن لا يحصل لهم من كثرة الملائكة الذين يرددون عليه والذي يأتيه مرة لا يأتيه مرة أخرى؛ لأنه لا ينهي له من الكثرة ومن الملائكة الذين وكفروا في النار بوقوعها وتعذيب أهلها، ومنهم الموكثون بالجنة وغير ذلك مما ذكره الله جل وعلا، فيؤمن بهم حسبما ذكر.

• • •

## وَتَقْبِيهِ.

### الشرح:

الكتب التي ذكرت لنا بأعيانها تؤمن بها بأسمائها مثل التوراة والإنجيل والزيور، والقرآن مهيمن عليها تؤمن به وبكل حرف منه، فمن كفر بحرف واحد منه يكون كافراً، ولد يده بالحمد وختم بسورة الناس

(١) الترمذي (٢٢٦٦) كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو علمون ما أعلم لعلمكم للهؤلاء» وابن ماجه (١٠٩٠) كتاب الزهد، باب الحزن والكلابة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الألباني: «صحيح»، نظر حديث رقم (١٠٩٠) في صحيح الجامع.

(٢) البخاري (١٢٠٧) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة واسمهم (١٦٤) كتاب الإيمان، باب معراجي ﷺ إلى السماوات، الجنة في السماء، من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، قال الألباني: «صحيح»، نظر حديث رقم (١٦٤) في صحيح الجامع.

وهو محفوظ ثوبى الله حفظه ولا أحد يستطيع تغييره ولا تغييره حتى يأتي أمر الله الذي أخبر به الرسول ﷺ بأنه سوف يأتي يوم يسري عليه من صدور الرجال والمهناحط فلا يبقى منه حرف واحد<sup>(١١١)</sup>. وهذا يكون عند قيام الساعة لأنها لا تقوم إلا على شرار الخلق<sup>(١١٢)</sup>. فإذا ترك الناس العمل به رفع. ولهذا يذكر ذلك العلماء في العقائد التي يعلمونها المسلمون، يقولون: القرآن كلام الله منه يدور إليه يعود.

يعني هو الذي تكلم به وأسمعه جبريل ونزل به جبريل إلى محمد ﷺ وبخه إليه ولم يترك منه حرفاً واحداً حتى الأواخر التي وجهت إلى النبي ﷺ بأنما إليه ما يعني إذا قال الله جل وعلا: ﴿لَقَدْ يَعْزَلُ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاكَ﴾ [١١٣] فيقول لنا هذا القول، وهذا دليل على أنه لم يترك حرفاً واحداً وإن كل ما جاء أخبرنا به وأخبر أن هذا قول الله جل وعلا، وأما إليه يعود فيعود صفة لأنه من صفاته، وهو كلامه لو أنه يعود يسري عليه ثم يرفع ولا يبقى منه شيء أو أن المواد المعنيين كلاهما



(١١١) ابن جرير ١٢: ١١٢-١١٣ كتاب التفسير، باب دعاء القرآن وتعلمه من حديث حفصة بن أسيد بن وهب عن أبيه، والحاكم ١: ٢١ و ١٢٣٣ وفهرست صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في التلخيص ص ١٧٧: هو حديث صحيح.

(١١٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَخفون على الحق لا يفهمون من حقائقهم﴾ من حديث حفصة بن أسيد، وهو حديث صحيح.

## رُؤُوسُهُ

### الشرح

وذلك بأن يؤمن الإنسان بأن الله أكرمهم بالرسالة وأنهم جاءوا بالهدى وبلغوه إلى قومهم وأن من أضاعهم سعد ومن عصاهم شقي وأن الذين هم الذي جاءوا به وأنه لا طريق إلى الجنة إلا بالسير خلفهم، ورسول الله جل وعلا كثيرون ولا يجوز أن يفرق بينهم بل يجب أن يؤمن بجميعهم كما قال الله جل وعلا: ﴿مَنْ أُرْسِلُوا بِمَا أُسْرَفَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِمْ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ مَعَهُ وَمَنْ يَصْحَبْهُ وَيَتْلُوهٗ رُؤُوسُهُ﴾ [النحل: ٦٨٢] وقال جل وعلا في آيات كثيرة: ﴿الَّذِينَ دَانُوا وَلَهُ يَلْقَئُكُمُ الْمَلَكُ﴾ [الأنعام: ١١٢] فليس الإيمان بالظلم أن تفرق بين هذا أو أن تعبد الله وتعبد معه غيره، والمرسل الذين ذكروا في القرآن خمس وعشرون رسولا، ويجب على الإنسان أن يؤمن بهم بأعيانهم لأنهم ذكروا بأسمائهم وأولهم آدم عليه السلام أما الذين لم يذكروا بأسمائهم فهؤلاء مؤمن بهم في الجملة.



## وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

### الشرح

فيعمل كل ما أخبر الله جل وعلا به مما يكون بعد الموت في القبر وفي البعث وفي الموقف والجزاء والحساب والجنة والنار







يُظَنُّ ١٤٩. يعني أنه مقدَّر قبل وجوده، ومكتوب ومعلوم لله حل وعلا، وهو الخالق الذي خلق كل شيء.

• • •

### الْمَرْجَةُ الثَّلَاثَةُ: الْإِحْسَانُ

#### الشَّوْح:

وهنا قال: إن الإحسان درجة واحدة، وهي الواقع أنه درجتين، ومعنى الإحسان هو أن يأتي الإنسان بالعمل على التوجه المطلوب ويأكل مما يكون.

• • •

أو كانه: وله وَكُنْ وَاحِدٌ كما في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى تَرَاهُ

#### الشَّوْح:

وهذه درجة، فلو قدر للإنسان أن يشاهد ربه فلن يدخر من إحسان العمل شيئاً وسيأتي بالعمل على التوجه المطلوب ويأكل مما هو، فإذا لم يصل إلى هذه الدرجة انتقل إلى الدرجة التي دونها.

• • •

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

#### الشَّوْح:

وهذه الدرجة الثانية وهي عبادته جل وعلا على اليقين، يعني تعبدته مع العلم أنه يشاهدك ويراك، فإذا لم يصل الإنسان إلى هذا الشيء فهو لم يصل إلى الإحسان.

• • •

وَالَّذِينَ قَالُوا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَآتُوا زَكَاةَ اللَّهِ يُبْلَغَ إِلَيْكُمْ فَسْخَرُوكَ﴾

الرجل ١٠٢٥

وَقَالُوا قَالُوا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى تَحِيَّتِ كَرِيمٍ﴾ الَّذِي يَرْفَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ

وَقَالَ قَالُوا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة ١٠٢٥-١٠٢٦)

الشرح:

هذا دليل على الدرجة الثانية، وهذا شيء يعلمه كل أحد من المسلمين، فيعلمون أن الله واحد ولكن لم يفعلوا من استحضار العلم والشيء الذي يلزم منه أن يكون الإنسان محتسباً للتوابع والمعاملات.

• • •

وَقَالُوا قَالُوا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتَّقُونَ إِنَّا نُرَاقِبُكُمْ مِنْ عَسَلٍ

إِلَّا حِطُّوا فَتَكُونُ شُهُورًا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (سورة ١٠٢٦)

الشرح:

يعني أن الله يشاهد ذلك ولا يخفى عليه شيء، والأدلة على الأمر بالإحسان والثناء على أصحابه وذكر حوائجهم كثيرة في كتاب الله تعالى، وكذا في السنة.

• • •

وَالَّذِينَ قَالُوا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَآتُوا زَكَاةَ اللَّهِ يُبْلَغَ إِلَيْكُمْ فَسْخَرُوكَ﴾

رضي الله عنه.

الشرح:

وجبريل عليه السلام جاء بصورة رجل وهذا أحد أقسام الوحي، أن

بأنه في صورة رجل معين فيخاطب الرسول ﷺ مخاطبة مثل مخاطبة  
الرجل الذي يقابله.



لَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْخُلُوصَ فَهِيَ ﷻ إِذْ طَلَعَ غَلْبًا زُحُلًا.

#### الشرح :

ذكر كيف جاء وهم خلوص ولا يتظنون أن يطعن عليهم أحد، وقوله  
«إِذَا» تسمى الفجائية، يعني حدثا شديدا ما كنا نتوقعه.



شَدِيدُ بَيَاضِ الثَّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الشَّقْرِ وَلَا  
يَعْرِفُهُ مَنَّا أَحَدٌ.

#### الشرح :

وهذه أربعة أوصاف :

الصفة الأولى: شديد بياض الثياب، والمسافر لا يكون شديد بياض  
الثياب، بل تكون ثيابه متسخة من الغبار والهواء والأرض، وهذا غريب  
ليس من أهل المدينة وهو بهذه الصفة.

الصفة الثانية: شديد سواد الشعر، يعني ليس في شعره غبار ولا  
تشعث ولا تأثر من الهواء.

الصفة الثالثة: لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الشَّقْرِ، وهذا تأكيد لأن السفر لا بد أن  
يظهر على المسافر، لأنه يعني ويركب على الراحلة.

الصفة الرابعة: لا يعرفه منا أحد، يعني أنه ليس من أهل المدينة وهذا  
وجه القرابة.

وهذه رواية عمر رضي الله عنه، وهي في مسلم وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أن الرسول ﷺ لما انتهى قال: اتقوا علي الرجل قد هبوا نردوه فلم يروا شيئاً، فأخبرهم أنه جبريل جاء بصورة رجل ثم جاء بأدب في الفاس والشفاعة وحسن اللباس ثم أدب في الجلوس، فبعثهم الأدب وبعثهم الدين، وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على جانب عظيم من تقدير الرسول ﷺ وكانوا يهواون السؤلين فكانوا لا يسألون إلا عن الأمور الضرورية، فجاء جبريل بسأل والرسول ﷺ بحسب حتى بلغوا لهذا يقول من صدر رضي الله عنهما كما خرج بالرجل الأعرابي تعاقب الذي يأتي بسأل الرسول ﷺ ونحوه.

فَقُلْتُ إِنِّي شَيْءٌ قَلِيلٌ قَلِيلٌ زَكَّيْتُ زَكَّيْتُ إِنِّي زَكَّيْتُ، وَزَكَّيْتُ قَلِيلٌ عَلَى قَلِيلَتِهِ.

#### الشرح:

الإسماء هو المقابلة، مقابلته الشيء بالشيء، ومعنى ذلك أنه جلس كهية الجالس لتشهد أمام الرسول ﷺ، وجعل ركبته مقابلة لركبتي النبي ﷺ، ثم وضع يديه على فخذه، وهذا معناه أنه يُعَلِّمُ الصَّحَابَةَ الأدب مع الرسول ﷺ وغيره، وهكذا عند طلب العلم يجب أن يكون الإنسان متأدباً، وإذا لم يكن متأدباً مع العلم وطلب العلم يُحْرَمُ بركة العلم وهذا هو المعروف، ولهذا كان السلف يحذرون بالأدب يقول الإمام أحمد رحمه الله: طُفَّتِ الْأَدَبُ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ تُطْلَبَ الْحَقِيقَةُ، وهكذا

غيره كانوا يعنون به كثيراً ولهذا ألفوا في ذلك كتباً في أدب الطلب وبعضهم يسميها أدب سماع الحديث وغيرها فالعمدة والسند هو هذا الحديث ونحوه.



قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ.  
فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ تُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ، وَتَقِيَمَ  
الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ امْتَنَعْتَ إِلَيْهِ  
سَبِيلاً».  
قَالَ: صَدَقْتَ. فَتَحَبَّبْتَ لِي بِمَا كُنْتُ يُحِبُّهُ.

الشرح:

جاء باسمه العلم لما قال: يا محمد، وجاء بعده بالسؤال، فلما أخبره  
بأركان الإسلام الخمسة قال: صدقت، فتمحببوا لأن مقتضى السؤال أن  
يسأل عن شيء يجهله، ولما قال: صدقت دل على أنه يعلم هذا وليس  
جاهلاً، وتروى: «صحبنا له يسأل ويصدقه» لأن الذي يعلم الشيء لا يسأل  
فيه.



قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ.  
قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَبِأَنْبِيَائِهِ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤَيِّدَ  
بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ».  
قَالَ: صَدَقْتَ.

قال: أخبرني عن الإحسان.

قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ فَقَدْ تَرَأْتَهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَأُهُ فَبِإِيَّاهُ تَرَأَهُ».

قال: أخبرني عن السعادة.

قال: «مَا اسْتَوْفَى عَلَيْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ هَاتِيكِ».

الشرح

المقصود بالسعادة هو وقت محبتها، وهذا يدل على أن السائل عنده علم، ومعناه أنك أعلم مني بالسعادة، وقد أخبرني الله بحسب السعادة عن كل خلقه حتى الملائكة والرسل كما قال الله جل وعلا في قصة موسى: ﴿إِنَّكَ أَفْضَلُ بَيْنَهُمْ أَكَادُ أَحَبُّهُمْ إِلَيَّ﴾ أي: أفضلهم مني، وأكاد أحبهم إليّ. (١٦٥)

يقول العلماء: أكاد أحبهم عن نفسي لو أمكن، وقال جل وعلا في آية أخرى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ هَارَوْا بِغَارِ حُدَيْبِيٍّ إِذْ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ لَا تُلَاحِظُوا عَلَيْهِمْ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لا تلاحظوا عليهم لعلكم تتقون. (١٦٦)

معنى السادة الصغرى في الصور الصفحة الأولى، ومن العلماء من يقول: الصغرى في الصور ثلاث، وسهم من يقول: أنه الشاهد وهو الذي يدل عليه طاهر القرآن كما قال جل وعلا: ﴿وَيُطِيعُ فِي الصُّورِ نَصِيحَتِي فِي التَّشْكُوتِ زَيْنَ فِي الْفُتُوحِ﴾ أي: طاعة طاعة المؤمنين، طاعة طاعة المؤمنين، طاعة طاعة المؤمنين. (١٦٧)

وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجْمَةُ﴾ أي: تَرْجُفُ الرَّجْمَةُ ﴿أَخْرَجَتْ﴾ أي: أَخْرَجَتْ. (١٦٨)

في الصفحة الأولى، والرافعة هي الصفحة الثانية، وعن النبي ﷺ قال: «بين

الضعفين أربعون<sup>(١٨)</sup> قبل لأبي هريرة رضي الله عنه: أربعين سنة؟ قال: أبيت. قيل: أربعين يوماً؟ قال: أبيت. يعني أنه لم يسمع التميز من النبي ﷺ. النفخة الأولى لموت كل من كان حياً في السماوات أو في الأرض إلا من استثناهم الله، فمنهم من فذل. أنهم الذين في الجنة من الحور والولدان، ومنهم من يقول الشهداء، وهو غير صحيح، والله أعلم. المقصود أن الساعة هي النفخ في الصور. ولهذا لما كان وقت مجيئها عظمي عن الناس وعن الملائكة عدل إلى السور عن أماراتها وعلاماتها.



قال: فَأَغْيِرْ نِي عَنْ أَثَرَاتِهَا.

الشرح:

الأمرأة: هي العلامة القريبة من وقوعها، وقد ذكر هنا اثنين: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان». والثالثة ذكرته في غير هذه الرواية. «أن توسد الأمور إلى غير أهلها»، وفي رواية: «أن تطيح الأممية»<sup>(١٩)</sup>.



(١٨) البخاري (٤٧٢٨) كتاب غير القرآن، باب «يَوْمَ نَبْخُ فِي كَثِيرٍ مِمَّا هُنَا أَتَيْنَا» (١٨٨) وأسلم (٢٩٤٥) كتاب الفتن والكرامات، باب ما يروى الضعفين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الألباني: «صحيح». انظر حديث رقم ١٥٥٨٤ في «صحيح الجامع».

(١٩) كلاه في الأربعين في البخاري من حديث عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه (٥٧) كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه قائم الحديث ثم أجاب السائل، وذكره الذهبي في «السنن الكبرى».

قال: أَيْ تِلْكَ الْأُمَّةُ رَجَتْهَا،

### الشرح:

وفي رواية: غَرِبَها، <sup>(١)</sup> والأمة: هي الممفركة التي تكون مثل العال، وأصل ذلك الإماء الكفر، فإذا قتل المسموم الكفار واستولوا عليهم استغفروا أولادهم ومن يشاءون منهم، عقاباً لهم لأنهم لم يؤمنوا، ولا طريق إلى الترف إلا هذا الطريق، ولهذا إذا ترك الجهاد في سبيل الله فليس هناك رفق، ومعنى عند الأمة رجتها أن يكون التردد كأنه سيد الأمم بأمرها ونهيها، ويصرف فيها وقد يضرب فيها من علامات مجيء الساعة وبعض العتمة بقول: إن هذا عبارة عن كثرة الإماء وكثرة الفتوحات وقد وقع في زمن الصحابة لأنها كثرت، فإذا اشتري الخرجل أمة أو كان طائفة مع المنافقين وأعطيت أمة ووطئها وألجئت له، ولهذا صارت عتيقة وحصار ولداهم الذي اعتقها فكانه سيدها.



وَأَنْ تَرَى الْحَقِيقَةَ الْمَرْوَةَ الْعَالَةَ بِعَدَا الشَّاءِ يَنْطَلِقُونَ فِي الْبَيْتَانِ.

### الشرح:

العائلة: هم الناس الفقراء، يصح عدهم أموال طائفة وربما أصبحوا يتصرفون في بعض الناس، أما رعاء الشاء: فهو عبارة عن البدو الذين كانوا يربون الغنم فيخبر عنهم أنهم يسكنون المدن ويصبحون من أهلها

(١) البيهقي ١٢٨١ كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان.

مسلم ١١٠٣ كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه



ويتفانرون ويتطاولون في البناء ويتركون بلادهم فكل واحد يقول: يتأبني وعملوتي أحسن منك. وهذا معنى يتطاولون في البناء، ويكون هذا من علامات الساعة، وقد وقع هذا كما هو مشاهد الآن، وكل هذا يدل دلالة واضحة على قرب الساعة وعلى صدق الرسول ﷺ وأنها آيات تدل على أنه رسول الله ﷺ، وهذا مما يزيد الإنسان إيماناً وتصديقاً للنبي ﷺ، ويقول العلماء: أن علامات الساعة أقسام:

القسم الأول: العلامات المتقدمة البعيدة نوعاً ما عن الساعة مثل مبعث النبي ﷺ، فهو نبي الساعة، وكان يقول: «مبعث أنا والساعة كهاتين»<sup>(١)</sup> ويشير بإصبعيه السبابة والوسطى، وكأنه هو الوسطى وهي السبابة، وليس المعنى أن النسبة بين مبعثه وقيام الساعة كنسبة بين هذين الإصبعين، ولو كان هذا المقصود لعلم مجيئها ولو بالتقريب وإنما المقصود أنها ملاصقة له وأنها تأتي بعد نهاية أمته ودعونه مباشرة بل تأتي على أمته ولا بد، وكذلك الشقاق الفير كما قال الله جل وعلا: ﴿اَلْفَرَقَ النَّسَاجَةُ وَأُنْتَقِ الْفُتُورُ﴾<sup>(٢)</sup> فالساعة قريبة، وكذلك موته ﷺ من علامات الساعة.

القسم الثاني: العلامات المتوسطة.

القسم الثالث: العلامات الكبيرة التي تكون قريبة من قيامها، وجاء أنها إذا بدأت تكون مثل النظام الذي انقطع سلكه، كالخروج الذي ينظم في

(١) البخاري (٦٥٠٤) كتاب الرضا، باب نزل النبي ﷺ «مبعث أنا والساعة كهاتين»  
ومسلم (٢٩٥٦) كتاب الكفر وأشراف الساعة، باب قرب الساعة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الألباني: صحيح. انظر حديث رقم (٦٨٢٩) في صحيح الجامع.



Figure 1

مفتی محمد رفیع الرحمن

100

نص على اسم محمد، وهو اسم النبي الذي حُرِفَ به، وله أسماء عدة منها: أحمد، والناجي، والحفي، وهذه الأسماء نص عليها هو ﷺ، وله أسماء غير هذه، واسم العلم لأب منه في التشهد وفي تعيينه وتعيينه عن الرسل، لأنه هو قبي: نؤمن برسول الله الخاتم من هو رسول الله؟ أي رسول فرسل الله كثيرين؟

فلابد من ذكر اسمه العلم، ولهذا يقال في الأذان: أشهد أن محمداً رسول الله، وكذلك في التشهد في الصلاة، وكذلك عندما يدخل الكافر في الإسلام لابد أن يذكر اسمه العلم، وهذا لا ينافي قول الله جل وعلا: ﴿لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ دُفْعَةَ الزُّمُورِ الَّتِي كُفِّرُوا بَهَا عَنْكُمْ يَوْمَ الْآزِمِ﴾ (التور: ١٧٣). والمعنى لا تقبلوا له دافعه مثل ما يتلادى بفضلكم بعضاً، ولكن قولوا يا أيها الله... يا رسول الله تعظيماً وتقديراً له، وفي هذا تعين ذكر اسمه العلم.

(١٠) روى البخاري عن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «أني سمعتُ أبا عبد الله، وأبا أحمد، وأبا الصالح الذي يسمونه في الكوفة، وأبا الجاشق الذي يسمونه الناس على قمعي، وأبا العافية كتاب الحاشية» باب ما جاء في أسماء رسول الله وروى في الكوفة: أخبرنا أبو عبد الله بن صالح، حدثني معاوية عن يونس عن مسروق عن أبي هريرة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «أول من روى علي رسول الله ﷺ خلق طرفة برداد خويلد لمعة وكيع في الكوفة سمعنا» وعنه عن مسروق أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الحاشية» حاشية فريته وأما حاشية وأما طرفة فابن محمد وكيع يعني شيخه كتاب الصبي باب ما أُضيف علي من الفضل

ولهذا يقرن معه ذكر رسول أو نبي كما في: أشهد أن محمداً رسول الله  
لا بد، ولا تقول أن رسول الله هو رسول الله ولا تقول: أشهد أن محمداً  
محمداً، فهذا هو السبب في كونه نبي عليه هذا باسمه ﷺ الذي عرف به  
وسمّاه به الله.

• • •  
وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ قَاسِمٍ،

الشرح:

وهذا النسب الذي ذكره هو اسم الأب واسم الجد ثم القبيلة، لأن  
قاسم ليس هو الجد القريب، وعبدالمطلب له أولاد متعددون منهم  
أبو طالب الذي كلفه وأقام بتصرّفه، وكان عبداً في قريش.

• • •  
وَقَاسِمٌ بْنُ قُرَيْشٍ،

الشرح:

هنا ذكر القبيلة التي هي قريش، وقريش عبيد وسمي قريشاً لأنه  
جميعهم، والقريش هو التجميع، كانوا متفرقين فجمعهم.

• • •  
وَقُرَيْشٌ مِنْ قُرَيْبٍ،

الشرح:

وسمي العرب عرباً لإعراهم الكلام ولتصاحتهم وبلاغتهم، ويقول  
علماء النسب: أن العرب قسمان:  
القسم الأول: العرب العاربة، وهم من ينتمي أصلهم إلى نبي الله هود

عليه السلام، والأنبياء منهم أربعة عرب وأربعة لسانهم أعجمي، فهود وصالح وشعيب ونبي محمد ﷺ هؤلاء من العرب، ومن العرب العاربة قحطان واليمن.

القسم الثاني: العرب المستعربة: وهم أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام؛ لأن إسماعيل عليه السلام لم يكن أصله عربي، لأن إبراهيم عليه السلام ليس عربيًا، وإبراهيم عليه السلام أتى بانه إسماعيل إلى مكة مع أمه هاجر ولم يكن بها أبس ولا حبس، وهاجر من الأمة التي وهبها لإبراهيم عليه السلام الجبار الذي استدعاه لما دخل بلد، فقال أعل هذا البلد للجبار: إن رجلاً معه امرأة من أحمل الناس ولا ينهي أن تكون إلا لك، وهذه المرأة هي سارة، فاستدعاه وسأله عنها.

فعلم إبراهيم عليه السلام أنه إذا قال إنها زوجتي أخذه، فقال: إنها أختي، فأول هذا بأنها أخته في الإسلام، ثم علم أنه سيستدعيها فقال لها: إنه سألني فقلت: إنك أختي فلا تكلميني، أنت أختي في الإسلام، ليس في الناس اليوم مسلم غيري وغيرك، وهي سارة، فاستدعاها وسألهما قالت: أئنا أخته، ومع ذلك مد يده إليها فقبضت يده، فقال: ادعي إليك أن يطلق يدي ولن أتعرض لك، فدعت الله فمدها مرة ثانية فقبضت أئد من الأولى، قال لها مرة أخرى: ادعي إليك أن يطلق يدي ولن أتعرض لك، فدعت الله فمدها مرة ثالثة فقبضت مرة أخرى حتى صار يركض برجله الأرض ورأى الموت، فقالت: اللهم إن يمت بقولون قتله، فقال: ادعي إليك أن يطلق يدي وأخرجك، فدعت الله فأطلقه فصاح: أخرجوها عني إنما جئتموني بشيطان، ثم أعطها الجارية، وكان إبراهيم عليه السلام

يعسلي ويدعو ربه، فلما جاءت سارة استقبلها قائلاً: مهيم؟  
 قالت: أخزاه الله وأخذته ويثدق وإبراهيم عليه السلام لم يأتيه من  
 سارة أولاد وكبر سنه، فوهته اجزية فحملت فعمرت سارة منها، فجاء  
 بها مهاجراً مع أبها وهو برقع، فوضعها في مكان عند البيت وليس  
 عندها أحد ورجع وهي تقول: يا إبراهيم تذهب وتتركنا هاهنا وهو لا  
 يكلمها، فلما رأت أنه لا يكلمها قالت: الله أمرك بهذا؟

قال: نعم، فرجعت وقالت: إن لا يضيع الله، وكان معها قليل من  
 الماء وقليل من الثمر، فالتفتي الماء وجفت ثديها وجاع الصبي وظني  
 حتى كاد يذره الموت وجمعي بشيء فكرهت أن تنظر إليه وهو يمر،  
 فنظرت فإذا أقرب مرتفع إليها هو الصفا، فصعدت الصفا لعلها ترى  
 أحداً، فلم ترى أحداً فترأت متجهة لمرور لعلها ترى أحداً ولعلت هذا  
 سبع مرات، إذا وصلت الوادي سمعت أشداً ما يكون سعياً بكل جهدها،  
 وأخيراً سمعت صوتاً فقالت: نسها: هذه ثم تأكدت من الصوت وقالت:  
 لقد سمعت إن كان عندك صوت فأغث، فنظرت فإذا جبريل عليه السلام  
 عند الصبي فيبحث في الأرض فيبحث زمزم فصارت تحجرها بالتراب،  
 يقول الرسول ﷺ: ترحم الله أم إسماعيل لو تركتها لكانت عيناً مميأة<sup>(١)</sup>  
 ولكنها حجرتها فاحتجر الماء فصارت تشرب من الماء وقال لها: لا تخافي  
 فإن هذا الصبي ميني مع والده بيتاً في هذا المكان، وجاءت محمودة

(١) البخاري ١٨٥١ ٢٢٣ كتاب النساء، باب من رأى أم صاحب النعوس والقرية أحق بمكة  
 وأحمد ١٧١ ٢٢٢ مسند بني علقم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، هذا الألفي  
 صحيح، انظر حديث رقم ٥٨٠٧٩٦ في صحيح الجامع

من الناس من اليمين ومن أسفل مكة فرموا الطير تحوم فوق الماء فقالوا: عهدنا بهذا الوادي لا ماء فيه، فأرسلوا رجلاً ينظر فوجد الماء، فاستأنفوها لينزلوا عندها وكانت تحب الأسن، فقالت: نعم ولكن لا حق لكم في الماء فرهبوا ونزلوا يشربون والماء ليس لهم.

المقصود أن هذا أصل إسماعيل عليه السلام، ثم كبر إسماعيل عليه السلام وتزوج منهم وأنى إبراهيم عليه السلام بعد فترة ينظر إليه ويسلم عليه، ولكنه أنى مرتين فلم يجد، أحدهما لقي زوجته فقال: أين بعلك؟ قالت: ذهب يطلب لنا الصيد، قال: ما طعامكم؟ قالت: الماء واللحم ونحن في شر من العيش لا يرضي. قال لها: إذا جاء بعلك أقرته السلام وقولي له بغير عتبه بابه، فلما جاء إسماعيل عليه السلام وكأنه حس سأل زوجته: هل تأكلن أهدأ؟ قالت: نعم جاعنا شيخ صفته كذا وكذا وفروك السلام ويقول لك غير عتبه بابك. قال: هذا والدي وأنت عتبه باني، اذهبي لأهلك، ثم تزوج بأخرى فصارت أحسن من الأولى، فلما جاء إبراهيم عليه السلام مرة أخرى لم يجد إسماعيل عليه السلام، ولقي زوجته فسألها: أين بعلك؟ قالت: ذهب يطلب لنا الصيد، فسألها عن حالتهم فقالت: نحن بخير ونعم من الله جل وعلا وأنت على الله، فقال لها: إذا جاء بعلك أقرته السلام وقولي له أمسك عتبه بابك، ثم أنى مرة ثالثة ووجد، فاعتنقه وقال له: إن الله أمرني أن أبنى بيتاً هنا، فصاروا يبنون البيت فبذلهم أمرهم الله جل وعلا ببنائه، فهذا أصل العرب لما تزوج كثير الناس منه وصاروا هم أهل البيت وانتشروا في الأرض وصار له ذرية كثيرة وأرسله الله إليهم فهو رسول من رسل الله الذين نصح عليهم في





توقف على النظر في سيرته عليه السلام وحالته التي كان عليها، النظر في أحواله وفي أقواله وفي جهاده وفي دعائه لمسيرته كلها آيات، فيخسر النظر عن الشيء الذي يكون له ويقول له، إذا نظرنا مثلاً بالعقل فهو جاء وحده إلى كفار قريش ولم يكن معه أحد ولم يكن ملكاً أو له دولة بل هم يعرفون أنه نشأ نبياً عليه السلام وكان يرعى لهم الغنم على قراريط يعني دواهم ثم صار يكره اجتماعهم وما كانوا عليه فصار يعزلهم وقد عرف بينهم أنه الأمين حتى إنهم لما فهزمت الكعبة وهم يعظمونها جداً، فجمعوا أموالاً وقالوا: لا يأتي في هذا المال إلا ما هو خلال، نفقة خلال ليس فيها ما هو بقي أو ربا، فصارت قليلة لم يستطيعوا أن يجمعوا الشيء الذي يكفي، فاختزلوا من الكعبة حتى تكفي هذه النفقة، ولكن الشاهد أنهم - أي قريش - تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عدينان وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وبناتل من قريش انضموا إليهم وكان ظهر الكعبة لبني جميع وسهم وكان شق الحجر لبني عبدالمطلب بن قصي ولبنو أسد بن عبدالمزى بن قصي ولبنو عدي بن كعب بن لؤي وهو الحطيم، فلما وصلوا إلى موضع الحجر اختلفوا من الذي يضعه، فكل قبيلة تريد أن تحقق بوضعها فكانوا يقتتلون، ثم اتفقوا فيما بينهم أن أول داخل عليهم المسجد يحكموه في هذا الأمر وأن يرغبون بما حكم به، فكان أول من دخل هو رسول الله عليه السلام وذلك قبل أن يوحى إليه، ففرحوا، وقالوا: الأمين.. الأمين، فحكموه فقال: اتوني بتوب، فجاؤوا بالشوب فأخذ الحجر بنفسه فوضعه في التوب وقال: لأأخذ كل قبيلة بجانب من الشوب فرفعه، فجمعوا، فلما رفعوه وصار موازياً لمكانه أخذه ووضعوه هو

في موضعه ورهبوا بهذا وفرحوا به ونعت الخصومة<sup>(١)</sup> المقصود  
أنهم كانوا يعزونه بالأمانة والصدق، فبأنهم وجدوا إن الله  
أرسلني إليكم بأمر لا تعدوا إلا إياه وإن كنتم على شرككم مسلطين الله  
عليكم ففلكم وأحدث أموالكم وسينزلكم. فهل يقول هذا الكلام  
عاقل وهو ليس معه قوة، ومعنى هذا أنه يعزهم على نفسه بالقتل ومع  
ذلك ما استطاع أحد أن يحرأ عنه وإن كانوا يؤذونه ولكن ما استطاعوا أن  
يدفعوا شيئاً بهذا من الآيات، وفي قصة الأخرياء العربية ومعهم جمل  
صاحبه عاشت أبا جهل بمصر بمأمنه ولا يخطئه حقه، فجاء إلى جماعة  
جلوس معه بقرب الكعبة فشكى إليهم مصابه ويتكلمون به فقالوا انظر  
ذلك الرجل الذي يصلي - بالمقصود الرسول ﷺ - هو الذي يعطيك  
حملك، لأنهم يعرفون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، فذهب إليه  
وقال: أريدك أن تعطيني حلي من فلان فقلت: نعم، فقام وذهب معه،  
فأرسلوا رجلاً ينظر ماذا يصنع، فطرق عليه الباب فخرج فقال: أهلي هذا  
جعله، فأتى نعم، لا أخرج حتى أتبه به، فدخل وجاءه بحقه فمجبوا وقالوا  
إنه أسلمه فبعد ذلك أتى فقالوا له: كيف صنعت ذلك؟ قال: والله لقد  
رأيت رجلاً عظيماً فأمرأاه لو امتلعت للعصا، هذه القصة ذكرها طاروق  
السويدان في بعض أسطره وفتن هذه الشجاعة وهذه كفاً وكذا، فهذه  
ليست شجاعة هذه آيات من آيات الله جل وعلا من آيات النبوة ومع ذلك  
القرآن أعظم من هذا كله، كانوا يصحبون وكانوا يستمعون حتى كانوا  
يتعاقدون ألا يستمع أحد ثم يأتي كل واحد ليستمع، فالمقصود أن الآيات

(١) السيرة النبوية لأبي بكر، سورة من كتابه السيرة النبوية لأبي بكر، السيرة النبوية

التي تعرف به مثل هذا، وكذلك إجابة دعائه وكونه بخير بالأمور الغائبة والمستقبل والماضية وهو شيء لا يعرفونه وهو أيضاً ليس عنده علم سابق ولم يتعلم ولم يقرأ ولم يكتب، ثم كذلك كونه بأمر الشيء مثل الشجرة فتأتي والحجر يسلم عليه بقوله السلام عليك يا رسول الله<sup>(١)</sup>، والطعام القليل يتكاثر كما في غزوة الخندق، فإِنَّهُ كَانَ حَفَرٌ مَعَهُمْ وَكَانَ قَدْ رَمَى عَلَى يَمِينِهِ حِجْرًا مِنَ الْجَوْعِ، فَشَاعَدَ ذَلِكَ جَابِرٌ مِنْ عِبَادَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: لَا صَبْرَ عَلَى هَذَا، فَاِسْتَأْذَنَهُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ يَأْذَنْ لِي أَذْهَبَ إِلَى بَيْتِي فَقَالَ: نَعَمْ، وَهُوَ يَرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى الْبَيْتِ لِيَنْظُرَ هَلْ عَنْدهُ شَيْءٌ أَوْ لَا، فَذَهَبَ وَقَالَ لِمَرْجُوتِهِ: هَلْ عَنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدَنَا صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَعِنْدَنَا بَيْهَمَةٌ صَغِيرَةٌ، فَذَبَحَ الْبَيْهَمَةَ وَقَالَ: اطْحَنُوا الشَّعِيرَ وَسَوْفَ أَدْعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً مَعَهُ لِهَذَا يَكْتُفِيهِمْ، فَذَهَبَ وَأَخْبَرَ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: إِنْ عِنْدِي بَيْهَمَةٌ وَعِنْدِي صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَقَدْ أَمَرْتُ أَهْلِي أَنْ يَطْحَنُوهُ وَقَدْ ذُبِحَتِ الْبَيْهَمَةُ وَأُرِيدُكَ أَنْ تَذْهَبَ أَنْتَ وَاتَيْنِ مَعَكَ، فَأَمَرَ ﷺ أَنْ يَنَادِيَ فِي النَّاسِ إِنْ جَابِرٌ يَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَكَانَ حَبَشًا فَرَايَةَ السَّيِّعَةَ رَجُلًا، فَذَهَبَ جَابِرٌ مُسْرِعًا إِلَى أَهْلِهِ وَقَالَ لِمَرْجُوتِهِ: أَنَاكُم رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ، كَانَتِ الزَّوْجَةُ عَائِلَةً، قَالَتْ: هَلْ أَخْبَرْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا عَلَيْكَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ ﷺ وَقَالَ: لَا تَحْزَنُوا حَتَّى آتِيَكُمْ، فَتُفَلِّ فِي الْمَجِينِ وَفِي الْبِرْمَةِ الَّتِي فِيهَا اللَّحْمُ ثُمَّ قَالَ: اخْبِرُوا، فَصَارُوا يَخْبِرُونَ وَيَقْدُمُونَ لِلنَّاسِ، كُلُّ عَشْرَةٍ وَجَدُوا مَعَهُ حَتَّى شَبِعُوا كُلَّهُمْ عَنْ

(١) رَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ (٢٩٧٦) كِتَابُ الْفِتَنِ، بِابْنِ لُغَيْلٍ نَسَبَ النَّبِيَّ ﷺ وَتَسْلِيمَ الْحِجْرَ عَلَيْهِ قَبْلَ الْمَوْتِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

آخره وفي كما كان وكنت له بآدمه شيء<sup>١١١</sup>، فلا يمكن أن يكون هذا  
في مقهور الشراعية

وكذلك قصة أبي هريرة رضي الله عنه التي في الصحيحين يقول  
كنت أأرم رسول الله ﷺ على شبع خض - وكان من الثغراء من أهل  
الصفحة - يقول: خير علي يوم أو يومين لم أكل شيئاً، فخرجت أنظره  
للناس لعمري، فمر علي أبو بكر رضي الله عنه، فدائه عن قبة  
وثب مقصودي إلا أن يطل لي بدعوني، ونكة ما فطن ومضى ثم مر  
عمر رضي الله عنه كذلك، وأتى رسول الله ﷺ فلما رأني ضحك فقال:  
«أيا هره»، قلت: إليك رسول الله - قال: «البحني» فبعثه، فلما وصل إلى بيته  
قال: «أهل عندكم شيء؟» قالوا: «نعم» لما أعدي لنا، فقال لي: «أيا هره»  
قلت: إليك يا رسول الله، قال: «الغيب» ادعوا أهل الصفحة قلت لي نفسي:  
أن أحق بهذا النبي، وماذا يعمل بأهل الصفحة هذا اثنين - وأهل الصفحة  
سبعين رجلاً أو أكثر - وإذا جئت سوف يقول لي: استهم، فأكون أنا  
الأخير ولا يكون لي شيء، يقول: فلما جازوا وأحمدهم محالهم، قال  
لي: «أيا هره، استم القوم»، فصررت أمشي به عليهم وكل واحد يشرب  
ما عنده الثاني، حتى انتهوا من شربهم، عند ذلك قال: «أيا هره، بليت أنت  
وأنا» قلت: صدقت يا رسول الله، فقال لي: «اشرب» فشربت، ثم قال لي:  
«اشرب» فشربته، ثم قال لي: «اشرب» فقلت له: يا رسول الله، والله لا

(١١١) البصري (١١١) قال المصنف: بعد هروم الضحك، وفي الأعراف: «استم القوم»

(١١٢) لا تتركه لي في مكة فلهذه من حسنة جازي من صدقة رضي الله عنها

أجد له مساعداً، عند ذلك قال لي: «الربيه» فأخذه فشربه وهو كما هو<sup>(١٤)</sup>، وهذا كثير جداً ولكن يحتاج الإنسان أن يفكر في سورة النبي ﷺ فيعرف أنه رسول الله ﷺ، ولكن الشبح رحمه الله أراد من هذا أنك تعرف الله ثم تبحث عن الآيات التي تدل على أنه رسول من ﷺ.

\* \* \*

وَلَهُ مِنَ الْعَشْرِ ثَلَاثٌ وَبِشْرُونَ سَنَةً، بَيْنَهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ.

**الشرح:**

يعني أنه لما توفي كان له ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة، لأنه أثناء الوحي بعدما بلغ أربعين سنة وكان قبل ذلك قد أتته ما عليه قومه، فخالفهم وابتعد عنهم لأنهم كانوا يعملون أعمالاً خلاف الفطرة التي فطر الله عليها الناس.

\* \* \*

وَتَلَاثٌ وَبِشْرُونَ فِي النَّبُوَّةِ.

**الشرح:**

عنها ثلاثة عشر قضاها في مكة وعشر سنوات في المدينة، واجتمعت له النبوة والمرسلات، وكل رسول نبي وليس كل نبي يكون رسولاً، لأن النبي هو الذي ينبت بالخير من السماء، وخير السماء قد يأتي إلى نبي مع قوم مؤمنين، والرسول لابد أن يرسل إلى قوم كافرين، وهذا هو الفرق بين النبي والرسول، والأنبياء في بني إسرائيل كثيرون جداً، وتوضح هذا في

(١٤) البخاري (١٦٥٢١) كتاب الرقاق باب كيف كان عيسى ﷺ وأصحابه وتخليطهم من الدابة.

ذكره البيهقي في السنن الكبرى (١٣٦٠) باب الملائكة في المصحف.

الأنوار التي كانت في رسول الله ﷺ.

ثم قال: ﴿قَالَ﴾، وَأَرْسِلْهُ ﴿قَالَ﴾.

### الشرح

يعني أنه لما كان يعزّل قومه وكان يفرّد في عار حراء في جبل أسفل  
مكة وكان يأخذ معه راقداً وسقى فيه أياً ما حتى ينهي الراد ثم يرجع إلى  
أهله. وهذا بعد ما نروح حقيقة رضى الله عنها وحدها بها بعض الأولاد،  
فصب إليه الخلافة لشغفه في مخلوقاته الله، فعاده خيريل عليه السلام،  
في صورة رجل وهو في هذا العار قصده صفة شديدة ثم أرسله، وهذا  
هيئة التمثيل ما سيلقى إليه، فلما أرسله قال له: ﴿قَالَ﴾، فقال: كنت  
مقارن، يعني ما أحسن المرافقة، فقصه مرة ثانية وكانت أشد من الأولى ثم  
أرسله وقال له: اقرأ، فقال: كنت مقارن، ثم قصه أشد من الأولتين ثم  
أرسله وقال له: ﴿قَالَ﴾، وَأَرْسِلْهُ إِلَى جَلِّ ﴿قَالَ﴾، وَأَرْسِلْهُ إِلَى جَلِّ ﴿قَالَ﴾،  
أَلَا أُرِيدُ بِأَلْفِ ﴿قَالَ﴾، وَأَرْسِلْهُ إِلَى جَلِّ ﴿قَالَ﴾، وَأَرْسِلْهُ إِلَى جَلِّ ﴿قَالَ﴾،  
والم برء على هذه الآيات، فحفظها ولكنه عاف عروفاً شديداً وجاء إلى  
أهله ترخف من انصاف من الحروف، فلما: «فتروني» - يعني فطروني - لأن  
الطائف إذا غطى بهداً ثم أحرر روحه بأنه مخالف على نفسه، أي أنه  
بخشى أن يكون شيطاناً أوجيهاً، ففازت. لا والله لا يخزيك الله أبداً، فإنك  
تكره العيب وتعين على توابه الدعاء، فاستندت بألفاظه وصفاته على

أنه لا يثاق البشر، ثم أخذته إلى ورفقة من نزل وهو من شعبها وله صلة  
 برسول الله ﷺ وكان رجل كبير وقد نظف وقرأ الكتب الشريعة والتوراة والإنجيل،  
 فحاضرت إليه وقالت: هذا من عندك سيديك فقلت: ما رأي شخصك، فأخبره  
 الرسول ﷺ بما جرى، فقال له: هذا السامع من بني كاد يأتي موسى عليه  
 السلام - يعني جبريل - ليخبره به، إن يدركني أمرك لأبصر بك مصراً  
 مؤزراً، وسبح ربك فومك. قال: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، ما أنى  
 أحد بمثل ما أثبت به إلا عودي، ثم توقف عن الرجوع، وهذا اختلاف  
 العلماء كم الوقت الذي توقف فيه؟

منهم من يقول ستة أشهر، ومنهم من يقول سنتين، وفي هذه الحالة  
 كان نبياً لأن هذه الآيات ليس فيها أمر بأن ينقر، وإنما أمر فقط بتطراذه  
 ﴿تَقْرَأُ بِآيِهِ رَبِّكَ الَّذِي عَلَّمَكَ﴾ (التقوى ١) وهذا وحسب، ثم بعد هذه الفترة كان  
 يشتاق إلى أن يأتيه جبريل عليه السلام ليعرف أنه الحق وكان يحزن  
 كثيراً لأنه لا يأتيه حتى كان يهو أنه يتردى من جبل أو ما أشبه ذلك، فكفنا  
 اشتد به الأمر فاداه جبريل عليه السلام به فحمد أثبت سي الله، ثم سمعه  
 يخاطبه فالتفت بعيناً وشمالاً وخلفه فلم يرى شيئاً فرجع رأسه فإذا هو بين  
 السماء والأرض وقد سد الأفق وكان على صورته الحقيقية وله أكثر من  
 ستمائة جناح، فارتفع أيضاً في هذه المرة أشد من الأولى، فجاء إلى أهله  
 وقال: ازلطوني، ازلطوني، فجاء جبريل عليه السلام بالوحي من الله

(١) البخاري (١٩٦٦) كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، من حديث جابر عن عبد الله  
 رضي الله عنه، مسلم (١٩٠٤) كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله، من حديث  
 عائشة رضي الله عنها.

فَإِذَا تَوَلَّى سَاحِلَهُ لَبِثْتُ فِيهِ يَوْمًا مَكِينًا ۖ ذَاتَ يَمِينٍ ۖ قَوِيًّا ۖ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهِ مَقْرَصَ ۖ فَذَاتَ بَيْتٍ يُبْدِلُ الْيَوْمَ بِالْغَدِ وَلَا حَسَابَ ۖ وَلَا يَدْرَأُ عَنْ الْفِتَنِ مَتَى يُفْجَعُ فِيهَا عِصْيَانٌ ۚ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّكِيدُونَ ۚ

فَإِذَا تَوَلَّى سَاحِلَهُ لَبِثْتُ فِيهِ يَوْمًا مَكِينًا ۖ ذَاتَ يَمِينٍ ۖ قَوِيًّا ۖ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهِ مَقْرَصَ ۖ فَذَاتَ بَيْتٍ يُبْدِلُ الْيَوْمَ بِالْغَدِ وَلَا حَسَابَ ۖ وَلَا يَدْرَأُ عَنْ الْفِتَنِ مَتَى يُفْجَعُ فِيهَا عِصْيَانٌ ۚ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّكِيدُونَ ۚ

وَالْمَدِينَةُ هِيَ الَّتِي نَعُطِّي مَدَائِرَهُ وَهِيَ الْمَقَرَّةُ وَفَوَلَا ۖ قَوْمًا يَنْبُتُ ۖ يَكْتَلِبُ

الآن مَدَائِرَهُ وَحَسَارَ رَسُولًا ۖ فَصَدَّ بِهِ عَوَالِمُ سِرٍّ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فَيَدْخُلُ

الرَّاحِلَ وَالرَّاحِلِينَ عَلَى حُجُوفِ مِنَ الْمَاءِ ۖ وَفِي صَبِيحِ مَسْجِدٍ عَنِ عَمْرِ بْنِ

عَسَاةٍ السُّعْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ فِي الْمَدِينَةِ أَرَى النَّاسَ لِيَسُو عَلَى

عَنِي ۖ وَهَذَا مَقَرُّ الْإِسْلَامِ ۖ كُلُّ كَاتِبٍ كَاتِبُونَ فِي الْمَدِينَةِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ لِيَسُو

عَلَى شَيْءٍ مِنَ عِبَادَةِ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ ۖ وَالْعُلُوفِ ۖ نَدَّحَ هَذَا الشَّيْءَ ۖ وَتَأْتِيهِ مِنَ

عِبَادَةِ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ ۖ وَدَعَاَهَا وَهِيَ لَا تَسْمَعُ وَلَا تَصِفُ ۖ يَقُولُ ۖ كُنْتُ

أَذْهَبُ إِلَى مَوَارِدِ الْمَاءِ وَالنَّاسِ عَلَى مِنْ خَيْرٍ ؟

وَمِنْ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ قَبْلِ مَكَّةَ فَقُلْتُ ۖ هَلْ مِنْ خَيْرٍ ؟

قَالُوا ۖ بَعْدَ ۖ هَلْ يَجِيءُ حَرُّ السَّهَاءِ ۖ فَرَكِبَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ ۖ

يَقُولُ ۖ فَلَمَّا أَتَيْتُ مَكَّةَ وَحَدَّثْتُ النَّاسَ عَلَيْهِ بَرَاءً ۖ يَعْنِي مُعَادُونَ لَهُ وَيُرِيدُونَ

أُذَيْنَهُ ۖ وَكَانَ مَحْبُتًا فِي بَيْتِ نِسَاءٍ الْأَرَفِيَّةِ ۖ يَقُولُ ۖ فَطَلَعْتُ ۖ أَيَّ سَائِلَةٍ بِخَفِيَّةٍ

ۖ وَصَحْتُ حَتَّى وَصَفْتُ إِلَيْهِ ۖ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ ۖ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ ۖ أَنَا نِسِي ۖ

فُلْتُ ۖ وَمَا نِسِي ؟ فَقَالَ ۖ أُرْسِلُنِي إِلَيْكَ ۖ فُلْتُ ۖ وَبَعَا أُرْسِلُكَ ؟ قَالَ ۖ أُرْسِلُنِي

بِعَادَتِهِ وَجِدَهُ وَيَكْتُمُ الْأَحْصَامَ وَحِيلَةَ الْأَرْحَامِ ۖ فُلْتُ ۖ هَلْ مَعَكَ عَلَى هَذَا

أَحَدٌ ؟ فَقَالَ ۖ مَعِيَ حُرٌّ وَجِدَ ۖ وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ۖ فُلْتُ ۖ إِنِّي

مُتَبَعٌ ۖ قَالَ ۖ لَا تَسْتَطِيعُ ۖ إِلَّا تَرَى مَا أَنَا فِيهِ ۖ وَلَكِنْ أَذْهَبُ إِلَى قَوْمِكَ فَإِذَا

سَمِعْتُ مِنْ فِدَى عَرَجْتُ فَأَتَنِي ۖ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَدْ أَسْلَمَ ۖ فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ

خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَهَاجِرًا ۖ دَعَا إِلَيْهِ فَقَالَ ۖ تَعْرِفُنِي ؟ قَالَ ۖ نَعَمْ ۖ أَنْتَ الَّذِي



أنبيى بمكة<sup>(١)</sup>

المقصود أنه أول من آمن به ووجه حديثنا أبو بكر ثم بلال رضي الله عنهم، وكان بلال مملوكاً وكان سيده بعدد الله أسلم فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه، والمقصود أنه بهذه الآيات أرسل ولهذا قال النبي ﷺ يعني صار نبياً لهما جاءه الوحي، والآيات الأولى من سورة اقرأ هي أول ما نزل من القرآن، وما جاء في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال: أول ما نزل المصحف يحصل عن أول ما نزل في تكليم النبي ﷺ أن يكون وصلاً، وأول المصحف نزل بعد فراقه وكان بينهما فترة. وقوله: فولد رسول بـ ﴿التفريق﴾ يعني تلف بالرسالة وهي إبلاغ الناس.

• • •

وَبَلَدٌ مَكَّةُ.

**الشرح**

وهذا من باب المعرفة، أي كونك تعرف من أي بلد نبيك، وأنه من أهل مكة وعاش فيها كما عاش غيره هناك. ثم هاجر إلى المدينة، والهجرة هي هجر المعاصي وهجر ما نهى الله عنه وهي كذلك هجر البلد الذي يكون حكم الكفر فيه ظاهراً والحكم للكفر فيه إلى البلد الذي يكون الحكم فيه للإسلام، والهجرة بافية كما سيأتي إلى أن تطلع المؤمن من مغربها.

• • •

(١) إسلام (١٨٣٠) كتاب صلاة المسافرين والمعرفة باب إسلام عمرو بن عبد الله قال الشيخ الألباني الصحيح، إلا الجملة الأخيرة منه

بَنَى اللَّهُ بِالْقَارَةِ عَنِ الشَّرْكِ، وَيَذْهَبُ إِلَى التَّوْحِيدِ.

الشرح:

يعني بَنَى الله بِنَدْرِ الدِّينِ، وَالْمَدَارَةِ هِيَ الْإِعْلَامُ بِالشَّيْءِ، أَنَّهُمْ مَعَ التَّخَوُّفِ، وَهِيَ عِدَّةُ الشَّكَاةِ وَتَذَلُّهَا، فَهُوَ بِدْرِ شَيْءٍ عَنِ مَعْنَى اللَّهِ، وَمِنْ أَعْضَادِ الشَّرْكِ، وَكَذَلِكَ بِدْرِ شَيْءٍ مَعْنَى يَطْلُ عَنِ وَبِوَحْدَةِ اللَّهِ فَهُوَ تَدْبِيرٌ وَشَيْءٌ، بِدْرِ الْعَصَاةِ وَالْكَفَرِ وَشَيْءٌ لَمْ أَطْلَعُ مَا نَعَى أَنَّهُ يَسْعَدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ يَذْهَبُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَطَاعَةِ اللَّهِ وَالْأَحْيَاءِ الْفَاضِلَةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ أَمْرِ الْمَحْمُودَةِ.

• • •

وَالَّذِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ تَدْعُو لَدُونِ اللَّهِ فَتَحْكُمُ بِهِمْ﴾ (١٧٠) وَمَنْ

تَقَرَّرَ: ﴿وَلَا تَحْكُمُ بِهِمْ إِلَّا بِمَا هُوَ مُخْبَرٌ بِهِ﴾ (١٧١) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧٢) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧٣).

وَمَنْ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ تَدْعُو لَدُونِ اللَّهِ فَتَحْكُمُ بِهِمْ﴾ (١٧٠) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧١) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧٢) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧٣).

الشرح:

قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ تَدْعُو لَدُونِ اللَّهِ فَتَحْكُمُ بِهِمْ﴾ (١٧٠) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧١) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧٢) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧٣).  
اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، دَلَّ الْأَمْرَ بِالتَّحْكُمِ مِنْ عِبَارَةِ عَنِ الْحُكْمِ فِي ذَلِكَ وَالْقَوْلِ فِيهِ وَلَا يَحْكُمُ فِي ذَلِكَ، وَتَقَرَّرَ بِذَلِكَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا.

• • •

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ تَدْعُو لَدُونِ اللَّهِ فَتَحْكُمُ بِهِمْ﴾ (١٧٠) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧١) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧٢) وَبِذَلِكَ فَتَحْكُمُ بِهِمْ (١٧٣).

الشرح:

وَتَعْقِبُهُ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، وَالتَّعْظِيمُ يَكُونُ بِالْفِعْلِ وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى ذَلِكَ وَالتَّحْدِيدِ عَنْ وَبَيَانِ عَظَمَتِهِ جَلَّ وَعَلَا.

• • •

﴿وَيَذَرُكَ﴾ : أي: يظهر أشغالك عن الشُّرك

الشرح:

أي يظهر أعمالك عن انغماسي، ويدخل به تنقية القلب أيضاً لأن المسلم يؤمر بالطهارة طاهراً وباطناً، لطهارة الظاهر أن يكون بدنه وثيابه طاهراً، ولهذا صار هذا شرطاً لصحة الصلاة، وطهارة الباطن أن تكون نيته وأعماله لوجه الله جل وعلا وألا يقصد بها غيره ولا يعصي الله جل وعلا في سمعه أو نظره أو في يده أو في رجليه أو في قلبه وغير ذلك، وهذا أعظم الطهارتين.

• • •

﴿وَالزَّيْرُ مَعْزِرٌ﴾: الزَّيْرُ: الأضنام، وَغَيْرُهَا: تَرَثُهَا، وَالزَّيْرَةُ: بنتها وَأَقْلَبُهَا.

الشرح:

مع بغضها وعداوتها ولا بد من ذلك، ومجرها يقتضي أنه لا يكون مع أهلها ولا يكون حولها إلا إذا جاء لتكسبها وتقال أهلها.

• • •

أَخَذَ حَتَّىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَذْهَبُ إِلَى الْتَوَجُّدِ،

الشرح:

ومعناه أنه لم يؤمر بالصلاة ولا بصوم ولا بركعة في عدة العشر سنوات هذه، وإنما أمر بعبادة الله وحده، ومعلوم أن الصلاة من أعظم العبادات التي أمر الله جل وعلا بهاء وتأخذ من هذا أنه لا بد أن تستقر عبادة الله في الإنسان ويكون مغلباً فيه ثم تأتي الأعمال وتبنى عليه، ولا يخالف

هذا المنهج الإنسان الذي يبدأ الناس بالخلق والمعاشرة الطيبة ويتركهم  
يقعون في الشراكيات وفي الأمور التي تظلم الأعمال، فهذا دليل على عدم  
الفقه وعدم معرفة سيرة النبي ﷺ وما بعث به

• • •

وَيَتَذَكَّرُ الْغُفَرُ فَيُخْرِجُ بِهِ إِلَى الشَّيَابِ. وَفَرَضْتُ عَلَيْهِ الْمَلَكُوتَ الْخَفِيُّ.

الشرح:

المخرج: هو الصعود خوف، والمخرج صار من بيت المقدس لأنه  
أمرني به أولاً ثم خرج به من هناك، وهذا لا يصدق به إلا الذين يؤمنون  
بأنهار الرسيمين ﷺ وإلا كثير من الناس يقولون هذا لا تعرفه، كيف يصعد  
إنسان إلى السماء بلا مدد؟

ثم تر الصعود إلى السماء، مسافة ليست كثيرة ينقطع الأكسجين  
فيخلق الإنسان ويحوت سرعة، فهم يظنون إلى الأمور المادية التي  
يدركونها ثم ينون عليها كل شيء ويكدون الأحرار التي تأتي من هذا  
القبيل، ولهذا يقول فريد وجدي في دائرة المعارف التي سماها دائرة  
معارف الشباب وهي مشفرة، فلما جاء إلى مادة خرج قال: هذا لا يعقل  
ولا يمكن أن يقع. هذا وهو مسلم، ولكنه يأخذ عن الأوروبيين الكفار، ثم  
لما جاء إلى مادة إسرائ قال: هذا يمكن لأن علماء الغرب قرروا انتقال  
الأرواح من مكان إلى آخر، فاستدل بقول علماء الغرب، ولقد بين الرسول  
ﷺ أن جبريل عليه السلام أتاه معه البراق وهو دابة شبه القوس يضع  
حافره عند منكبي طرفه، فركبه حتى وصل إلى منك واجتمع الرسل له  
فصلى بهم، واجتماعهم كان اجتماع كرواحهم، ثم أتى بالمعراج والله

أعلم ما هو المصراع؟ فخرج به، والسماء ارتفاعها هائل جداً، فجاء التقصير بأية مسيرة عظيمة من بين السماء والسماء وكذلك من سماء إلى سماء، وجاء في حديث آخر سبعمائة سنة، وهي مسافة ليست بسيطة، وإن كان بعضهم جاء بأقل من هذا.

المقصود أن المسافات بعيدة جداً ثم هي ليلة واحدة يصعد السموات كلها ويلقي بالرسول، وكان رسولاً يسلم عليه في منزله، ولقائه بهم في الأرض غير لقائه بهم في السماء، فلما ذهب بهم في السماء في منازلهم وأرواحهم أما أبدانهم فهي في القبور. وقد مر على موسى عليه السلام في قبره وهو يصلي في قبره وهذا من النبي الذي جزاه الله جل وعلا به وإلا فهو ليس مكلفاً بالصلاة ولكن الصلاة هي فريضة عبودية الموحدين فأنعم الله جل وعلا عليهم بذلك، ثم لقى في السماء السابعة في الرواية التي جاءت في الصحيح بفضل تكليم الله به، ولما صعد قوله بكن قليل له: ما الذي يكتيك؟ قال: هذا غلام بعث بعدي وينبئ من الناس أكثر مما أتبعني، فلما رآه سأل: ماذا فرمى لك عليك؟ قال: تحسبن صلاة في كل يوم وليلة، فقال: أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمك ضعفاء في أبدانهم وأجسادهم، وقد عالجت بني إسرائيل بما هو أقل من هذا فما استطاعوا، فأنفت إلى جبريل عليه السلام يستشير، فقال: نعم، فراجع فحط عشراً، فأتى إلى موسى عليه السلام فقال: كم فرضي عليك؟ قال: أربعون صلاة قال: أراجع فاسأل ربك التخفيف، فعاد يتردد بين موسى عليه السلام وبين الملاك الذي كلمه الله فيه إلى أن صارت خمس، فلما صارت خمس قال له موسى عليه السلام: أراجع



وَضَلُّوا فِي تَكْفُفٍ ثَلَاثَ مِائَتِينَ، وَتَقَفْنَا أَيْزًا بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ،

الشَّوْحُ:

بعضي ثلاثة عشر سنة في مكة، فلما توفي عمه أبو طالب الذي كان يحوطه ويحميه، وإن كانت هذه غصبات، ولكن بعض الغصبات قد تُحمد أحياناً، ولهذا من حنة الله جل وعلا في التحقُّق أنه لم يرسل رسولاً إلا في عزة من قومه، يعني أن قبيلة تحببه وتحوطه، ولهذا قال قوم شعيب عليه السلام: ﴿وَلَوْلَا رِقْدُكَ لَرَحِمْنَا قَوْمًا لَمْ نَكُنْ بِأَعْيُنِنَا فَبَرِّزْ﴾ (أمر: ١٩١). ورِقْدُكَ يعني قبيلتك التي تحببت وتحوطك، إلا لو لم عليه السلام فإنه ما كان له قبيلة في قومه، ولهذا قال: ﴿لَوْ أَنِّي بَكِّمُ قَوْمًا لَوْ دَاوَيْتُ إِلَى رَأْيِي شَكِيهِمْ﴾ (أمر: ١٨٠). وهذا لما اشتد الأمر عليه وهذا في آخر ما كان لهم من البلاء، لما قرب عذابهم، لأن الله جل وعلا ابتلاهم لاجتماعهم بدعة لم يسبقهم بها أحد، فكانوا يأتون الذكران من العالمين، فسوا هذه السنة الخيبة القلوة، وكانوا يظلمون إلى من يأتيهم، ومن تمام البلاء أن الملائكة الذين جازوا لتعذيبهم جازوا بصورة شهاب حسان لوجوههم، فلما رأوهم أرادوهم، فصار يحاول أن يحول بينهم وبين صيروه حتى اشتد الأمر، فعرض بئانه لزوجهم إيمان ولكنهم لم يؤمنوا فقال: ﴿لَوْ أَنِّي بَكِّمُ قَوْمًا لَوْ دَاوَيْتُ إِلَى رَأْيِي شَكِيهِمْ﴾ (أمر: ١٨٠). يقول الرسول ﷺ: فرحمه الله، فقد كان

بأولي الركن شديد <sup>١</sup> لا يأتى إلى الله، فلما رأى حريق عليه السلام ما فيه قال له: لا تحزن قلن بهنوا بآيتك، فطمس وجوههم بقرط حناجه فعدت أصدارهم.

والمقصود أن حصة عنه نه ليس تكونه رسول وإنما هو أمر طبيعي من باب التعصية، وتوفيت زوجته خديجة واشتد أذى المشركين عليه وكثر المصلوبون وصاروا يدخلون في الدين بكثرة، فاشتد أذى الكفار عبيد خوفًا من أن يكفروا ويكثروا بهم ويأخذون بلذتهم وهم متمسكون بشركهم، وأكثر ما حال بينهم وبين طاعته هو تعظيم أجدادهم وآبائهم لأنه لما أمرهم بترك الأصنام وصفه أعلام من يجد شجرًا والحجر، قالوا هذا تناقص لأبائنا ولا نترك دين آبائنا، فهذه كانت حجتهم بأنهم وجدوا آباءهم على دين وأنهم يتمسكون به وعد، هي حجة الكفار كلهم كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿مَا هَذِهِ إِلَّا أَنْتُمْ أَنْتُمْ عَلَىٰ عُرُوشِكُمْ ۖ قُلُوا وَمَعَكُمْ نَارًا فَإِنَّهَا تَبُورُ ۚ﴾ (البقرة: ١٧٣)، وهي حجة التقليد وتعظيم الأبناء.

المقصود أنهم اشتد أذيتهم فعانوا أن يقتلوا رسول الله ﷺ أو يحبسوه ويسجنوه أو يخرجوه، فاجتمعوا في دار الندوة ليتشاورون فيما بينهم، وجاءهم الشيطان في صورة شيخ وهم أرادوا أن يكون الاجتماع سرًا ولا يحضر أحد من غير الكبر، فلما عرفوا لهم هذا الشيخ وهو غير

(١) البخاري (٢٤١٦٩) كتاب المصنفات والآيات، باب قوله من رجل: ﴿وَيَقْتُلُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (٢٤١٦٩) كتاب الإيمان، باب زيادة طائفة القلوب بظواهر الآيات، من

في تكملة خير، (٢٤١٦٩) كتاب الإيمان، باب زيادة طائفة القلوب بظواهر الآيات، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



معروف عندهم أنكروه وقالوا له ما الذي جاء بك، فقال لهم: أنا شيخ من أهل نجد سمعت باجتماعكم ولئن تعدوا مني رأياً، فلما قال لهم هذا القول أقنوا له بالدخول معهم وصاروا كلما قالوا قولاً قال: ليس هذا لكم برأي، قالوا: فربطه؟ قال: ليس هذا لكم برأي، لأن كلامه يخرج من وراء الجدران والباب، ألا ترون خلاوته وظلاوته، فهو مثل السحر، ولكن انظروا رأياً آخر، فقالوا: نخرجه؟ فقال: ليس هذا لكم برأي، فإذا أخرجهتموه يوشك أن تحبه العرب فيأتون إليكم ويقتلونكم، قالوا: صدقت، فقال رجل منهم: إن عندي رأياً ما أراكم وقتتم عليه، قالوا: ما هو؟

قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة رجلاً قوياً وتعطي سيفاً ثم يضربونه ضربة واحدة، فيعرق دمه في القبايل، فتروى بنو عبدالمطلب منكم بالدية، فقال: هذا هو الرأي، فأينهم بهذا وتعرفوا على هذا الشيء واتقنوا عليه<sup>(١)</sup>، فبجاءه الوحي من الله جل وعلا وأنها بيتونه في بيته، فأمره الله جل وعلا ألا يبيت في مناة تلك الليلة، والله قادر على كل شيء، ولكن لا سنة في خلقه لا تتغير، فأمر النبي ﷺ علي رضي الله عنه أن يبيت مكانه وقال له: لن يثلك أذى، وكانوا يشاهدون من الباب فيرونه متلحفاً بغطاء وهم ياتون عند الباب حتى يخرج إليهم ولم يدخلوا عليه، فخرج من الباب وهم على الباب وصار يأخذ ثوباً من الأرض ويغده على رؤوسهم ويقول: ﴿وَيَحْلِلُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ مَكَنَّاكُمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ سَدًّا فَأَعْيَشَتْهُمْ فَنَهْمٌ لَا

(١) انظر أسيرة ابن هشام، ١/١١٢٧-١١٢٨، انظر المحرر، ١/٢٩١، وقد مره السوطي أن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في مثله لا نقل من ابن عباس رضي الله عنهما.

يُخَيَّرُونَ<sup>(١١٠)</sup> إِبْرَ ١٤. وَحَرَجَ فِيمَا صَحَّ عَلَيَّ رَحِمِي اللَّهِ عَنْ وَحَرَجَ قَالُوا: ابْنُ  
مُحَمَّدٍ؟

قَالَ: حَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَعْيُنِكُمْ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ<sup>(١١١)</sup>.  
وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ حَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَقَدْ طَفِيَ فِيهَا ثَلَاثَ عَشَرَ سَنَةً يَدْعُو لِي  
النَّبِيَّ مُحَمَّدَ

### وَالهَجْرَةُ الْأَيْقَانُ مِنْ بَلَدِ الشَّرْكَ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ

#### الشرح:

وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْهَجْرَةِ أَنَّهُ يَهْجُرُ الْإِسْلَامَ بَعْدَهُ وَمَالَهُ وَأَهْلَهُ فَهُ جَلَّ  
وَعَلَا وَيَدْعُو لِعَصْرَةِ فِيهِ وَأَهْلِيهِ وَلِمُسَاعَدَةِ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي  
بَلَدِ الْحَكَمِ لِهَيْبِهِ، فَالْهَجْرَةُ هُنا مِنْ عَلَى كَأَنَّ مِنْ يَسْتَطِيعُ، فَلَمَّا فَتَحَتْ مَكَّةَ  
فَإِنَّ الرِّسُولَ ﷺ: لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيَّةٌ<sup>(١١٢)</sup>.  
وَالْمَقْصُودُ لَا هَجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ، وَيَقُولُ الْعُلَمَاءُ: هَذَا فِيهِ بَشَارَةٌ أَنَّ مَكَّةَ

(١١٠) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَرَجٍ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ، انظر التلوة السنية الصعبة للذكوي  
الترمذي، ص ١١٥ (٢٧١٦)، و انظر "البيان" د.س. ص ١١ (٢٢٢٨)، وقوله ابن كثير  
والطبري في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْتَظِرُوا أَهْلَ الْبَيْتِ كَمَا أَنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ﴾ بِكَتْفَةٍ لَمْ  
يُفْهَمُوا وَبِذَلِكَ تَنْتَظِرُوا أَهْلَ الْبَيْتِ النَّبِيِّينَ ﷺ (١١٤) الْأَحَادِ ٢٠. وَكَذَلِكَ تَقَرَّرَ عِدَّةً زَائِلَةً  
فِي مَقْعَدِ (١١٤) (٢٢٤١)

(١١٢) الترمذي (٢٧٠٢٢) كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، من حديث ابن عباس  
رحمهما الله، والمستند (١١٤٦٦) كتاب الإمامة باب القيادة بعد فتح مكة على الإسلام  
والجهاد والسير، من حديث عائشة رضي الله عنها، قال الألباني: "صحيح"، انظر حديث رقم  
(١١٥٦٢) في "صحيح الجامع".

سوف تبقى على الإسلام إلى قيام الساعة، والهجرة نوعان:

النوع الأول: هجرة انتقال البدن من مكان إلى آخر

النوع الثاني: هجرة انتقال القلب، وهي أن تهجر قلبك إلى ربك مع

رسولك ﷺ بقطاع الله جل وعلا وإخلاص العمل له وحبوه ورجاؤه،

وهما فرض على كل مسلم.

• • •

والهجرة فريضة على عبدة الأئمة من بنية الشراك إلى بنية الإسلام.

الشرح:

يعني أنها واجبة وفريضة لا بد منه وهي فيما إذا خاف الإنسان على

دينه ولا يستطيع أن يقوم بالدين، فإذا وجد من يوعظه ويصعده من ممارسة

شعائر الدين كالصلاة والصوم وغيرها وجب عليه أن يفرق هذا المكان

وإن لم يفعل فهو متوعد بالنار.

قبل أن يأمر الله جل وعلا رسوله ﷺ بالخروج من مكة والهجرة كان

الرسول ﷺ ينتظر ذلك، وكان أبو بكر رضي الله عنه يسأله الصعبة وقد

أعد الرواحل لذلك، فخرج واستخفى في غار حراء ثلاثة أيام وقد جاء

الكفار ومعهم القادة الذين يعرفون الأثر، فجمعوا إلى الغار واستنصروا

عليه ونظروا، فوجدوا أن الحكيوت قد نسجت على بابه والحمام قد

عشش، فقالوا: أن هذا مبحور ولا أحد فيه، وأبو بكر رضي الله عنه يقول

له: والله لو نظر أحدكم تحت قدميه لأبصرنا، ولكن لا يصبرون وقد

عصاهم الله جل وعلا عليهم، وكل هذا حتى يعمل الأسباب ويكون قدوة

لأمة وإلا فالحل لله جل وعلا قادر على أن يحمله إلى المدينة بلا سير كما

رفعه إلى السماء، وكذلك قال: على أن يهلك الكفار، فأجز رجلًا من الكفار يقال له عبدالله بن أريقط وأعطاه ثروا حل وواعد بعد ثلاث يأتيه في مكان معين، وكان دلبه على الطريق<sup>١١</sup> فركبوا معه وساروا من جهة الساحل، وكانت قريش أرسلت الرسل وحملت مئة باقة ليس يأتي به حيا أو ميتا، فصاروا يحثون عنه، ونكر الله حل وعلا يقول: ولهذا لما رأى ما في أبي بكر رضي الله عنه من الخوف قال له: لا تحزن إن الله معنا، وقال له: ما ظنك بالنبي الله ﷺ، فصحفه صحافة من خالك رضي الله عنه وقد رآه وكان يريد أن يحط بسجادة قريش التي هي مئة باقة، والرسول ﷺ يسير ولا يلتفت من يقرأ أو يكتب رضي الله عنه فحلف بلفظ: فقال: يا رسول الله نعتنا الخلف قال: لا تحف، فلما قرب منهم على فرسه ساحت فرسه في الأرض، فقال صحافته: ادع الله أن يخلصني ولكم مني ألا أتيت بما تكرو، دعا الله وقال له: كيف بك إذا ألبست ناع كسرى، وهو كافر وكان رجلا كبيرا حريصا، ثم قال له: هذه كفاشي وأبلي أمامك أعطيك إياها حتى تصير علامة للراعي قال: لا حاجة لنا بذلك ولكن عسي علينا الناس ورد من خلفك، فرجع وصار يقول: كعبكم هذه الجهة وليس فيها أحد<sup>١٢</sup>، وكل هذا من فعل الأسباب، وليكون قدوة لأمتنا، فلا يقول: أتوكل على الله ويترك الأسباب، لأن التوكل هو فعل السبب مع الاعتماد القلب على الله حل وعلا يحصل التوكل أما تعطين السبب لا يجوز لا

(١١) قوله تعالى: صحوة الصبر.

(١٢) القهقري: (٣٦٦) كتاب قتال، يطلب ثلاثون سورة، سنة ٩٠٠-٩١٠ كتاب فرعون وإرفاق.

باب في حديث الهجرة، ويقال له: حديث فرحل، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

شرعاً ولا عقلاً.

ثم ﷺ بقي في المدينة بقية عمره وهي عشرة سنوات وغرقت عليه الفرائض وأمر بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكمل الله جل وعلا به دينه وحار الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فلما أكمل الله جل وعلا له الدين وبلغ الدعوة قبضه الله جل وعلا إليه، وهذا الدين الذي جاء به بحسب التمسك به لأن الله جل وعلا لا يقبل من أحد غيره ولو أني بكل الطاعات من المعروف وانصدفت وغيرها، فلا بد أن يتبع الرسول ﷺ ويمثل أسره.

• • •

وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

الشرح:

والمقصود بقيام الساعة يعني بداية علاماتها الكبرى، فإذا بدأت فلا تغيب الهجرة كما أن التوبة لا تنفع، والأعمال التي يتزود بها الإنسان وبآتي بها ابتداء لا تنفع، لأن الناس اضطروا إلى الإيمان وكُشف الأمر لهم، وإذا كُشف الأمر فلا ينفع الإيمان بشيء متعاهد، وإنما الإيمان الذي ينفع هو الإيمان بالغيب، ولهذا في صحيح مسلم: ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها إذا لم تكن أنت الدجال، والصابئة، وطلوع الشمس من مغربها<sup>(١)</sup>. فطلوع الشمس من مغربها أمر واضح، والصابئة دُكر في رواية

(١) مسلم (١٠٨٨) كتاب الإيمان، باب من قال لا يقبل فيه الإيمان فطلوع الشمس من مغربها والدجال، وفيه الأرض ومصر سمطى (٣٠٧٦) كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب من سورة الأنعام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهي ضعيفة ثم ثبت أن الدابة هي والدانة صالح عنه السلام لأن قوم صالح قالوا لنبيهم: لا تؤمن لك حتى نخرج لك من هذا الجبل دابة نرونها من الحنظية فتحدوه بشيء لا يستطيعه هو، فأخذ مواليقهم بأن لو خرجت الدابة يؤمنون فأعطوه المواثيق، لأنهم استبعدوا هذا فصارت للدابة صوت وخرجت مع دابة عظيمة كبيرة ومعها فصيلةا، فصارت ترويهن من الحنظية ولكن بشرط أن يتركوا لها الماء فإذا ردت صار الماء لها وهم يشرعون من حليها، وقد حذرهم أن يمسوا لها ولكن الشتاء لا يدع أصحابه، فعفروا بصريها في رحلتها فسقطت، فصارت فصيلةا يصبح ما علق له الحبل قد حل به

وقد ذكرها القحطاني في منظومته، وهي منظومة ليس لها نظير في الأخلاق وفي التوحيد وفي الفقه، يقول فيها:

وأذكر خروج فصل دابة صالح (١) بسم الورد بالكفر والإيمان  
وهذا كما قلنا ضعيف، والذابة هي ما يدب على الأرض ولا تعلم ما هي، ولكنها ستخرج كما قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَفَعْنَا عَنْهُمْ آفَاتَهُمْ قُلْنَا دَابَّةٌ مِنْ الْأَرْضِ تَكَلِّمُكُمْ فَانصَبُوا وَاسْمِعُوا بِلَا يُوقِرُونَ﴾ (٢) انظر ما

وتكلمهم معناه أنها تفرق بينهم بما تضعه في وجوههم، فكل واحد تحتمه في وجهه فإذا كان مؤمناً أبيض وجهه، وإن كان كافراً أسود وجهه، ويصيح الناس بتعارفهم هذا مؤمن، وهذا كافر.

وهنا ينتهي العمل، ولكن المشكل هو أن الدجال إذا خرج لا يفتح إيمان من يؤمن، وهو من أول الآيات، ذلك أنه إذا خرج ينير الكون، فيصبح اليوم الواحد سنة واثنائي شهر واثنائي أسبوع، فمثل النبي ﷺ:



﴿ثُمَّ لَا تَأْتُوا بِلَاكٍ وَلَا خَشَمَةٍ أَبْهَتْ وَأَسْوَأَ﴾ [نساء: ١٥٦]

الشرح:

يعني في بلد استصعبنا فيه، ولا نستطيع أن نزول شعائر ديننا من صلاة وصوم وأذان، ولو فعل أحدنا ذلك لعقب أو قتل.



﴿ثُمَّ لَا تَأْتُوا بِلَاكٍ وَلَا خَشَمَةٍ أَبْهَتْ وَأَسْوَأَ﴾ [نساء: ١٥٦]

الشرح:

هنا نخطبهم الملائكة، يعني أن أرضك ليست هي بقعة التي كنتم فيها بل هي واسعة، وسكنكم أن تذهبوا إلى أي مكان وتعبدا ربكم فيه.



﴿ثُمَّ لَا تَأْتُوا بِلَاكٍ وَلَا خَشَمَةٍ أَبْهَتْ وَأَسْوَأَ﴾ [نساء: ١٥٦]

الشرح:

أي تذهبوا هذا المكان إلى مكان لا نستعمل فيه من أداء شعائر دينكم.



﴿ثُمَّ لَا تَأْتُوا بِلَاكٍ وَلَا خَشَمَةٍ أَبْهَتْ وَأَسْوَأَ﴾ [نساء: ١٥٦]

الشرح:

قل على أن تركهم للهجرة لوجب لهم التار، وهذه نزلت في بعض الذين قتلوا في بدر؛ لأن الكفار لما خرجوا إلى بدر أرضوا بعض المسلمين الذين عندهم بالخروج معهم، وهذه التي يخاف منها؛ أن ينزل المسلم في بلد الكفار ويأخذ منهم الجنسية فيرضونه ولا بد أن يعمل



الشيء الذي بأمره به، فإذا وقع النقد في حرب يكون معهم، فهذا  
خرجوا مع الكفار من نفس طفت بعضهم، فمما علم الصحابة بذلك قالوا  
قتلوا إخواننا المؤمنين، منزلت هذه الآية بأنهم سر أن هل النار لأهم  
كانوا مع الكافرين وتركوا الهجرة، معنى ذلك أنه إذا كان المسلم مع  
الكفار يكثر مصادمهم ويقوم بأعمالهم ويسكن في بلادهم فيحكمه  
حكمهم، يكون معهم.



﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَلَدِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيَلًا وَلَا يَتَنَفَّعُونَ

حِيَلًا﴾ (نساء: ٩٨).

#### الشرح:

استنى الذين لا يستطيعون كسر رجل الذي لا يعرف الطريق وليس  
عنده قدرت وكذلك المرأة والنسبي، فإذا كان عنده حيلة يتحيل بها  
ويتخلص وجب عليه.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجُوا أَنْ تَرْجُوا أَنْ تَرْجُوا أَنْ تَرْجُوا﴾ (نساء: ٩٩).

#### الشرح:

هنا ترجي لأنهم عاجزون، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن  
﴿عسى﴾ هي كلام الله متحققة واجبة لأنها تفيد الترجي في اللغة، والله  
جل وعلا يعلم كل شيء، يعلم المستقبل كيف يكون.





وَالَّذِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ الشَّمْسِ قَوْلُهُ ٢٢٠: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الشَّمْسُ». وَلَا تَنْقَطِعُ الشَّمْسُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا<sup>(٢١)</sup>.

### الشرح:

فَالْهَجْرَةُ بَاقِيَةٌ كَمَا بَقِيَ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَانْقِطَاعُ الشَّمْسِ هُوَ عَدَمُ قِيُولِهَا، وَالشَّمْسُ لَا تَقْبِلُ فِي مَوَاضِعَ:

الموضع الأول: إِذَا حَصَرَ الْحَوْتَ.

الموضع الثاني: ضُهِورُ الْعَلَامَاتِ الَّتِي تُرَقِّمُ النَّاسَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا لَيْسَ خَاصًّا، فَفِي مَحَرِّجٍ مُسَلِّمٍ يَقُولُ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجَ لَمْ يَحِلَّ مِنْ نَفْسِ إِيْمَانٍ لَمْ تُكُنْ أَمَّتْ قَبْلَ الدَّجَالِ وَالنَّارِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»<sup>(٢٢)</sup>، لِأَنَّ أُمُورَ تَرْقِيعِ الْإِنْسَانِ عَلَى وَجُوبِ الْإِيمَانِ: لِأَنَّ الْكَوْنُ يَتَغَيَّرُ، وَالدَّجَالُ إِذَا خَرَجَ بَدَأَ تَغْيِيرَ الْكَوْنِ، فَيُصْبِحُ مَقْلُوبَ الْيَوْمِ سَنَةً وَالْيَوْمُ الثَّانِي يَكُونُ شَهْرًا وَالثَّلَاثُ يَكُونُ أَسْبُوعًا ثُمَّ يَعُودُ الْأَيَّامُ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ.



فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَنَاءِ شَرَايِعِ الْإِسْلَامِ، مِثْلَ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْأَقْبَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

(٢١) «أَبُو بَكْرٍ»، كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ فِي الْهَجْرَةِ عَنْ طَائِفَةٍ، وَفَاعِلُهُ ١٩٣/١٦١، وَالذَّالِمُ فِي:

كِتَابِ الشَّيْرِ، بَابُ أَنَّ الْهَجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ، وَتَقْوِيَتُهُ فِي «مَجْمَعِ تَرْوِيقِهَا» ١/٢٥٠، وَنَحْوُ:

وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ وَالنَّسَائِيُّ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِمَا، وَهُوَ أَحْسَنُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»

وَالْعَلَمِيُّ «مَنْ عَمِدَ فِي السَّجْدَةِ، رُوِيَ عَنْ أَحْمَدَ ثَلَاثًا

(٢٢) سَبْقُ تَرْوِيقِهَا.

## الشرح:

وأمره هو أمر لآلئته كنهه، فأوحيت إليه بقية الشرائع وأمر بها، ولم يأمر بالتحج على القول الصحيح إلا في سنة التاسعة، ولكنه ﷺ لم يحج في تلك السنة لأنها وافقت النبي، ولهذا أرسل أبا بكر رضي الله عنه نائب عنه في التحج، ثم أرسل بعده عتيباً نبيد اليهود إلى المشركين وليبين أمر رسول الله ﷺ لسبع المبعج للمشركين والنعراف، لأنهم في الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة، وهذا قد شرعته قريش وفرضته على الناس، ويرى رسول الله ﷺ أنهم أهل البيت الطاهرون ويقولون غيرهم: أنهم تأتون بشباب نجسة متفجرة بالخطايا فلا تطوفون بالبيت في ثيابكم، فإذا وجدتم ثياباً جديدة أو بعضكم أحد ولا تطوفون عراة، فإذا لم يجد الإنسان من غيره ثوباً خاف عريته حتى تنساء، ولكن النساء يطنن بالليل، ولهذا جاء عن امرأة قريش:

اليوم يدوا بعضه أو كله وما يداه منه فلا أحله<sup>(١)</sup>

والمنقصود به يدوا يعني فرجها، فأنجهن لا يأتي إلا بكل قبيح ولا خير فيه، فأرسل الرسول ﷺ من يستعهم فقال: لا يحج بعد هذا العام

(١) عن أبي حمزة رضي الله تعالى عنه أنه قد أناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة حتى لو كانت المرأة لثوبها والثوب وهي عريانة فتصل على سمها فيجوز أن يرى هذه الصورة التي تكون على وجه الجسم من العذاب وهي تقول:

اليوم يدوا بعضه أو كله وما يداه منه فلا أحله

فإن الله تعالى: ﴿فَلْيَنْتَهِ عَنِ مَكْرَهِكَ﴾ وذلك تنبيه وتحفظاً وتذكيراً ولا شبهة ولا شك في التبريد (١) (الأعراف: ٣٣) أرواح السعير.

مشرك ولا يطوف بالبيت حريان<sup>(١١)</sup>، فصاروا يتنافون في فجاج مكة وفي  
المشاعر كلها، فلما عذرت السنة العاشرة وافقت تلك السنة ما شرعه الله  
جل وعلا، لأنهم كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر حتى يقتلوا في  
المحرم، لأن المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة هذه الأشهر الحرم  
ومحرم فيها القتال وكانوا يحترمون ذلك. ولكن ثلاثة أشهر متوالية وهي  
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم تُطيل عليهم المدة بلا قتال ففعلوا تلك  
الفعلة، وقالوا: نجعل بدل المحرم صفرًا في هذه السنة وفي السنة التالية  
تكون كما هي، والسنة التي حج بها الرسول ﷺ وافقت إيقاظه كما جعله  
الله جل وعلا، ولهذا لما قدم بخطب قال: **إِنَّ الزَّمانَ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمِ**  
**خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ ثَلَاثُ عَشَرَ شَهْرًا مِثْلُهَا أَرْبَعَةُ حُرُمٍ**<sup>(١٢)</sup>، ذو  
القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ورجب مضر لأن مضر كانت تعظمه  
أكثر من غيرها فأضيف إليها فهذا هو السبب في كونه تأخر عن الحج لما  
فرض في السنة التاسعة، وهو حج مرة واحدة فقط واعتبر أربع مرات.

• • •

(١١) البخاري (١٢٦٦٣) كتاب العمرة، باب حج أبي بكر بالسيف في سنة سبع، ومسلم (١٢٦٦٣)

(١٢) كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت حريان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال

الأنصاري: «صحيح» من حديث أبيه (١٢٦٦٣) من صحيح الجامع.

(١٣) البخاري (١٢٦٦٦) كتاب العمرة، باب لا يطوف بالبيت حريان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال

الأنصاري: «صحيح» من حديث أبيه (١٢٦٦٦) من صحيح الجامع.

في الأخرى، من حديث أبي بكر رضي الله عنه، قال الشيخ الألباني رحمه الله: «صحيح» من

حديث: «حدثنا أسد بن عطاء بن أسد، حدثنا أبو عبد الله، حدثنا أبو بكر، من أبي بكر»

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ

الشرح :

يعني الشرائع التي عساهما وما تكلفنا بها، فمنها ما هو فرض، ومنها ما

هو نفل.

• • •

أَخَذَ عَلَيَّ غَدَاً عَشْرَ بَيْتٍ،

الشرح :

يعني في المدينة بعد الهجرة.

• • •

وَوُفِّيَ - ضَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَاتِهِ عَلَيْهِ - رُؤْيَاً بَاقِي. وَغَدَاً وَبَيْتُهُ.

الشرح :

يعني هذا الدين الذي يذكره هو أصوله وإذا تمسكت به الإنسان نجا

من عذاب الله.

• • •

لَا خَيْرَ إِلَّا قَوْلُ الْإِثْمَةِ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا غُلَّتْهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي قُلْتُهَا

عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ.

الشرح :

والتوحيد فيه كل خير وسعادة، فالوحيد يكون في العبادات كلها،

في جميع ما تعبد الله جل وعلا به، وسمي توحيداً لأنه يكون واحداً غير

موزع كما قال ابن القيم رحمه الله في التوبة:

كُنْ وَاحِداً لِوَاحِدٍ فِي وَاحِدٍ أَمْنِي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ

يعني كن عبداً لواحد وهو الله، ولا تكن موزعاً وتكن عبداً للشهوات

والمعاصي، في واحد يعني في سبيل واحد وفي طريق واحد ولا تسلك الطرق المتعدية بل استكت طريق الحق والإيمان، فالتوحيد يكون في جميع العبادات وإن لم يكن توحيداً فهو شرك، والشرك يعطل العمل ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَىٰ آلِ إسمٰئِيلَ مِنْ قَبْلِكَ أَنْ أَشْرِكُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَلَئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿الفرع ١٦٥﴾ هذا كان هذا يخاطب به الرسول ﷺ والرسول قلته فكيف بأعداء الناس؟



وَجَمِيعٌ مِمَّا يُخَيِّفُ اللَّهُ وَيُرْضِيهِ

### الشرح

يعني الذي يأمر به والأمر الذي يأمر به يأتي على طريقين: أحدهما: الوجوب والقرض.

الثاني: الاستحباب، حتى يزود الإنسان من العمل الكثير ويحصل على الدرجات العلى؛ لأن الناس لا يستوون، فبعض الناس لا يريدون أن يفعلوا إلا الواجب فقط ويتركوا المحرم، وأناس لهم رغبة في الخير ففتح أمامهم الباب، ولهذا جاء في حديث عمرو بن عبسة قال لما سئل عن الصلاة: الصلاة غير موضوع فاستكثر أو استقل؟<sup>(١)</sup> هذا يدل على أن الإنسان إذا أكثر من الصلاة لا يقال له: إنك مبتدع أو أنك جئت بشيء غير مشروع، فبعض الناس يقول التصبر على القرائن وعلى التواضع التي ثبتت وهذا خطأ، لهذا كان أحد الصحابة يخدم الرسول ﷺ فلما كان في

(١) الخبر في كثير من سورة النساء والخبر في طريق في سورة البقرة، وخرجه الأجرى والأخبار في فضل الصلاة والسجود كثيرا تشهد التواضع المحمودة، وقد تعالى أعلم

أحد الأيام وجده قد حيا له وضرمه وما يحتاج إليه، فقال له: «من فعل هذا؟» قال: أنا، قال: «فلسني» قال: «أنتك مراعتك في الجنة» قال: «لو غير ذلك؟» قال: هو ذلك قال: «يقن أنني على نفسك بكثرة السجود» قال: «هوذا أكثر الإنسان من السجود ورفع الله».

• • •

وَالشُّرَّ الَّذِي خَدَرْنَا بَيْتَ الشُّرْكَ، وَجَمِيعَ مَا يَكْفُرُ اللَّهُ وَتَأْثَرُهُ

الشُّرْ:

ومعناه أن الرسول ﷺ أمر بكل ما يقرب إلى الله ويبعد عنه وعن كل ما يمكن أن يقطع الإنسان من الوصول إلى الله ويطرفه إليه من الأعمال والعقائد والأفكار وغيرها، ولهذا يحرم الإنسان أن الرسول ﷺ بين لعبادة الله كيف يحضنون في دينهم لأن هذا هو الأصل الذي بُني عليه خبره وليس كما يقوله أهل الضلال أن الأمر ترك لتعلمون للنظر فيه.

• • •

بَعَثَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ قُلُوبَهُ.

الشُّرْ:

يعني بعثه للناس جميعاً عرباً وعجماً جنأ وإسأ وكل من على وجه الأرض فهو معوث إليهم، ولقد أمدوهم وبين أنه معوث إليهم، لليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم

• • •



وَأَفْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الْفَلَكَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

الشرح:

هنا طريق إلى الخلاص من العذاب إلا بطاعته وإيمانه بمخلوقاته الله وسلامه عليه وإلا يكون العذاب ملازمًا للأبدان إذا لم يتابعه.

• • •

وَالذِّبِيلُ قَوْلُهُ فَقَالِي: ﴿قُلْ بِحَاشَاتِ النَّاسِ إِنْ رُؤُوسُ أَقْوَامٍ لَمْ يَنْصَحْتُمْ

جَبِينًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)

الشرح:

الناس كلمة عامة ويدخل فيها كل من أضيق عليه له من الناس ودخلت الجن في هذا للتصوير الأخرى، فالجن مكثفون مثل الإنسان وهم مجزيون، فالمؤمن يدخل الجنة على القول الصحيح والكافر في النار؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَفَهَاءٌ أُغْوِيَتْ بِمَا هُمْ أَهْلُونَ﴾ (النور: ٢٤). فالكفرة هم حطب جهنم من الجن والإنس وتشتل منهم.

• • •

وَقُلْ لِلَّهِ يَدَايُ الْفَدَيْنِ

الشرح:

يعني كل ما نحتاجه في ديننا بينه ووضحه، ولم يكلنا إلى عقولنا، فالذي لم بينه الرسول ﷺ ولم يوضحه فهو ليس من الدين، والدليل على هذا قول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُرِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلِّغْتَ يَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنعام: ١١٧) يعني أن الذي ما بلغه الرسول ﷺ فليس من الدين بل هو من البدع.

• • •

وَاللَّيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْلًا أَكْثَرُ لَكُمْ مِنْكُمْ وَأَكْثَرُ عَلَيْكُمْ يَتَنَبَّأُ

وَرَبِّكُمْ لَكُمْ إِحْسَنُ رَيْبًا﴾ (سورة ص: ٣)

### الشرح:

وهذه الآية نزلت في حجة نوح عليه وهو في عرفات صفاة الله وسلامه عليه. قال يهودي لعمر رضي الله عنه: إنك تقرزون آية في كتابكم لو عينا معشر اليهود نزلت لأخذنا ذلك اليوم الذي نزلت فيه عبداً، فقال: وأي نية؟ فذكر هذه الآية. فقال: الله نزلت في يوم عيد في عرفات يوم الجمعة، يعني في عشرين نيس عيداً واحداً، الجمعة عيد وعرفة عيد، فنحن نتخلفا عيداً<sup>(١)</sup>

• • •

وَاللَّيْلُ عَلَى نَوْبِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة نساء: ١٠١)

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْذِرُكُمْ تَنْذِيرًا كَرِيمًا﴾ (سورة ص: ٣٠-٣١)

### الشرح:

يعني أنه يلزم اعتقاد ذلك لأنه واقع وقد أخبر الله به كما في هذه الآية وغيرها.

• • •

وَالنَّاسُ إِذَا عَالُوا يَفْقَهُونَ

### الشرح:

الحيث في اللغة: إشارة الشيء، يقال: بعثت البعير إذا كان باركاً وأثراً، وبعثت الصيد من مكانه إذا أثروا، وبعثت فلاناً إلى فلان إذا أرسلته إليه.

(١) (تفسيره: ١٥٥) كتاب الإحسان، باب الإحسان، فصله، ص ١٥٥ - ١٥٦ كتاب التفسير

ولكن المقصود بالبحث هنا إخراج الناس من قلوبهم أحياء، والله جل وعلا يخرجهم من قلوبهم في آن واحد جميعاً، وكثير من الكفار كانوا يكرهون هذا، لأنهم لا عهد لهم به، وبين الله جل وعلا هذا في آياته، منها آياته وكيف يولد الإنسان ومنها آياته، هذه آياته من الأعراف فقال: يا رسول الله كيف بعث الله الموتي؟ قال: أهل مروت بأرض من أرض قومك مجدية ليس فيها نبات، قال: نعم، قال: أو مروت بها وهي مخصبة؟ قال: نعم، قال: كذلك يحيي الله الموتى<sup>(١)</sup>، يعني أرض مينة نزل عليها الماء فانبثقت النباتات بأمر الله جل وعلا ولذلك قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ [نور: ١٦]، وذلك أنه جن وعلا: ﴿لِيَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَتَى﴾ [نور: ١٦] فافقاه على الخلق العظيم الكثير قدرته على الشيء الصغير من باب أولى.



وَالذِّلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُكُمْ فِيهَا لَمَنِ الدِّينُ﴾ [اب: ١١]

الشرح:

يعني من الأرض، وكل الناس أصلهم من التراب، ولكن جعلهم الله جل وعلا شعوباً وقبائل ليتعارفوا، ثم قال: ﴿لَمَنِ الدِّينُ﴾ [اب: ١١] فمن كان تلياً فهو الكريم عند الله، من أي صنف كان، والمقصود أن الإنسان بعد الموت يصير نواباً ثم يحييه الله ويخرجه من الأرض كما كان في الدنيا.



(١) روى أحمد (١٥٦-٣) في مسنده الصغير، من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

﴿وَمَنْ يَحْرِقْكُمْ فَاحْرِقُوا حَرِّقًا﴾ (١٥٤)

الشرح:

بهي حلفاً حديداً غير الحق الأول

• • •

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَةِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ﴾ (١٥٥)

إخراجاً (١٥٥)

الشرح:

بهي أنا أؤم، أخرجهم من الأرض، ثم يهلككم بعدما كنتم أحياء  
وتعودون إلى أصلكم التراب ثم يخرجكم أحياء مرة أخرى ويجازيكم  
بالأعمال، ثم بعد هذا الإخراج يفلون أحياء دائماً ما قامت السلوات  
والأرض إما في النار وإما في الجنة، وليس هناك عودة ثانية.

• • •

وتعد البغث محاسنون ومن يجزئون بأفئداتهم.

الشرح:

هم محاسنون من الله جل وعلا، ولأنه سيذكر لهم أعمالهم  
وسيجازيهم عليها، وله عليهم كتاب لا يترك شيئاً إلا وقد أحصى، لأن  
الإنسان معه أربعة من الصلوات: الف في الليل والنهار في الكتابين  
عمله ولا يترك شيئاً إلا كتب، ولهذا يفلون المحرمون إذا أخرج لهم  
الكتاب ﴿مَنْ هَذَا الْعَصِيْبِيُّ لَا يَتَأَوَّرُ صَبِيحَةً وَلَا كَيْفَةً إِلَّا أَصْحَبَهَا﴾  
(١٥٦) وقوله: ﴿وَحَقُّ يَمْنَى الرِّبَّةِ طَهْرَةُ يَمْنَى وَمَنْ يَحْرِقْكُمْ فَاحْرِقُوا حَرِّقًا﴾

۱۱۱. فلا يستطيع ان يكره شهادته دون انكر شهادته عليه انما هو من معنى  
ويعبر وكذلك شهادته عليه الا من



وَالَّذِينَ قَالُوا لِلَّهِ شُرَكَاءُ قُلُوبُهُمْ قَدْ تَمَرَّدَ عَنْ يَدَيْهِ وَالْإِنْسَانُ لَشَكْرٌ كَذِبٌ

لنقرأ يا غيلا ونفهم القرآن الكريم : 4 : 171

1. *Journal of the American Medical Association*, 1997; 278: 1019-1024.

... ..

الأول: المسمى: ويحذف بالفتح.

الثاني: المحسن، وبحرق بالجنة. والجنة شيء عظيم جداً لو علمه الإنسان لا يمكن أن يتم في طلبها ولا يمكن أن يستقر، ولكنها صارت غيماً، والمسلم يتفاوتون فيه، فهناك من وجب الدنيا يقطع دون هذه الأمور، وإلا فالجنة فيها من التعميم والبهجة والسودور ومن العباد التي لا يتطرق إليها لا مرض ولا فناء ولا انقطاع ولا سامة ولا حزن ولا تسعع فيها لغواً ولا كذباً ولا غير ذلك بل فيها التعميم المقيم والمساكن الطيبة، والإنسان لو اطلع على شيء من ذلك لصار له حالة أخرى، ذكر ابن أبي الدنيا في بعض كتبه يقول: إن قائلة خرجت من بغداد إلى الحج، فكان في صحبتهم شاب فكان لا يفتر عن الذكر وعن الصلاة وعن الصوم، فتعجبوا منه وقالوا: ما شأنك أنت؟ قال: أنا رأيت شيئاً جعلني لا أترك شيئاً من العمل ولعلي أصل إليه، فقالوا: ماذا رأيت؟ قال: رأيت في المنام أني في قصر مبني من ذهب وفضة وبين شرفاته امرأة لم أرى مثلاً ولا

أعني أرى مثله، فقالت لي: إياك أن تقطع دونك

ومعنى سراً غيرة على وعلا: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ قَدَاقِيقُ حَتَّانَ﴾ ﴿جَاءَانِ مَالَهُ  
رَبُّكَ الْكَذَّابِ﴾ ﴿وَأَوَّاكُ أَتَيْتِ﴾ ﴿جَاءَانِ مَالَهُ رُبُّكَ الْكَذَّابِ﴾ ﴿بِهِمَا جَاءَانِ نَحْنُ الْكَذَّابِ  
فِيَاكَ مَالَهُ رُبُّكَ الْكَذَّابِ﴾ ﴿بِهِمَا جَاءَانِ مَالَهُ رُبُّكَ الْكَذَّابِ﴾ ﴿بِهِمَا جَاءَانِ مَالَهُ رُبُّكَ الْكَذَّابِ  
شَاهِدِي عَلَى فَرْخِي عَظِيمَتَا مِنْ يَسْتَقْبِلَانِ أَوْسَى الْفُتُوحِ﴾ ﴿جَاءَانِ مَالَهُ رُبُّكَ  
الْكَذَّابِ﴾ ﴿بِهِمَا جَاءَانِ مَالَهُ رُبُّكَ الْكَذَّابِ﴾ ﴿بِهِمَا جَاءَانِ مَالَهُ رُبُّكَ الْكَذَّابِ﴾ ﴿بِهِمَا جَاءَانِ مَالَهُ رُبُّكَ  
رُبُّكَ الْكَذَّابِ﴾ ﴿كَأَنَّكَ تَبْهَوْنَ وَتُخْرِجْنَ﴾ ﴿جَاءَانِ مَالَهُ رُبُّكَ الْكَذَّابِ﴾  
المرحوم ١٠٠-١٠١ ولا تنكر عهدها وسائر ردودها من انقسام وتعليلها على شدة  
التعليل والاحتجاج به وعلى كلامه وبالعالمين على وعلا لا يؤخر، والنسبة  
أن الإحتجاج به دهر وضعف وليس كإحتجاج الصحابة الذين يقولون: لو  
كُتِبَ لنا الأمر لردود عما نحن به

• • •

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَغْيِ كَفَرُ

الشرح:

يعني أن الإحتجاج بالاعتك لا بد منه، والكذب به والشك فيه كفر  
يجمع الإسلام من أهل النار، سائر طوائفه.

• • •

﴿رَبُّكَ الْبَهِيمُ الْكَفُّرُ﴾ ﴿الْكَافِرُ﴾ ﴿الْكَافِرُ﴾

الشرح:

كلمة ﴿رَبُّكَ﴾ الغالب أنها تأتي للكذب، الذي لا يثبت لا على دليل  
ولا على خبر صحيح بل هو ظنون كاذبة.

قوله: ﴿لَا يَسْتَوِ﴾ هذا انفي للمستفاد

• • •

﴿لَا تَنْزِلُ رَبِّي لَتَفْتُرُ﴾ النمر ١٠

الشرح:

أمر الله جل وعلا به أن يفسد عن نوب البعث، وقد جاء الأمر  
بالقسم في ثلاثة مواضع في القرآن وهذا أحدها، والثاني في سورة ساء  
والثالث في سورة يونس.

• • •

﴿ثُمَّ لَنَنْزِلَنَّ يَا عِيقَمُ وَإِنَّكَ عَلَىٰ غَوِيٍّ﴾ (نمر ١٧)

الشرح:

يعني أخبروني به ونقص عليكم.

• • •

وَأَنزَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَنَذِيرِينَ

الشرح:

لهم بشرون بالخير والسعادة من أطاعهم واتبعهم، وينذرون من  
خالفهم وعصاهم بجهنم وبالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، بكل  
من كذب الرسل يؤخذ في الدنيا ويعذب في الآخرة إذا كانوا أمساء،  
أما إذا كانوا أفراداً فهم لا يعجزون الله، فقد يؤخذ وقد يُعزل، قال  
جل وعلا يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اقْتَسَمُوا ثُمَّ قَاتَلُوا لِيُكْفِرُوا﴾  
﴿ثُمَّ لِيَرْثِ اللَّهُ آبَاءَهُمْ وَأَمْثَلَهُمْ طَائِفَتَيْنِ﴾ (١٦٨ مريم) فتركهم في حياتهم  
وأطالة عمرهم شر لهم.

• • •

وَالَّذِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبْتَلَيْنَ وَمُنَادَيْنَ لِيَلَّا يَكُونُوا لِلنَّاسِ غُلًا

لَقَدْ خَلَقْنَا لِقَدْ الرُّسُلَ﴾ ١٤ - ١٥ - ١٦.

### الشرح:

بعض الرسل يبتليهم الله تعالى ويقولون ما جاءكم ليركبوا ولا أرسلنا  
نارا رسولاً، ولو جاءكم ليركبوا لأعذبناك ولينفذنا فضلت هذه الحجة،  
فليس للناس على الله حجة، فمضى هذا أن الإنسان إذا سمع أن له رسولاً  
وحده عليه أن يتبعه، وأنشأه يكون له حجة على أقواله وأفعاله وأوامره  
التي أمر بها ونهى عنها التي ينهاه عنها، فإن لم يفعل هذا فمضت أنه  
شركي، وأمرهم من الله تعالى بعدم الاعتناء به أحد توافقت الأصول.

• • •

وَأُولَئِكَ نُرِجَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَأَجْرُهُمْ مَعَهُ ١٧، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ،

وَالَّذِيلُ عَلَى لِقَا أُولَئِكَ نُرِجَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنِ اسْمَاءُ ابْنَةِ كَعْبٍ أُوتِيَتْ إِلَى نُرِجَّ

وَالَّذِيلُ مِنْ خَدِّهِ﴾ ١٧ - ١٨ - ١٩.

### الشرح:

فبعد النبي بعد نوح عليه السلام، فمضى على أنه قبل النبي، وكان  
الناس قبل نوح على التوحيد مخلصين ولم يكن عندهم شرك كما قال ابن  
عباس: كان قبل نوح عشرة قرون من بني آدم كنهم على التوحيد ثم طرأ  
فيهم الشرك بسبب حدث عندهم، وهو أنه كان عندهم رجال مبالجون  
يقصدونهم ويقولون بينهم في الأمر الذي فيه الصلاح والخير، ثم ماتوا  
في زمن متقارب حتى انتهوا، فأدب عليهم قومهم أسفاً شديداً، لأنهم  
قددوا إرشاداتهم وتعليماتهم وحشهم على الخير وهم أهل الخير،



فجاءهم الشيطان في صورة ما صبح وقال لهم صوروا صورهم وانصروها في المحال التي كانوا يحلونها، هذا رتب صورهم وذكرتم أعمالهم واجتهادهم، فاستحسنوا هذا والعلو، فصاروا على هذه الطريقة ومن ثم ماتوا وبقي السب الذي من أجله صورت هذه الصور، فجاء قوم بعدهم فجاءهم الشيطان وقال لهم هذه الصور التي صوروا أجدادكم ما صورهم إلا لأنهم يوسلون بها ويستمعون بها، ومن هنا بدأ الشرك، وقد ذكرت في قوم نوح عليه السلام، وهي: ود وسواح ويطوث ويعوق ونسراء فهذه أسلافهم التي صارت معبودات، وصار يحفظهم يوصي بعض بالتمسك بها، وصار هناك أيضاً أصنام غيرها.

المقصود أن نوح عليه السلام هو أول الرسل والمرسل هم الذين يوسلون إلى الكفار، يوصي إليهم شرائع وأوامر ويوسلون إلى قوم كافرين، أما النبي فيوصي إليه وهو في أمة مسلمة.

\* \* \*

وَقُلْ أَتَى بَنَاتُ اللَّهِ إِلَٰهًا زُشُلًا مِّنْ نُّوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ مَخْبِيٍّ بِأَمْرِهِمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَنَهَايَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالْقَائِلِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الشُّرُكَ﴾ (النحل ١٢١).

### الشرح:

الأمة: هي الجماعة من الناس، والأمة جعلت في القرآن بعدة معاني وهذا أحدها.

والمعنى الثاني: الطائفة من الرمن كقوله: ﴿وَأَذْكُرُ بِمَا أَنبَأَ الْيُوسُفَ

١١٥﴾ ﴿وَكَيْفَ أَتَيْنَاهُمُ الْغَتَّابَ إِذْ أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (مريم ١٨).

والمعنى الثالث: الروح القدوس كقوله: ﴿يُنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ مَكِينٍ﴾<sup>١</sup>  
 ﴿يُنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ مَكِينٍ﴾<sup>٢</sup> : سر .

والمعنى الرابع: السنة والنبي كقوله: ﴿يَا وَهَّابُ مَا تَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ﴾<sup>٣</sup>  
 : سر .

• • •

والتعريف الثاني: جميع العباد المكلفين بالطاعات والإيمان بالحق.  
 الشرح:

قوله جل وعلا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>٤</sup> : سر .  
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>٥</sup> : سر .  
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>٦</sup> : سر .  
 ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>٧</sup> : سر .

• • •

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: تعنى الطاعات ما تجاوز به العبد  
 خلقه من عبادة أو غيره أو استطاع.

الشرح:

والضمير في قوله: «الله» يعود على العبد، وحده العبد أن يكون  
 عبداً، ولا يجوز أن يخرج عن هذا الحد فلا يكون ربةً وأمر كما يأمر الله  
 جل وعلا، أنه جعل المتجاوز يكون في ثلاثة أمور: في العبادة وفي الاتباع  
 وفي تطاعته، فليس عبد من كل مخلوق لهذه الطاعات سواء كان عبداً أو  
 غير عاقلاً، ولكن هذا يحتاج إلى قيد بأن يقال: من عبد وهو راضٍ فهو

مطاعوت، والتقيّد هو الرضا، أو يكون مشوّجاً ما يباع بضعوته على الكفر  
والصلال. فهم مطاعوت يعني هو شريك في معصية الله تعالى وعلا، أو  
مطاع في المصاحبي.

• • •

وَالطَّوَافِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ إِنْ لَيْسَ لَفَتْهُ، وَغَنَ قَبْدُ  
وَقَوْلُ زَاهِي.

الشرح:

والطوافيت قد ملأت الأرض، وهذه الرؤوس الخمسة هي أجناس  
وليت خمسة أفراد فقط، بل كل جسي له أعداد كثيرة، وإبليس ليس فرداً  
فقط، وهناك إبليس من بني آدم كثيرون ومن الجن ومن غيرهم.

• • •

وَتَرَى قُلُوبَ النَّاسِ إِلَى بَيْتَانَةٍ تُقْبَلُ.

الشرح:

وقد يدور الإنسان إلى عبادة معه سواة بالصراخة أو بطير ذلك، وقد  
لا يرضى إلا أن يكون شطاعاً معبوداً.  
وهذا أعظم من الذي قبله.

• • •

وَمَنْ دَخَلَ شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْقَبْرِ.

الشرح:

لأن الله استأثر بعلم الغيب ولم يطلع به إلا من ارتضى من رسول فإنه  
يجعل له دلائل على نبوته بإخباره بأمور مفيدة ليكون ذلك دليلاً على أنه

رسولنا، لهذا استثنى الله ذلك.

وَمَنْ حَكَمَ بِقُرْآنِ اللَّهِ

الشرح

يعني نزل حكم الله واتخذ القواني بحكم بهاء فيكون من رؤوس  
تطبيقاته يعني أنه يدعو الناس للحكم بالظاهرات أو بأمرهم به ويلزمهم  
بذلك

وَالْقِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَا تَكْفُرْ بِالَّذِي تَدَّخِرُ الْوَاسِطَةُ مِنْ فَتَنِ قَسَمَ  
بِخَيْرِ الْظَّاهِرَاتِ وَالْبَاطِنَاتِ يَدْعُو فَتًى وَأَسْتَفْتِي بِالْعَزَّةِ وَالْوَقْفِ لَا أَسْتَدِمُّ لَهَا وَتَعَالَى  
خَيْرُ خَيْرٍ﴾ (ص ١٠١).

الشرح

وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ تَنَبَّأَ سُلَيْمٌ أَنَّهُ رَسُولٌ أَنبَأَهُ اللَّهُ  
وَالْحَبَشَةُ الْمَكْمُوتُ﴾ (ص ٣٦) واحتج به عدم الانحراف حوله.  
والاحتجاب أنفع من قول: أترك الاحتجاب، يعني كل بعيداً عنه ويقول  
الإمام مالكا: الظاهرات هو كل ما عد من دون الله، وهذا كلام عام.  
ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الظاهرات الكافر والمجته  
الشيطان وقول السحر. فالسفر يصرون الشيء ببعض أفراد وليس بالكل  
وذلك حسب حاجة السامع، وبين القيم جاء بكلام عام، والعروة الوثقى

هي لا إله إلا الله يعني هي التوحيد

• • •

وهذا يعني لا إله إلا الله وفي الحديث: «زُلْزِلَ الْأَمْرُ الْإِسْلَامُ، وَعُشْرَةُ الصَّلَاةِ».

**الشرح:**

يعني العمود الذي يقوم عليه الدين، أو الأساس الذي يُبنى عليه فهو التوحيد.

• • •

**وَيُزَوَّدُ سَيَاوِمُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

الجهاد هو أرفع ما أمر به وأعلى. وقد أخذ الله للمجاهد في سبيله ما لم يعد لغيره. ولهذا يقول الرسول ﷺ: «لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ»<sup>(١١)</sup> ولما قُتِلَ عِدْلَةُ بْنُ حِرَامٍ وَكَانَ مَقْبَلًا فَلَمْ يُعْرِفْ مِنْ كَثْرَةِ الطَّعَنَاتِ الَّتِي فِي بَدَنِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبْنَةِ جَاهِلَةَ: «أَتَقْلًا لِهَيْتُكَ بِمَا نَفَى اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ» قَالَ: نَعَمْ. بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا كَلِمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلِمٌ كَفَاحًا» قَالَ: يَا عَيْدِي نَعَمْ عَلَيَّ أَعطتك. قَالَ: يَا رَبِّ تَحْيِيْنِي فَأَقْتُلْ قَبْلَكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ

(١١) مسند الترمذي (٦٦١٦) كتاب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلابة. وابن ماجه (١٤٩٧٣) كتاب الفتن باب بعد حصار في مكة. ورواه أحمد والبيهقي كلها عن رواية أبي

والقائل عن عدله. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». ورواه الطبراني مستقصاً.

(١٢) البخاري (٢٨٨) كتاب الإيمان باب الجهاد من أولياته مسلم (٢٢٨٩) كتاب الإمامة باب

فصل الجهاد والخروج في سبيل الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	الافتتاحية
٩	أقوال العلماء في التسمية
١٣	أقسام الحرب
١٥	طلب العلم فريضة
١٧	العلم للعمل
١٧	الدعوة للعلم
١٩	مراتب الجهاد
٢٠	يكون الجهاد فرض عين في ثلاث مراحلات
٢٣	الصبر والتماس
٢٧	العلم قبل القول والعمل
٣١	إثبات الربوبية والألوهية لله
٣٤	إرسال الرسل
٣٦	التفكير في خلق الله
٣٩	هل يمكن أن يخلق المخلوق نفسه
٤٠	وجوب طاعة النبي ﷺ
٤١	أقسام أهل السعادة
٤٣	الساعة قسمان
٤٨	أنواع الشرك

٥٠	أقسام الدعاء
٥٢	مفهوم الحوالة والمعاداة
٥٧	ذكر الجنة
٦٢	لا يكون العمل مقبولا إلا بالإخلاص والمتابعة
٦٣	المراد من خلق المخلوقات
٦٥	أعظم ما أمر الله به
٦٧	أعظم ما نهى الله عنه
٧٣	الأصل الأول: معرفة الرب
٧٧	ذكر إحياء الموتى في القرآن في خمسة مواضع
٧٩	دلائل وأيات على عظمة الخالق جل وعلا
٩١	ذكر مسألة الاستواء على العرش
٩٣	أن المعبودية لله جل وعلا
٩٧	أنواع العبادة
١٠٥	ذكر بعض الأعمال الباطنة
١٠٦	قصة إبراهيم وعود عليهما السلام
١١٠	سيد الاستغفار
١١١	احفظ الله يحفظك
١١٥	ذكر بعض الأعمال الظاهرة
١١٩	الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة
١٢٢	وجوب البراءة من الشرك وأهله
١٢٥	مراتب الدين



- ١٣٦ ..... المرتبة الأولى: الإسلام
- ١٣٧ ..... شروط لا إله إلا الله
- ١٣٨ ..... معنى: لا إله
- ١٣٩ ..... بيان الخطأ في إعراب لا إله إلا الله
- ١٤٠ ..... معنى: إلا الله
- ١٤١ ..... بيان الأدلة التي تفسر لا إله إلا الله
- ١٤٢ ..... بيان الأدلة التي تفسر أن محمداً رسول الله
- ١٤٣ ..... معنى: شهادة أن محمداً رسول الله وأنها مرتبطة بشهادة لا إله إلا الله
- ١٤٤ ..... أقسام الناس في رسول الله ﷺ
- ١٤٥ ..... دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد
- ١٤٦ ..... دليل الصيام والحج
- ١٤٧ ..... المرتبة الثانية: الإيمان
- ١٤٨ ..... الحياء
- ١٤٩ ..... أركان الإيمان
- ١٥٠ ..... الإيمان يزيد وينقص
- ١٥١ ..... الإيمان بالعلائكة وروحاتهم
- ١٥٢ ..... الإيمان يكتب الله العترة
- ١٥٣ ..... الإيمان يرسل الله
- ١٥٤ ..... الإيمان باليوم الآخر
- ١٥٥ ..... الإيمان بالقدر خيره وشره
- ١٥٦ ..... درجات الإيمان بالقدر

- ١٥٩ ..... العروة الثالثة: الإحسان
- ١٦٠ ..... حديث جبريل المشهور
- ١٦٤ ..... أقوال العلماء في النسخ في الصور
- ١٦٥ ..... علامات الساعة
- ١٦٧ ..... أقسام علامات الساعة
- ١٦٩ ..... الأصل الثالث: معرفة النبي ﷺ
- ١٧٠ ..... أقسام العرب من حيث النسب
- ١٧٩ ..... الفرق بين الرسول والنبي
- ١٨٢ ..... قصة إسلام الصحابي الجليل عمرو بن عبد رضي الله عنه
- ١٨٦ ..... معراج النبي ﷺ
- ١٨٩ ..... عجرة النبي ﷺ من مكة
- ١٩٣ ..... أنواع الهجرة
- ١٩٥ ..... قيام الساعة
- ٢٠٢ ..... المواضع التي لا تقبل فيها التوبة
- ٢٠٥ ..... الأوامر التي من الله على طريقتين
- ٢١١ ..... أقسام الناس حسب أعمالهم
- ٢١٢ ..... القسم بثبوت البحث في ثلاثة مواضع من القرآن
- ٢١٤ ..... الناس كانوا على التوحيد قبل أن يرسل نوح عليه السلام
- ٢١٥ ..... معنى: الأمة
- ٢١٦ ..... زلزال الطور الحيت
- ٢٢١ ..... الفهرس

